﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

سلسلة إضاءات على الطريق (1)

تخاطب هذه السلسلة كل مسلم و مسلمة في هذه الأمة العظيمة والمباركة بهدف إضاءة الطريق أمامهما في مواضيع متنوعة انطلاقا من منهج وفكر أهل السنة والجماعة في العقيدة والفقه والأخلاق النابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة الشريفة.

الإضاءة الأولى

التعريف بأهل السنة والجماعة

من أقوال العلماء في الأشاعرة

قال قاضي القضاة الإمام تاج الدين السُبْكِيُّ: إن الشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة: **أشعريون**.

قال الإمام أبو إسحاق الشيرازي الشافعي: الأشعرية: أعيان أهل السنة ونُصَّارُ الشريعة.

قال الإمام المجتهد المطلق تقي الدين السُبْكِيُّ رضي الله عنه: ما تضمنته عقيدة الطحاوي هو ما يعتقده الأشعري.

قال الإمام المجتهد المطلق عز الدين بن عبد السلام رضي الله عنه: واعتقاد الأشعري، رحمه الله، مشتمل على ما دلَّ عليه أسماءُ الله التسعة والتسعون.

قال المؤرخ العلامة ابن خلدون: الأشعرية ..... هم أهل السنة.

قال الإمام الزبيدي: إذا أُطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم **الأشاعرة**.

قال شيخ القراء الإمام الزاهد أبو عمرو الداني المقرئ: اعلموا أيدكم اللهُ بتوفيقه وأمدكم بعونه وتسديده، أن قول "**أهل السنة والجماعة**" من المسلمين والمتقدمين والمتأخرين من أصحاب الحديث والفقهاء و**المتكلمين**....اهـ. [يعني بهم الأشاعرة والماتريدية].

قال الإمامُ الكبيرُ الحافظُ الفقيهُ أبو بكرٍ البيهقيُ رضي اللهُ عنه:

"... إلى أنْ بلغتِ النوبةُ إلى شيخِنا **أبي الحسنِ الأشعري**، رحمه اللهُ، فلمْ يُحْدِثْ في دينِ اللهِ حَدَثاً، و لمْ يأتِ فيهِ ببِدْعَةٍ، بَلْ أخَذَ أقاويلَ الصحابةِ والتابعينَ، ومَنْ بعدَهم مِنَ الأئمةِ في أصولِ الدينِ؛ فَنَصَرَها بزيادةِ شرحٍ وتبيينٍ، **بخلافِ زَعْمِ أهلِ الأهواءِ مِنْ أنَّ بعضَهُ لا يستقيمُ في الآراءِ**، فكانَ في بيانِهِ تقويةُ ما لم يُدَلَّ عليهِ مِنْ أهلِ السنةِ والجماعةِ، ونُصرةِ أقاويلِ مَنْ مضى مِنَ الأئمةِ كأبي حنيفة وسفيان الثوري مِنْ **أهلِ الكوفةِ**، والأوزاعيِّ وغيرِهِ مِنْ **أهلِ الشامِ**، ومالكٍ والشافعيِّ مِنْ **أهلِ الحرمينِ**، ومَنْ نَحَا نحوَهما **مِنَ الحجازِ**, وغيرِها مِنْ سائرِ البلادِ، وكأحمدِ بنِ حنبلٍ وغيرِهِ مِنْ **أهلِ الحديثِ**، والليثِ بنِ سعدٍ وغيرِهِ، وأبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ إسماعيلَ البخاريِّ، وأبي الحسينِ مسلمِ بنِ الحجاجِ النيسابوريِّ: **إمامي أهلِ الآثارِ وحفاظِ السننِ التي عليها مَدارُ الشرعِ**، رضي الله عنهم أجمعينَ.... اهـ .

تبيين كذب المفتري:(ص103)، وطبقات الشافعية:(3/ 397).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الخلق وأشرف الأنبياء والمرسلين، والمبعوث في الأميين رحمة للعالمين، وعلى آل بيته الأطهار، وأصحابه الأبرار، وبعد:

فإن الله تعالى هو خالق الكون، فهو خالق الإنسان، وكرمه بشكله وصورته، وبأن وضع فيه **العقلَ** الذي هو آلة **التفكير**.

والتفكيرُ هو أول مراحل تحصيل العلم الذي هو نوعان، **دنيويٌ** كالطبِ والزراعةِ والهندسة والفلك وغيرِها، **وأخرويٌ** وهي علوم الشريعة كالعقيدة والفقه والأخلاق وأصول الفقه والتفسير والحديث وشرحه والسيرة وغيرِها من العلوم.

والعلومُ الشرعيةُ هي أشرفُ من العلومِ الدنيويةِ وأعظمُ وأكثرُ أجراً.

واللهُ تعالى دعا الإنسان إلى **توجيه عقله** نحو العلم وعدم إهماله؛ لما في العلم من الفائدة العظيمة، فالعلم هو طريق الهداية والتوفيق، والله تعالى سمّى العلم في القرآن ووصفه بأوصاف متنوعة: فالعلم هو النور؛ لأن العلم يضيء الطريق أمام الناس, والعلم هو البصيرة؛ لأنه يحفظ صاحبه من الزلل, والعلم هو السلطان؛ لأن العلم هو الذي يقود إلى سيادة العقل والضمير وإلى السيادة على الأرض والحياة: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرحمن: ٣٣], والعلم هو الحكمة لأنه يضع كل شيء في مَحَلِّهِ ونِصابه.

و"**العلمُ**" هو مبتغى القلةِ من الناس، فمعظم الناس يطلبون المنافع والمكاسب المادية، والقلة القليلة هم من يُضحونَ بالدنيا ويَرْضَونَ بالفقر وشَظَفِ العيش رغْبةً في العلم، ولذلك رفع الله تعالى مكانة العلماء في الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة: ١١] ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في السنة النبوية الشريفة: " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله أو عالماً أو متعلماً"، وقال بعض الشعراء في مدح العلم وفضله على الإنسان:

العلم يرفع بيوتا لا عِماد لها والجهل يهدم بيوت العز والكرم

ولكن هناك قضيةٌ في غاية الأهمية: وهي أنَّ الإنسان إذا اشتغل بطلب أمرٍ ما فإنه يُسمى باسمه، فالذي يشتغل بالحديد يسمى حداداً، وفي الخشب نجاراً، وفي علاج الناس طبيباً، وهكذا من يشتغل بعلم الحلال والحرام يسمها **فقيهاً**، ومن يشتغل بمسائل الإيمان والعقيدة يسمى **متكلماً**[1]، ومن يشتغل بالأخلاق يسمى **صوفياً**، ومن يشتغل بالقرآن يسمى **مقرئا ومفسراً**، ومن يشتغل بالحديث يسمى **محدثاً**، وهكذا من يشتغل باللغة العربية يسمى لغويا ونَحْوياً ..... الخ.

---

[1] يطلق مصطلح "**المتكلمون**" على مجموعة العلماء الذين تخصصوا في دراسة القضايا **النظرية** في الدين الإسلامي هي المسائل العقائدية، وهو مصطلح عام يشمل جميع الفرق الإسلامية: السنة، والمعتزلة، والقدرية، والجبرية، والشيعة، والمجسمة، والتيمية أتباع ابن تيمية،

وقد اعتاد الناس على نسبة الأشخاص إلى المهنة أو التخصصات التي يعملون فيها، فهناك الأطباء والمهندسون والفقهاء **والمتكلمون** (علماء العقيدة) والصوفية (علماء الأخلاق)، والمحدثون، والمفسرون وغيرُهم، ولذا على المسلم أن يتنبه إلى هذه السنة التي فطر اللهُ الناسَ عليها.

وهؤلاء الخيرةُ من الناس استحقوا هذه الألقابَ والتخصصاتِ لأنهم اجتهدوا وأفنوا أعمارَهم وأوقاتِهم في تحصيل العلم، فمن أراد التكلم في علم الطب والهندسة أو في علم الفقه والعقيدة والتفسير فعليه أن يجتهد ويتعب كما اجتهدوا وتعبوا، وأنْ يُظهر علمَه للناس ليشهدوا له، فليس نيل المُنى بالتمني والتحذلق بألفاظ العلم دون وعي معناها.

ثم إن بعض العلماء أتقنوا علمهم حتى برزوا وأصبحوا كبارا فيه، فمن الفقهاء مثلا الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه، فإنه لما برز في علم الفقه وبرع، وأصبح إماما فيه انتسب الناس إليه وأصبح اسمهم الحنفية.

وهكذا مثلا قرّاء ورواة القرآن، وهم الذين اهتموا برواية القرآن جيلا بعد جيل، فمنهم عاصم وورش والدوري وقالون وغيرُهم، فهؤلاء لما اهتموا بإقراء القرآن وروايته سمّوا قرّاءَ ورواة، ثم بعد ذلك انتسب الناس إليهم، فنحن في الأردن ـــ مثلاً ـــ نقرأ برواية حفص عن عاصم، وفي المغرب يقرؤن برواية ورش، وفي ليبيا برواية قالون، وكلهم يقرأ نفس القرآن.

وإنَّ الانتساب إلى العلماء في الإسلام ليس لأشخاصهم بل لأنهم درسوا علوم الشريعة وتلقوّها عمن قبلهم وتخصصوا فيها حتى أصبحوا أصحابها وسادتها ومنهم يُستمد فقهُ الدين، **فهو انتساب في العلم في حقيقة الحال**، وهو معنى قوله صلى الله عليه و سلم: (العلماء ورثة الأنبياء)، فانتساب الناس إلى علماء الدين هو انتساب إلى الدين في الحقيقة.

ومن هؤلاء العلماء علماء العقيدة في تاريخنا الإسلامي المجيد، فهناك طائفة من الناس اختاروا التخصص في هذا العلم، فدرسوه من الكتاب والسنة، حتى برعوا في التكلم فيه، وعُرفوا باسم (**المتكلمون**) أي الذين برعوا في **التكلم** في علم العقيدة، فحفظ الله بهم العقيدة الإسلامية، كما حفظ الله الفقه الإسلامي بالأئمة الأربعة، وكما حفظ – تعالى- الحديث النبوي بالبخاري ومسلم وغيرهما.

ومن هؤلاء العلماء الذين اشتهروا وذاع صيتهم وكانوا أئمة في العقيدة عند أهل السنة **الإمام أبو الحسن الأشعري والإمام أبو منصور الماتريدي**، فلمَّا كان لهم الفضلُ الكبيرُ في زمانهما في خدمة عقيدة أهل السنة، وتأليف الكتب فيها، والرد على المخالفين من اليهود والنصارى، ومن الشيعة والمجسمة والروافض والخوارج، وما كان من انتشار تلاميذِهما في

والخوارج، وغيرهم. إلا أن أهل السنة تمسكوا بالحق وطوعوا علم الكلام لخدمة عقائد أهل السنة، فيما استعمله أهل البدع والأهواء من بقية الفرق في خدمة أهوائهم وعقائدهم الفاسدة، ولهذا ذم الإمام الشافعي طريقة استعمال أهل البدع لهذا العلم الجليل، ولا يغرنك خداع الوهابية والسلفية للناس عندما يقولون لهم إن الإمام الشافعي ذم أصل علم الكلام، فهذه مغالطة منهم حتى إذا ما ترك الناس هذا العلم الجليل بحسب طريقة أهل السنة في استعماله وعمهم الجهل فيه نشروا بين الناس العقائد التي يعتقدون التي هي عقائد التجسيم، وبهذا لن يتمكن الناس من إدراك مفاسد العقائد الوهابية.

وعلى العوام أن يعرفوا أن رباط الدين يعم جميع الفرق والمذاهب الإسلامية، ولكن هذا لا يعني أن كل من مارس التفكير ثم جاء لنا بتفسير معين للدين أو لمسألة ما فيه أن تفسيره أو قوله يكون وجيها ومعتبرا بالضرورة، فالفكر منه ما هو صواب ومنه ما هو خطأ، ولكن لما غلب على الطائفة المسماة بأهل السنة التزامها بما كان عليه الأوائل من الصحابة والسلف الصالح جاءت طريقتهم في الدين خالية عن الشوائب وأخذت طريقتهم في العصور المختلفة مقياسا ومعيار لمعرفة العقائد الإسلامية الصحيحة، وبها يفرق بين أهل الحق وأهل الزيغ.

البلاد الإسلامية، وارتضاءِ الخلفاء والعلماء بهما مرجعا لأهل السنة، أصبح كلُ مسلمٍ يَنسبُ نفسَهُ إلى هـــذين الإمـــامين العالِمين، يُسمى سنياً أشعرياً وسنياً ماتريدياً، ومن هنا أصبح أهل السنة والجماعة يعرفون بسم" الأشاعرة والماتريدية".

كما أن من انتسب إلى أبي حنيفة في الفقه سمي سنيًّا حنفيا، ومن انتسب إلى الشافعي سمّي سنيا شافعياً، ومن انتسب إلى مالك سمّي سنياً مالكياً، وهكذا من قرأ برواية من الروايات المتواترة عن أئمة القراء فقد نسب نفسه إلي الإمام المشهور بتلك الرواية.

لكن الفرق أن الانتساب إلى هؤلاء الفقهاء الأربعة هو انتساب فقهي، وأما الانتساب إلى الأشعري والماتريدي فهو انتساب عقائدي، وكلٌ هؤلاء يمثلون مذهب أهل السنة، ولكن هذا هو شأن الاختلاف في التخصصات العلميـــة كمـــا بيناه سابقا، ولا ضير في ذلك، فكثيراً ما نقول: أهل السنة وإن اختلفوا في الفقه إلا أنهم على عقيدة واحدة.

ومن ينسبُ نفسه إلى غير الأشاعرة والماتريدية فإنه لا يكون على مذهب أهل السنة والجماعة كمن ينسب نفســـه مثلاً إلى هشام بن الحكم أو الطوسي أو صدر الدين السهروردي فإنه يكون شيعياً، وكذا من ينسب نفسه إلى ابن تيمية أو محمد بن عبد الوهاب أو الألباني أو ابن باز أو ابن عثيمين فإنه يكون مشبها مجسما، وهكذا نجد أن أهل الإسلام كل فئةٍ أو مذهبٍ منهم ينسب نفسه إلى مؤسس ذلك المذهب الذي ينتمي إليه، فكذا من انتسب في العقيدة إلى أبي الحســـن الأشعري وأبي منصور الماتريدي و الطحاوي والبيهقي فهو سني[1].

---

[1] هنا يوجد مشكلة في أذهان عوام الناس، وهي: ما هو المعيار الذي به أفرق بين المسلمين أيهم سنة وأيهم مجسمة وأيهم شيعة وأيهم فيلسوف وأيهم من الخوارج...؟

هناك من يقول: إن التفريق يكون بواسطة المذاهب الفقهية، فتراه يقول: من كان من أهل المذاهب الأربعة فهو سني ومن لا فلا.

وهناك من يقول إن معيار التفريق غير ذلك.

وهذا غير صحيح، فإنه و إن كان الغالبية العظمى من المذاهب الأربعة من أهل السنة إلا أنه من المعروف تاريخيا أن هناك نسبة من أهل المذاهب الأربعة كانوا مجسمة كبعض الحنفية وطائفة لابأس بها من الحنابلة ومن هؤلاء ابن تيمية والوهابية وهناك من كان من أهل المذاهب الأربعة وهو في العقيدة من المعتزلة كبعض الشافعية.

ولهذا نقول إن المعيار والضابط الذي نفرق به بين الفرق الإسلامية هو **العقائد** التي يعتقدها فلان أو فلان، وليس مذهبه الفقهي ولا الأخلاقي، ولهذا هناك من هو منتم إلى الفقه الإسلامي في هذه الأيام ويدعي أنه من أهل السنة بذلك وإذا تفحصت أقواله في العقائد وجدته ليس من أهل السنة كمن هو منتسب إلى الحنفية أو المالكية أو الشافعية أو الحنابلة وهو في العقائد على مذهب المجسمة من التيمية أتباع ابن تيمية من الوهابية والسلفية، فمثل هؤلاء لا يمكن أن يكونوا من أهل السنة.

والحاصل من ذلك أن من كان من أهل اللغة العربية أو الفقه أو الحديث أو التفسير أم من أهل الفكر والدعوى ملتزما بعقيدة أهل السنة التي نص عليها الأشاعرة والماتريدية فإنه يكون من أهل السنة، ومن لم يكن ملتزما بالعقائد السنية التي نص عليها الأشاعرة والماتريدية لا يكون من أهل السنة ولو كان مكن أعظم علماء اللغة أو التفسير أو الحديث أو أي تخصص آخر.

ومن الأمور التي يجب التنبه إليها أن كثيرا من أهل السنة أصابهم الجهل بحقيقة عقائد أهل السنة فاستغل الوهابية المجسمة ذلك ونشروا عقائدهم الفاسدة بين المسلمين مطلقين على أنفسهم أنهم هم المحيون والمجددون لعقائد الصحابة والسلف الصالح وهم في الحقيقة يحيون عقائد ابن تيمية الفاسدة الذي سموه ب "شيخ الإسلام" وجعلوا له هيبة عظيمة في نفوس الناس. ومن الغريب أننا نجد بعضا من العلماء الفقهاء من أهل السنة وهو مع ذلك يخالف أهل السنة في واحدة من أعظم عقائدهم كالشيخ الفاضل يوسف القرضاوي وفقه الله إلى كل خير في مسألة "**خلق الأفعال**" فأنه في كتابه "القضاء والقدر" حيث تبنى فيه عقيدة أخرى مغايرة لعقيدة أهل السنة.

ولأجل الكشف عن أهل السنة الحقيقيين أردنا كتابة هذه الأبحاث.

فإذا كان الشيعة يقولون: نحن نتبع هذا الدين بفهم الطوسي أو السهروردي، والسلفيون "الوهابية" يقولون: نحن نتبع الكتاب والسنة بفهم ابن تيمية، فإن أهل السنة يقولون: أما نحن فإننا نتبع الكتاب والسنة لكن بفهم أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والأشعري والماتريدي وغيرهم من أئمة الدين.

وهذه هي طبيعة الحال مع كل الناس وعلى مدار التاريخ، فالناس دائما يتطلعون إلى الانتساب إلى العلماء المُبرزِين في الحياة، وهاك مثلا أهل الأحزاب فكل واحد ينسب نفسه إلى مؤسس الحزب الذي ينتمي إليه لما رأى فيه من القدوة والأسوة.

ومن المعلوم أنه لا يوجد شخص غير منتسب إلى رجال، فالرأسماليون ينسبون أنفسهم إلي وليم جيمس، والشيوعيون ينسبون أنفسهم إلى ماركس وإنجلز، وأهل الأديان السماوية ينسبون أنفسهم إلى الأنبياء، وهكذا هي طبيعة هذا الإنسان الذي خلقه الله يحمل نفسه دائماً على الانتساب والسير وراء أصحاب الدعوات الكبيرة.

وعلاوة على ذلك فإن الله تعالى أمر الناس وكلفهم باتباع أشخاص معينين هم الأنبياء، ومن بعدهم العلماء فقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ ﴾ [النحل: ٤٣]، وقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ ﴾ [الأنبياء: ٧]

ولما كان أهل السنة هم الأشاعرة والماتريدية، أحببنا إرشاد الناس إلى ذلك والتدليل عليه بالأدلة العلمية المنقولة عن الأئمة المعتبرين.

والله من وراء القصد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أشرف الخلق وسيد المرسلين، وعلى آله الطيبين، وعلى أصحابه رضي الله تعالى عنهم أجمعين، والتابعين وتابعي التابعين، والسائرين على نهجهم وطريقتهم إلى يوم الدين وبعد:-

فإن أهل السنة والجماعة هم أهل الحق الذين حملوا هذا الدين وحافظوا عليه وصانوه، فلم يتركوا أصلاً من أصوله إلا وأظهروه وبينوه بالأدلةِ القطعيةِ: الشرعيةِ والعقليةِ، وردوا على المخالفين فأبطلوا شُبَهَهُمْ واعتراضاتِهم، فيجب بسبب ذلك محبتُهم، وموالاتُهم، والسيرُ على طريقِهم، والأخذُ بعلومِهم، والاستفادةُ من كل ما قدموه في صناعة الوعي الإسلامي المعاصر، ثم الانطلاقُ بعد ذلك إلى الرد على المخالفين للدين الإسلامي من اليهود والنصارى والملحدين والعَلمانيين، وكلِ من يعارض شريعة الإسلام.

ولا نغفل أيضا عن أن ننبه عن بعض المنحرفين من المسلمين الذين تركوا مقتضى الكتاب والسنة واتبعوا أهواءهم؛ فنسبوا إلى الدين ما ليس فيه ولا منه، كالشيعة والإباضية والوهابية والسلفية وبعض الأفكار الحزبية.

ولا ننسى أيضا الكشف عن بعض المتلاعبين بالإسلام، الذين آمنوا بالعَلمانية، ثم شرعوا ينقضون أصول الإسلام، وعلوم العلماء والفقهاء، وأخذوا في محاولة تفسير الإسلام تفسيراتٍ عَلمانيةً مما يساهم في هدم كل ما في الإسلام فلا يبقى منه شيءٌ سوى اسمِه أمثال: محمد عابد الجابري، ونصر حامد أبو زيد، وحسن حنفي ومحمد أركون وغيرهم.

والإضاءات التي سنذكرها في هذه السلسلة ستكون متنوعة العناوين والمواضيع، حيث سنذكر فيها تعريفاً بأهل السنة والجماعة، وبيان عقائدهم وأفكارهم وآرائهم، وعلمائهم وخلفائهم وحكامهم وتاريخهم واجتهاداتهم في بعض القضايا المعاصرة وغيرها، مما سيكون سبباً إن شاء الله تعالى في تثقيف كل المسلم ومسلمة وربطهما بدينهما وتاريخهما وماضيهما المجيد حتى يتمكنا من توجيه نفسيهما الآن وفي المستقبل التوجيه السديد القويم.

أيها القارئ الكريم:

يمثل أهل السنة والجماعة الغالبية العظمى من المسلمين في العالم، حيث يتجاوز عددهم المليار مسلم، وهم موجودون بالفعل ومنتشرون في القارات الخمس، ولهم زعماؤهم وعلماؤهم ودعاتهم وفئاتُهم الذين يدعون إلى عقيدتهم وفقههم ومنهجهم ، وهؤلاء في الحقيقة هم الأشاعرة والماتريدية من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

وأهل السنة هؤلاء كالأسد النائم، كلٌ يريد أن يساهم في موته، ولكن هيهات هيهات، فلن يجعل الله تعالى للكافرين والمنحرفين على المؤمنين سبيلا، بحفظ الله تعالى، ثم بجهد العلماء وهمتهم العالية، ونحن في سبيل تبصير المسلمين بأهل السنة والجماعة، وتعريفهم بهُوِّيتِهم، نريد أن نجعل العدد الأول من هذه السلسلة في التعريف بأهل السنة والجماعة، ونجيب فيها عن السؤال التالي:

من هم أهل السنة والجماعة ؟

وإن الإجابة عن هذا السؤال الكبير يحتاج إلى بحث طويل، ولكننا سنقتصر في هذه الإضاءة الأولى من هذه السلسلة على جواب إجمالي، نذكر فيه شهادات وفتاوى وأقوال علماء الأمة الإسلامية الكبار، وبعض الفوائد العلمية المتعلقة بالموضوع، ونبذة تاريخية عن أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية.

الشروع في الجواب الإجمالي:

اعلم أخي المسلم أن كلمة " **أهل السنة والجماعة** " يندرج تحتها ثلاث فئات:

الفئة الأولى

فئة علماء العقيدة، وهم الأشاعرة والماتريدية.

الفئة الثانية

فئة الفقهاء، وهم أهل المذاهب الأربعة: الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. إلا القلة منهم ممن لحق بغير أهل السنة في عقائده.

الفئة الثالثة

فئة علماء الأخلاق والتزكية، وهم الإمام الجنيد والإمام الحارث المحاسبي والإمام الغزالي، ومن تبعهم من صوفية أهل السنة المتمسكين بالثوابت الفقهية والأصول العقائدية.

بهذا تعلم أخي المسلم المؤمن بدينه صدقاً وإخلاصاً أن مصطلح " أهل السنة " يشمل كل هؤلاء وبالتالي يجب عليك الرجوع إليهم في التعرف على شؤون دينك في كل مسألة من المسائل.

والمسلمُ قد يسأل ويقول: لماذا جعلت أهل السنة والجماعة مقسمين إلى هذه الفئات الثلاث ؟.

نقول: كلنا يحفظ حديث جبريل عليه السلام عندما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله الأسئلة التالية:

ما الإيمان ؟.

ما الإسلام؟.

ما الإحسان؟.

فأجابه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن **الإيمان ببيان مسائل العقيدة** فقال: الإيمان أن تؤمن بـــالله وملائكتـــه وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى.

وأجابه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن **الإسلام ببيان مسائل الفقه الإسلامي** فقال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا.

كما **أجابه** صلى الله عليه وسلم عن **الإحسان ببيان حال المسلم في علاقته مع ربه من الخوف والمراقبه له تعالى في كل شأن من شؤننا** فقال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فالنبي صلى الله عليه و سلم بعثه ربُهُ ليبلغ الناس و يبين لهم أحكام الدين من:

العقيدة الصحيحة، المتعلقة بالله تعالى ذاتا وصفات وأفعالا، وما يتعلق بالأنبياء والمرسلين، وما يتعلق بالآخرة من عقائد غيبية.

و**الأحكام الشرعية الفقهية** من عبادات ومعاملات وحدود ومناكحات وجهاد وغيرها.

وليبين لهم أيضاً **الأخلاق والآداب الصحيحة** التي توصل المسلم إلى عبادة الله تعالى بصدق وإخلاص ومجاهدة للنفس والمجتمع مع اليقين والتوكل.

ووظيفة علماء أهل السنة والجماعة هي تبليغ أحكام هذا الدين إلى الناس، بمعنى أن يوصلوا إليهم العقائد والفقه والأخلاق على الوجه الأتم والأكمل، كما وردت به الأدلة الشرعية.

ولما كان علماء الأشاعرة هم الذين تخصصوا في دراسة العقائد الإسلامية كما وردت عن الصحابة والتابعين والسلف الصالح كانوا هم أهل السنة والجماعة على الحقيقة.

نعم، إنَّ "**والأشاعرة**" هم الذين مثلوا أهل السنة على طول تاريخنا الإسلامي فهم الذين دافعوا عن عقائدهم فاستنبطوها من القرآن والسنة وكتبوا فيها الكتب وصنفوا فيها المصنفات وأقاموا عليها الأدلة الشرعية والبراهين العقلية لحراستها حق الحراسة والوقوف في وجه الطاعنين ورد شبهات المعترضين حماية لها من مكائد اليهود والنصارى وانحرافات أهل الأهواء من الشيعة والمجسمة والخوارج والقدرية والرافضة والجهمية والجبرية والمعتزلة وغيرهم.

وهم كذلك الأقدر على حمل رسالة الدين والدعوة إليه والرد على المخالفين له سواء من كانوا من أبناء جلدتنا الذين انفكوا عن عقيدة الإسلام وتلبسوا بعقائد فاسدة من مادية وغيرها، أو كانوا أصحاب عقائد وفلسفات مخالفة للإسلام.

وقد يسأل سائل فيقول: هل هناك أدلة وأقوال للعلماء السابقين تبين وتثبت أن الأشاعرة والماتريدية هم أهل السنة الحقيقيون؟.

الجواب: نعم، وهاك بعضاً منها لعل الله يضيء بها قلبك وينور بها عقلك:

أولا: إن الأشاعرة والماتريدية لا يخالفون ما كتبه الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان في كتابه: "الفقه الأكبر"، والذي يعتبر أول كتاب صنف في عقيدة أهل السنة، فمن أراد التعرف على عقيدة الأشاعرة والماتريدية يكفيه أن يقرأ هذا الكتاب ويعتقد ما فيه.

ثانيا: إن الأشاعرة والماتريدية يعتبرون كتاب "العقيدة الطحاوية" الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطحاوي واحدا من أهم متون العقيدة في مذهب أهل السنة، وما زال الأشاعرة يدرسون هذا الكتاب لتلاميذهم منذ القرون الأولى، ويعتقدون الأصول العقائدية المدونة فيه، ولا يجوزون مخالفتها.

ثم إن ما ورد عن علماء أهل السنة من شهادات وفتاوى وأقوال تثبت صدق الدعوى القائلة: **إن الأشاعرة والماتريدية هم الذين يمثلون أهل السنة على الحقيقة دون غيرهم**، وإليك بعضا من هذه الشهادات والفتاوى والأقوال والتي ستعرف منها أسباب الحرب الشعواء التي يشنها أهل البدع من الشيعة والوهابية والسلفية والعلمانيين على أهل

السنة حتى يبقى الناس مغيبين عن أصولهم الاعتقادية الحقيقية، وإن أقل ما نرجوه من المسلم أن يبحث عن الحق فالحكمة ضالة المسلم كما بينه المصطفى صلى الله عليه و سلم:

الشهادة الأولى: شهادة الشيخ الإمام قاضي القضاة في زمانه أحد كبار علماء المذهب الشافعي في عصره تاج الدين السبكي (ت 771 هـ) حيث قال في كتابه المشهور "معيد النعم ومبيد النِقم " ص 75:

"وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة ـــ ولله الحمد ـــ في العقائد يد واحدة, كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون لله تعالى بطريق شيخ أهل السنة أبي الحسن الأشعري، رحمه الله، لا يحيد عنها إلا رعاع من الشافعية لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، **وبرَّأ** اللهُ المالكيةَ فلم نرَ مالكياً إلا أشعرياً عقيدة.

وبالجملة **عقيدة الأشعري** هي ما تضمنته عقيدة أبي جعفر الطحاوي[1] التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول، ورضوها عقيدة.

وقد ختمنا كتابنا "**جمْعُ الجوامع**[2]" بعقيدة ذكرنا أن سلف الأمة عليها، وهي وعقيدة الطحاوي، وعقيدة أبي القاسم القشيري، والعقيدة المسماة بالمرشدة مشتركات في أصول أهل السنة والجماعة".

الشهادة الثانية : قال الإمام السُبْكِيُّ أيضاً في كتابه النفيس " طبقات الشافعية " (222/3) في ترجمة الإمام أبي الحسن الأشعري:

---

[1] الإمام الطحاوي من عمالقة علماء أهل السنة، وهو حنفي المذهب، كتب مختصرا في علم العقيدة قال في مطلعه أنه يذكر فيه عقيدة الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، وما كان عليه أهل السنة من عقائد، وهذا الكتاب يعتبر من أهم كتب العقائد عند أهل السنة، لأنه من أقدم ما كتبه أهل السنة من كتب يذكرون فيها عقائدهم، وقد اعتنى العلماء في كل عصر من عصور المسلمين بهذا الكتاب، وذلك لأنهم رأوا فه خير معبر عن عقيدة أهل السنة، وما من إمام من أئمة أهل السنة إلاَّ وله تأييد لما ذكر الإمام الطحاوي في من عقائد أهل السنة، وعلى رأس هؤلاء علماء الأشاعرة، فإنهم على ما فيه مرابطون ولما ورد فيه معتقدون وإلى ما فيه داعون فمن أراد أن يطلع على عقائد الأشاعرة فعليه بكتاب الإمام الطحاوي. هذا ولما بلغ كتاب الطحاوي ما بلغ من اعتماد العلماء لما جاء به من تدوين لعقائد أهل السنة أصبحت عباراته عند العلماء كمقياس لغيره من الكتب والعقائد، فما اتفق منها مع ما ورد في كتاب العقيدة الطحاوية فهو من أهل السنة وما لا فلا.

وهنا لابد من كلمة نبين فيها كيف أن أحد المجسمة، وهو ابن أبي العز الحنفي، تجرَّأ على كتاب الطحاوي وشرحه بشرح موسع لكن لم يشرحه على طريقة أهل السنة وإنما على طريقة المجسمة، وقد نبه العلماء على أن ذاك الشرح هو شرح لعقيدة المجسمة وليس شرحا لعبارات كتاب الطحاوي السنية، ولما جاءت الدعوة الوهابية وبدأت تنشر أفكارها وعقائدها الفاسدة في العالم العربي والإسلامي اهتمت بنشر كتاب شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي, وهذا الكتاب طبعه ونشره كبار مشايخ الوهابية في هذا الزمان كالشيخ الألباني وغيره حتى عملوا على أن لا يخلوا منه مسجد. والملاحظ أن ابن أبي العز الحنفي، ومشايخ السلفية كالألباني وابن باز وابن عثيمين كانوا يعترضون ويرفضون الكثير من العقائد التي نص عليها الطحاوي والتي نص العلماء على أنها ما كان عليه الصحابة والتابعون من اعتقاد، وهذا يدل على هؤلاء المجسمة الجدد ليسوا من أهل السنة في شيء، ولكن غفلة المسلمين عن تبين عقيدتهم فتح الباب أمام هؤلاء المجسمة ليصولوا ويجولوا في لبلاد الإسلامية. وقد درج السلفية والوهابية في بادئ الأمر يقولون ويدعون أن على عقيدة الطحاوي، ثم لما افتضح أمرهم بدءوا يتبرؤون مما كتبه الطحاوي في عقيدته.

[2] وهو كتاب في أصول الفقه جمع فيه بين طريقي الحنفية والشافعية، وقد اهتم العلماء به اهتماما كبيرا فدرَّسوه للطلاب وكتبوا عليه الشروح والحواشي التي سارت بها الركبان.

"شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى، الشيخ أبو الحسن الأشعري البصري، شيخ طريقة أهل السنة والجماعة، وإمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين، والساعي إلى حفظ عقائد المسلمين... ".

ثم قال في نفس المصدر، ص 373 :

" ذِكْرُ بيانِ أنَّ طريقةَ الشيخ (أبي الحسن الأشعري) هي التي عليها المعتبرون من علماء الإسلام، والمتميزون من المذاهب الأربعة في معرفة الحلال والحرام، والقائمون بنصرة دين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام:

قد قدمنا في تضاعيف الكلام ما يدل على ذلك، وحكينا لك مقالة الشيخ ابن عبد السلام[1]، ومن سبقه إلى مثلها وتلاه على قولها، حيث ذكروا: أن الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة أشعريون.

هذه عبارة ابن عبد السلام شيخ الشافعية، وابن الحاجب شيخ المالكية، والحصيري شيخ الحنفية.

ومن كلام ابن عساكر حافظ هذه الأمة الثقة الثبت: هل من الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية إلا موافق للأشعري، ومنتسبٌ إليه، وراضٍ بحميدِ سعيهِ في دين الله، مثنٍ بكثرة العلم عليه .... الخ".

ثم ذكر الإمام تاج الدين السُبْكِيُّ في ص 374 بعض الفتاوي لعلماء كبار من علماء أهل السنة من الحنفية والشافعية وغيرهم تبين أن الأشاعرة والماتريدية هم الممثلون الحقيقيون لعقيدة أهل السنة والجماعة سنذكرها في محلها في هذه الورقات[2].

الشهادة الثالثة: شهادة الإمام الكبير أبي إسحاق الشيرازي، أحد كبار فقهاء المذهب الشافعي صاحب كتابي: التنبيه، والمهذب في فقه الشافعية، حيث قال في كتابه (الإشارة إلى مذهب أهل الحق) ص 275:

"فمن أعتقد غير ما أشرنا إليه من اعتقاد أهل الحق المنتمين إلي الإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه فهو كافر، ومن نسب إليهم غير ذلك فقد كفرهم، فيكون كافراً بتكفيره لهم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ما كَفَّرَ رجلٌ رجلاً إلا باء به أحدهما "؛ إنْ كان كافراً إنه لكما قال وإنْ كان مسلماً لقد كفر بتكفيره إياه، فمن كان هذا اعتقاده ودينه فكيف يستحل المسلم أنْ يغتابه فضلاً عن أن يكفره ويلعنه ... الخ".

ثم قال الشيرازي في ص 283:

" فمن كان في الفروع على مذهب الشافعي، وفي الأصول على اعتقاد الأشعري فهو مُعَلَّمُ الطريق، وهو على الحق المبين، كما أنشد بعض الأصحاب:

إذا كنت في علمِ الأصولِ موافقاً بعَقْدك قولَ الأشعريِّ المُسدَدِ

وعاملتَ مولاكَ الكريمَ مُخالصاً بقول الإمام الشافعي المؤيد

---

[1] وهو المعروف بسلطان العلماء وبائع المماليك.

[2] انظر للاستزادة في ذلك خاتمة كتاب "جمع الجوامع" في أصول الفقه للإمام السبكي

وأتقنتَ حرفَ ابنِ العلاءِ مجـــــرداً ولمْ تعْـــدُ فـــي الإعـــرابِ رأيَ المُبـــرَدِ

فأنت على الحـــق اليقين موافـــــقٌ شريعةَ خيرِ المرسلينَ محمـــــــــــــدِ"

الشهادة الرابعة : شهادة خاتمة المحققين، وعمدة ذوي الفضل من المدققين، الإمام الكبير السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، شارح إحياء علوم الدين لحجة الإسلام أبو حامد الغزالي، وشارح القاموس المحيط للفيروز آبادي، حيث قال في كتابه العظيم النفيس (إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين) ص 6/2:

"إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم: [الأشاعرة والماتريدية]، قال الإمام المدقق المحقق الخيَّالي في حاشيته علـــى شرح سعد الدين التفتازاني على العقائد النسفية ص 14: الأشاعـــــــرة: هم أهل السنة والجماعة، هذا هو المشهور في ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الأقطار، وفي ديار ما وراء النهر يطلق ذلك على الماتريديـــة أصـــحاب الإمـــام أبي منصور الماتريدي.

وقال العلامة مصلح الدين مصطفى الكستلي (ت 901هـــ) في حاشيته على شرح العقائـــد النســـفية ص 17: المشهور من "**أهل السنة**" في ديار خراسان والعراق وأكثر الأقطار هم **الأشاعرة** أصحاب أبي الحسن الأشعري وفي ديـــار ما وراء النهر **الماتريدية**، أصحاب أبي منصور الماتريدي تلميذ أبي نصر العياضي تلميذ أبي بكر الجوزجـــاني صـــاحب أبي سليمان الجوزجاني صاحب محمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة".

ثم قال الإمام الزبيدي بعد ذلك:

"وقال ابن السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب[1]: اعلم أن أهل السنة والجماعة كلهم قد اتفقوا على معتقد واحـــد فيما يجب ويجوز ويستحيل، وإن اختلفوا في الطرق والمبادي الموصلة لذلك أو في لمية ما هنالك، **وبالجملة فهم بالاستقراء ثلاث طوائف**:

الأولى: أهل الحديث، ومعتمد مباديهم الأدلة السمعية، أعني الكتاب والسنة والإجماع.

الثانية : أهل النظر العقلي والصناعة الفكرية، وهم الأشعرية والحنفية، وشيخ الأشعرية أبو الحسن الأشعري، وشيخ الحنفية أبو منصور الماتريدي.

الثالثة: أهل الوجدان والكشف، وهم الصوفية، ومباديهم مبادي أهل النظر والحديث في البداية، والكشف والإلهام في النهاية".

ثم قال الإمام الزبيدي:

" وليعلم أن كلاً من الإمامين: أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي– رضي الله عنهمـــــا ـــ وجزاهمـــا الله عن الإسلام خيراً، لم يبدعا من عندهما رأياً، ولم يشتقا مذهباً، إنما هما مقرران لمذهب السلف، مناضلان عما كـــان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأحدهما قام بنصرة نصوص مذهب الشافعي، وما دلت عليه، والثاني

[1] كتب الإمام ابن الحاجب المالكي تاج الدين السبكي كتابا مختصرا في عقيدة أهل السنة ثم شرحه الإمام تاج الدين السبكي.

قام بنصرة نصوص مذهب أبي حنيفة، ما دلت عليه، وناظر كل منهما ذوي البدع والضلالات حتى انقطعوا وولوا منهزمين وهذا في الحقيقة أصل الجهاد الحقيقي الذي تقدمت الإشارة إليه.

فالانتساب لهما إنما هو باعتبار أن كلا منهما عقد على طريق السلف نطاقاً، وتمسك وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به في تلك المسائل والدلائل يسمى أشعرياً وماتريدياً.

وذكر العز بن عبد السلام ـــ سلطان العلماء وبائع الملوك ـــ أن عقيدة الأشعري أجمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة.

ووافقه ذلك من أهل عصره شيخُ المالكية في زمانه أبو عمرو بن الحاجب، وشيخُ الحنفية جمال الدين الحصيري، وأقره على ذلك التقيُّ السُبْكِيُّ فيما نقله عنه ولدُه التاجُ السُبْكِيُّ".

ثم قال الإمام الزبيدي:

"قال عبد الله الميورقي ما نصه : أهل السنة من المالكية والشافعية وأكثر الحنفية بلسان أبي الحسن الأشعري يناضلون، وبحجته يحتجون.... .

ثم قال الزبيدي: و لم يكن أبو الحسن أول متكلم بلسان أهل السنة إنما جرى على سنن غيره، أو على نصرة مذهب معروف، فزاد المذهب حجة وبياناً، و لم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهبا انفرد به، ألا ترى أن مذهب أهل المدينة نسب إلى مالك، ومن كان على مذهب أهل المدينة يقال له مالكي، وإنما جرى على سنن من كان قبله وكان كثير الاتباع لهم إلا أنه لما زاد المذهب بيانا وبسطاً عزي إليه.

وكذا أبو الحسن الأشعري، لا فرق، ليس له في مذهب السلف أكثر من بسطه وشرحه وتواليفه في نصرته".

ولقد بين الإمام الزبيدي في ص 13 الأصول التي اعتمدها وسار عليها كل من الإمام الأشعري والإمام الماتريدي في بناء مذهب أهل السنة والجماعة فقال :

"هذه المسائل التي تلقاها الإمامان أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي هي أصول الأئمة، رحمهم الله تعالى: فالأشعري بَنَى كتبَه على مسائل من مذهب الإمامين مالك والشافعي، والماتريدي كذلك أخذها من نصوص أبي حنيفة".

ثم قال الإمام الزبيدي:

فإن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه وصاحبيه محمد بن الحسن وأبا يوسف، هم أول من تكلم في أصول الدين، وأتقنوها بقواطع البراهين على رأس المائة الهجرية الأولى، فقد جاء في كتاب التبصرة البغدادية: أول متكلمي أهل السنة من الفقهاء أبو حنيفة، ألف فيه "الفقه الأكبر" و"الرسالة" في نصرة أهل السنة، وقد ناظر فرقة الخوارج والشيعة والقدرية والدهرية، وسافر إليهم لمناظرتهم وإقامة الحجة عليهم نيفاً وعشرين مرة ". انتهى من شرح الزبيدي.

الشهادة الخامسة : شهادة العلامة المحقق أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده، أحد علماء الخلافة العثمانية في كتابه: (مفتاح السعادة ومصباح السيادة)، ص 132/2 حيث قال:

"ثم اعلم أن رئيس أهل السنة والجماعة في **علم الكلام** رجلان: أحدهما حنفي والآخر شافعي، أما الحنفي فهو أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي، إمام الهدى، مات بسمرقند سنة 333هـ ، وأما الآخر الشافعي فهو شيخ السنة، ورئيس الجماعة، إمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين, أبو الحسن الأشعري، إمام حبر، وتقيٌ بزٌ، منقي بأنوار اليقين من الوقوع في ورطات ما التبس، حامي جناب الشرع الشريف من الحديث المفترى، الذي قام في نصرة ملة الإسلام، فنصرها نصراً مؤزراً".

الشهادة السادسة: شهادة الإمام العلامة عبد الوهاب الشعراني في كتابه المسمى: (اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر)، في ص 3 حيث قال:

"واعلم يا أخي أن المراد بأهل السنة والجماعة في عرف الناس اليوم الشيخ أبو الحسن الأشعري ومن سبقه بالزمان كالشيخ أبي منصور الماتريدي وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

وقد كان الإمام الماتريدي إماما عظيما في السنة كالشيخ أبي الحسن الأشعري ولكن لما غلب أصحاب الشيخ أبي الحسن الأشعري على أصحاب الماتريدي كان الماتريدي أقل شهرة، فإن أتباع الماتريدي ما وراء نهر سيحون.

وأما أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري فهم منتشرون في أكثر بلاد الإسلام كخراسان والعراق والشام ومصر وغيرها من البلاد، فلذلك صار الناس يقولون فلان عقيدته صحيحة أشعرية، وليس بين المحققين من كل من الأشعرية الماتريدية اختلاف محقق بحيث ينسب كل واحد صاحبه إلى البدعة والضلال وإنما ذلك اختلاف في بعض المسائل ..... الخ". بحذف يسير لبعض الكلمات.

الشهادة السابعة: شهادة الإمام العلامة المحقق أحمد الدردير في كتابه المشهور: (شرح الخريدة[1] البهية) في العقائد، ص 126 حيث قال:

فكل أمر بالقضاء والقدر وكل مقدور فما عنه مفر

فكن له مسلما كي تسلما واتبعْ سبيل الناسكين العُلَما

ثم علق على قوله: (الناسكين العلما) فقال: المراد "بالعلما" هنا السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان، وسبيلهم منحصر في **اعتقاد وعلم وعمل** على طبق العلم.

وافترق من جاء بعدهم من أئمة الأمة الذين يجب اتباعهم على ثلاث فرق:

فرقة نصبت نفسها لبيان الأحكام الشرعية العملية، وهم الأئمة الأربعة وغيرهم من المجتهدين، لكن لم يستقر من المذاهب المرضية سوى مذاهب الأئمة الأربعة: (أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد).

الفرقة الثانية: فرقة نصبت نفسها للاشتغال ببيان العقائد التي كان عليها السلف وهم: الأشعري والماتريدي ومن تبعهما.

[1] الإمام الدردير هو أحد علماء مصر وإمام الجامع الأزهر المتأخرين، له كتب كثيرة منها منظومة شعرية من بضع وسبعين بيتا سماها "الخريدة" وتعني الجوهرة. وشرحها الإمام الدردير نفسه، وهو من المؤلفات المعتمدة في تدريس عقائد أهل السنة للمبتدئين من طلاب العلم.

الفرقة الثالثة: فرقة نصبت نفسها للاشتغال بالعمل والمجاهدات على طبق ما ذهب إليه الفرقتان المتقدمتان وهم الإمام أبو القاسم الجنيد ومن تبعه.

فهؤلاء الفرق الثلاثة هم خواص الأمة المحمدية، ومن عداهم من جميع الفرق على ضلال وإن كان البعض منهم يحكم له بالإسلام, فالناجي من كان في عقيدته على طبق ما بينه أهل السنة، وقلد في الأحكام إماماً من الأئمة الأربعة المرضية اهـ.

الشهادة الثامنة: شهادة الإمام عبد القاهر البغدادي: (ت 429هـ)، الملقب في الإسلام بالأستاذ لعلو قدره عند العلماء، حيث قال في كتابه المشهور والنفيس للغاية من بين كتب العقيدة عند أهل السنة (أصول الدين)، من ص 307 إلى ص 310.

ويريد الإمام البغدادي أن يذكر لنا في هذه المسألة مَنْ هُمْ أئمة أهل السنة الذين تخصصوا أكثر من غيرهم في علم العقيدة عبر العصور، من زمن الصحابة إلى عصره هو، وقد ذكر الإمام البغدادي مع كل إمام بعض التفصيل، وأما نحن فسنورد أسماء هؤلاء الأئمة سرداً وراء بعضهم البعض اختصاراً.

قال الإمام البغدادي:

" **المسألة التاسعة: في ترتيب أئمة الدين في علم الكلام**.

أول **متكلمي**[1] أهل السنة من الصحابة **علي بن أبي طالب** لمناظرته الخوارج، ثم **عبد الله بن عمر** لكلامه في القدرية .

وأول متكلمي أهل السنة من التابعين **عمر بن عبد العزيز** وله رسالة بليغة في الرد على القدرية، ثم **زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب** وله كتاب في الرد على القدرية ، ثم **الحسن البصري** وله رسالة بعثها إلى عمر بن عبد العزيز في ذم القدرية، ثم **الإمام الشعبي**، وكان أشد الناس على القدرية، ثم **الزهري**، وهو الذي أفتى عبد الملك بن مروان بدماء القدرية.

وبعد هؤلاء الأئمة الأعلام جاء علماء آخرون تخصصوا في علم العقائد أيضا ومنهم:

جعفر الصادق، وله كتاب في الرد على القدرية وكتاب في الرد على الخوارج ورسالة في الرد على الروافض.

وأول متكلمي أهل السنة الذين اشتغلوا بعلم العقائد والرد على المخالفين من الفقهاء:

أبو حنيفة، وله كتاب في الرد على القدرية سماه "الفقه الأكبر".

الإمام الشافعي، وله كتابان في العقيدة، أحدهما في تصحيح النبوة للنبي صلى الله عليه وسلم والرد على البراهمة، والثاني في الرد على أهل الأهواء.

---

[1] لاحظ هنا دقة تعبير الإمام البغدادي، فعلماء الكلام صنفان: متكلموا أهل السنة، ومتكلموا غيرهم من الفرق الضالة. والذين ورد ذمهم على لسان أهل العلم الكبار كالإمام الشافعي هم متكلموا الفرق الضالة وأما متكلموا أهل السنة فهم أهل الحق.

وبعد الإمام الشافعي قام تلاميذه **كالحارث المحاسبي، والكرابيسي، وحرملة، والبويطي، وداود الأصبهاني** في نصرة عقيدة أهل السنة والجماعة".

ثم قال الإمام البغدادي:

"ومن متكلمي أهل السنة الذين تخصصوا في العقيدة على مذهب أهل السنة في زمن خلافة المأمون **عبد الله بن سعيد بن كلاب** الذي **دمر المعتزلة** في مجلس المأمون وفضحهم.

ومن تلاميذه : **عبد العزيز المكي الكتاني** الذي **فضح المعتزلة** في مجلس المأمون، **والحسين بن الفضل البجلي**، وهو الذي لما خرج من العراق إلى خراسان قال الناس فيه: **إنه قد خرج علم العراق كله إلى خراسان، والإمام الجنيد** من تلاميذ عبد الله بن سعيد أيضاً.

وبعد ذكر الإمام البغدادي لسادات وعلماء أهل السنة قال:

" ثم بعدهم، شيخ النظر، وإمام الآفاق في الجدل والتحقيق، **أبو الحسن الأشعري** الذي صار شجاً في حلوق القدرية والنجارية، والجهمية، والمجسمة، والروافض، والخوارج.

وقد ملأ الدنيا كُتُبُهُ، وما رُزق أحدٌ من المتكلمين من التَبَعِ ما قد رُزِقَ لأن جميع أهل الحديث، ومن لم يتمعزل من أهل الرأي على مذهبه.

ومن تلامذته المشهورين: أبو الحسن الباهلي، وأبو عبد الله بن مجاهد، وهذان الإثنان تلاميذهما شموس الدنيا كالإمام الباقلاني، وأبو بكر بن فورك."

أقول: ولقد تابع هؤلاء في نصرة مذهب أهل السنة الشاعرة علماء كثيرون منهم: إمام الحرمين الجويني، والإمام حجة الإسلام الغزالي، والإمام الكبير ابن الخطيب فخر الدين الرازي صاحب تفسير مفاتيح الغيب، والإمام الآمدي، والإمام ابن الحاجب، وسلطان العلماء العز بن عبد السلام، والإمام النووي، وأمير المؤمنين في علم الحديث ابن حجر العسقلاني، والإمام المحقق والمدقق سعد الدين التفتازاني، والإمام عضد الدين الإيجي، والإمام الشهرستاني، والإمام المتكلم الفقيه المحدث البيهقي صاحب السنن الكبرى، وهكذا كل من جاء بعد الإمام الأشعري من أتباع الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة كابن الجوزي وابن عقيل وغيرهم.

الشهادة التاسعة: وهي شهادة الإمام أبي منصور البغدادي أيضاً، حيث ذكر في كتابه النفيس: (الفرق بين الفرق) بحثا مستقلاً عن أهل السنة والجماعة، وشرح فيها ما يلي:

1- بيان أصناف أهل السنة والجماعة.

2- بيان تحقيق النجاة لأهل السنة والجماعة.

3- بيان قول أهل السنة في السلف الصالح من الأمة.

4- بيان عصمة أهل السنة عن تكفير بعضهم بعضا.

5- بيان فضائل أهل السنة، وأنواع علومهم، وذكر أئمتهم.

6- بيان آثار أهل السنة في الدين والدنيا، وذكر مفاخرهم فيهما.

ونحن ننصح عموم المسلمين وجماهيرهم، الصادقين في الانتماء إلى هذا الدين، المخلصين لله تعالى، الباحثين عن أهل الحق الرجوع إلى هذا الكتاب لمعرفة المزيد والمزيد عن أهل السنة والجماعة الذين هم الأشاعرة والماتريدية دون من خالفهم من الشيعة والروافض والخوارج والمعتزلة والمجسمة وأتباعهم من الوهابيين والسلفيين أتباع ابن تيمية الحراني.

ومن الكتب التي ننصح المسلمين بالرجوع إليها لمعرفة المزيد عن أهل السنة والجماعة كتاب عظيم القدر والفائدة وهو (التبصير في الدين) للإمام الكبير ــ حجة المتكلمين ــ المفسر أبي المظفر الإسفراييني المتوفى سنة (471 هـ) ، حيث ذكر في آخر كتابه هذا مبحثاً كاملاً في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة وذكر فيه أيضاً ما لعلماء الأشاعرة من دور في نشر الدين والرد على المخالفين، ونحن ننقل كلامه في هذا المقام مختصراً، فقال:

"وقيَّض اللهُ تعالى في عصرنا في كل إقليم من أقاليم العالم سادةً من أعلام أئمة الدين الذين صنفوا في نصرة الدين، وتقوية ما عليه أهل السنة والجماعة، والرد على أهل البدع فيما زوروه من الشبه مثل القاضي الإمام أبي بكر الباقلاني الأشعري، وله تقريباً (50,000) خمسون ألف ورقة في نصرة الدين والرد على أهل الزيغ والبدع، ومثل الإمام أبي إسحاق الإسفراييني الذي عقمت النساء أن يلدن مثله، ومثل الأستاذ أبي بكر بن فورك رضي الله عنه الذي لم ير مثله في نشر دينه وقوة يقينه، وله أكثر من مائة وعشرين تصنيفاً في نشر الدين والرد على الملحدين ومثل الإمام أبي منصور عبد القاهر البغدادي، ما من علم من العلوم إلا وله فيه تصنيف ... الخ".

الشهادة العاشرة: شهادة سلطان العلماء، المجتهد المطلق، العز بن عبد السلام.

قال الإمام العز بن عبد السلام في عقيدته التي كتبها وذكرها السبكي في الطبقات (8/291):

"واعتقاد الأشعري ــ رحمه الله ــ مشتمل على ما دلت عليه أسماء الله التسعة والتسعون التي سمى بها نفسه في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .... الخ".

وقال في آخر العقيدة هذه:

"فهذا جملة من اعتقاد الأشعري ــ رحمه الله تعالى ــ واعتقاد السلف وأهل الطريقة والحقيقة، نسبته إلى التفصيل الواضح كنسبة القطرة إلى البحر الطافح:

يعرفه الباحث من جنسه وسائر الناس له منكر

لقد ظهرت فلا يخفى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمر"

الشهادة الحادية عشر: شهادة العلامة ابن خلدون صاحب الكتاب الشهير: مقدمة ابن خلدون[1].

سرد العلامة ابن خلدون في مقدمته عقائد أهل السنة في (الفصل العاشر : في علم الكلام)، ثم ذكر بعض البدع التي انتشرت بين المسلمين – خصوصا في العقيدة، وخصوصا في صفات الله تعالى الواردة في القرآن والسنة – ومن هذه البدع فشو وانتشار التشبيه والتجسيم في حق الله تعالى على أيدي بعض أهل الأهواء أو ضعاف العقول، ونحن نريد أن نذكر شهادة ابن خلدون هذه وكيف أن الإمام أبا الحسن الأشعري وقف في وجه هؤلاء، وردّ بدعتهم، وبدعة غيرهم من المجسمة والشيعة والفلاسفة والمعتزلة، فلما سُرَّ به أهل السنة وبفعله هذا انتسبوا إليه وأصبح اسمهم الأشاعرة.

عقائد أهل السنة التي ذكرها ابن خلدون:

الإيمان بالخالق , ووحدانيته في ذاته وصفاته و أفعاله.

اعتقاد تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته عن النقص.

اعتقاد أن الله تعالى لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في صفاته.

اعتقاد أن الله تعالى عالم قادر مريد مقتدر.

اعتقاد أن الله تعالى يعيد الخلائق بعد الموت تكميلا لعنايته.

اعتقاد بعثة الرسل إلى الناس لهدايتهم ونجاتهم من شقاء النار.

اعتقاد أن الجنة للمؤمنين والنار للكافرين.

ثم قال ابن خلدون:

"...هذه أمهات العقائد الإيمانية معللة بأدلتها العقلية، وأدلتها من الكتاب والسنة كثير، وعن تلك الأدلة أخذها السلف وأرشد إليها العلماء وحققها الأئمة".

ثم قال ابن خلدون:

---

[1] قلنا لكم سابقا أن من آثار انهيار الخلافة الإسلامية فشو **الجهل** بين أهل السنة في العالم بعقائدهم واستغل الوهابية هذا أحسن استغلال فعملوا على نشر عقائد ابن تيمية باسم أنه هو الواسطة في معرفة ما كان عليه الصحابة والتابعون من عقائد وأن العقائد التي يقرها ابن تيمية تكون عقائد باطلة، فأصبح ابن تيمية هو مقياس التفريق بين الحق والباطل.

ومن آثار هذا الجهل الذي تعيشه الأمة ظهرت ظاهرة الانتماء إلى منظومات عقائدية أخرى غير الإسلام فظهرت مجموعات الشيوعيين والاشتراكيين والقوميين والعلمانيين والملحدين وهم في الأصل من جذور إسلامية، وظهرت فرق متزندقة طريقتها التلاعب بالأفكار، بله وتدعي أنها على الحق القويم وأن أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية هم أهل الباطل، ومن هؤلاء مثلا الفريق الفكري الذي يتزعمه من أهل المغرب العربي المدعو "أبو يعرب المرزوقي"، ومن أراد أن يطلع على جميع الأفكار التي دعا إليها أصحابها عقيب انهيار الخلافة الإسلامية فعليه بكتاب شيخ الإسلام "مصطفى صبري" آخر رؤساء المشيخة الإسلامية في كتابه الذي لا مثل له "**موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين**". ومن الغريب أن أبا يعرب المرزوقي هنا يزعم أن ابن خلدون كان محاربا لعلم الكلام وللأشاعرة مع أن ابن خلون من أكثر الناس التزاما بمذهب الأشاعرة وعلم الكلام على الطريقة السنية كما بيناه هنا بالنقل من كتابه المشهور بـ "مقدمة ابن خلدون"

"إلا إنه عرض بعد ذلك خلافٌ في تفاصيل هذه العقائد، أكثرُ مثارِها[1] من الآي المتشابهة، فدعا ذلك إلى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل وزيادة إلى النقل ، فحدث بذلك (علم الكلام)".

ثم شرع ابن خلدون يوضح كيف أن بعض الناس أساءوا التعامل مع تلك الآيات المتشابهة في القرآن، فخرجوا عن الحق والصراط المستقيم إلى جانب آخر هو جانب البدعة فقال:

"...ثم وردت في القرآن آي أخرى قليلة توهم التشبيه.... مرة في الذات ومرة في الصفات، فأما السلف فغلبوا أدلة التنزيه لكثرتها ووضوح دلالتها، وعلموا استحالة التشبيه:

ففريق شبهوا في الذات باعتقاد : اليد والقدم والوجه عملا بظواهر وردت بذلك فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة آي التنزيه المطلق التي هي أكثر موارد وأوضح دلالة لان معقولية الجسم تقتضي النقص والافتقار ... الخ.

"وفريق منهم ذهبوا إلى التشبيه في الصفات كإثبات الجهة، والاستواء، والنزول، والصوت والحرف و أمثال ذلك، وآل قولهم إلى التجسيم فنزعوا مثل الأولين إلى قولهم: صوت لا كالأصوات، جهة لا كالجهات، نزول لا كالنزول.... الخ".

ولما انتشرت بدع المشبهة والمعتزلة والشيعة في البلاد كما بيّن ابن خلدون، قام الإمام أبو الحسن الأشعري بنصرة السنة، والرد على المخالفين فقال:

"... وعظم ضرر هذه البدعة, ولقنها[2] بعض الخلفاء عن أئمتهم- فحمل الناس عليها، وخالفهم أئمة السلف، فاستحل لخلافهم، إيسار كثير منهم ودماؤهم، وكان ذلك سببا لانتهاض أهل السنة بالأدلة العقلية على هذه العقائد دفعا في صدور هذه البدع، وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام المتكلمين, فتوسط بين الطرق، ونفي التشبيه، واثبت الصفات المعنوية، وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف.....الخ".

ثم قال:

"... وكثر أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري واقتفي طريقتَه من بعده تلاميذُه كابن مجاهد وغيره، واخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني، فتصدر للإمامة في طريقتهم، وهذبها، ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار..... ثم جاء بعد القاضي أبي بكر الباقلاني إمام الحرمين أبو المعالي فأملى في الطريقة كتاب "الشامل" وأوسع القول فيه ثم لخصه في كتاب "الإرشاد" واتخذه الناس إماما لعقائدهم...الخ.

وفي الفصل (السادس عشر) ذكر ابن خلدون أن الطريقة الأسلم والأصوب والأقوام في فهم الآيات المتشابهة الواردة في القرآن الكريم هي طريقة الأشاعرة، لأنهم هم أهل السنة، و أهل السنة هم الأقدر على توجيه الآيات المتشابهات التوجيه السليم الذي لا يعارض قطعيات العقيدة الإسلامية فقال:

أولا: في رفض عقيدة المشبهة: " ... وأهل السنة من المتكلمين الأشعرية والحنفية، ورفضوا عقائدهم في ذلك ".

---

[1] أي السبب المباشر لظهور الخلاف هو سوء فهم الآيات المتشابهة من قبل المجسمة.

[2] أي من سوء الحال في ذلك الزمان أن تطرق ذلك الاعتقاد الفاسد إلى قلوب بعض الخلفاء وحاولوا إجبار الناس عليها.

ثانيا: إن فهم المتشابهة يجب أن يكون وفق ما قرره أهل السنة الأشاعرة: "... وأما الظواهر الخفية الدلالة ..... فان حملناها على ما ذهب إليه **الأشعرية** في تفاصيله، **وهم أهل السنة**، فلا تشابه ".

فهذه هي شهادة ابن خلدون رحمه الله تعالى ذكر فيها أن طريقة التشبيه والتجسيم لذاته تعالى وصفاته هي طريقة باطلة لأنها طريقة أهل البدعة، و أما السنة كل السنة فهي طريقة السلف الصالح ومن تبعهم على ذلك من الأشاعرة والماتريدية.

ونحن اليوم نواجه علوا لراية المشبهة والمجسمة من الوهابية والسلفية، وعلى أهل السنة القيام بحق دينهم , والرد عليهم، فهل في الأمة اليوم من اشعري آخر أو رازي آخر.

الشهادة الثانية عشر: شهادة الإمام أبو بكر بن فورك رضي الله عنه

قال في "تبيين كذب المفتري" ص 127، قال ابن فورك رضي الله عنه: "انتقل الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه من مذاهب المعتزلة إلى نصرة مذاهب أهل السنة والجماعة بالحجج العقلية وصنف في ذلك الكتب...".

الشهادة الثالثة عشر: شهادة العلامة ابن خلكان .

"قال في كتابه المشهور" وفيات الأعيان" (3/ 284)، في حق الإمام الأشعري: "هو صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب أهل السنة...".

الشهادة الرابعة عشر: شهادة الإمام المحقق والعلامة المدقق حجة المعقول والمنقول عضد الدين الإيجي رحمه الله تعالى.

"قال الإمام العضد في كتابه النفيس "المواقف في علم الكلام" ص 430 " وأما الفرقة الناجية المستثناة الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم هم الذين ما عليه أنا وأصحابي فهم الأشاعرة والسلف من المحدثين وأهل السنة والجماعة ومذهبهم خال من البدع".

الشهادة الخامسة عشر: شهادة الإمام العارف بالله ابن عجيبة رحمه الله تعالى.

قال ابن عجيبة في تفسيره الكبير المسمى" البحر المديد" ص 607 "وأما أهل السنة فهم الأشاعرة ومن تبعهم في اعتقادهم الصحيح كما هو مقرر في كتب أهل السنة".

الشهادة السادسة عشر: شهادة العلامة السفاريني الحنبلي رحمه الله تعالى .

قال في كتابه المسمى " لوامع الأنوار البهية" (1/ 73) "أهل السنة ثلاث فرق:

الأثرية: وإمامهم الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

والأشعرية: وإمامهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله.

والماتريدية : وإمامهم أبو منصور الماتدريدي رحمه الله تعالى.

الشهادة السابعة عشر : شهادة الإمام العلامة اليمني عبد الله بن علوي الحداد رحمه الله تعالى.

جاء في كتاب "نيل المرام شرح عقيدة الإسلام" للإمام الحداد ص 8 :

"اعلم أن مذهب الأشاعرة في الاعتقاد هو ما كان عليه جماهير أمة الإسلام، علماؤها ودهماؤها إذ المنتسبون إليهم والسالكون طريقهم كانوا أئمة أهل العلوم قاطبة على مر الأيام والسنين وهم أئمة علم التوحيد والكلام والتفسير والقراءة والفقه وأصوله والحديث وفنونه والتصوف واللغة والتاريخ".

الشهادة الثامنة عشر: شهادة العلامة المواهبي الحنبلي رحمه الله تعالى .

قال المواهبي في "العين والأثر" ص 53:

"طوائف أهل السنة ثلاثة: أشاعرة وحنابلة وماتريدية".

الشهادة الأخيرة : شهادة تقي الدين أبي العباس المقريزي صاحب الكتاب المعروف: (بالخطط المقريزية) .

حيث ذكر فصلا كاملا في بيان أن الأشاعرة هم أهل السنة على الحقيقة لا من خالفهم من الشيعة والمعتزلة والخوارج والمجسمة من التيمية وهابية كانوا أم سلفية، وذلك ابتداء من الصفحة (344) من المجلد الأول، وقد فصّل في ذلك تفصيلا طويلا، لا داعي لنقله هنا، ونكتفي بإرشاد الناس بالرجوع إليه لمن أراد زيادة التحقيق في المسألة.

فتاوى علماءِ الإسلامِ بأنَّ الأشاعرةَ همْ أهلُ السنَّةِ

[الفتوى الأولى]: فتوى الإمام القاضي الكبير أبو الوليد ابن رشد القرطبي المالكي ـ رحمه الله تعالى ـ الملقب عند المالكية بشيخ المذهب، قال في فتاواه المطبوعة (802/2):

سئل رحمه الله تعالى عن علماء الأشاعرة السؤال التالي:

ما يقول الفقيه القاضي، الأجل، الأوحد: أبو الوليد، وصل الله توفيقه وتسديده، ونهج إلى كل صالحة طريقه في:

الشيخ أبي الحسن الأشعري

وأبي إسحاق الإسْفَرَايِينِي

وأبي بكر الباقلاني

وأبي بكر بن فُوْرَك

وأبي المعالي الجُويني

وأبي الوليد الباجِي

ونظرائهم ممن ينتحل[1] (**علم الكلام**)، ويتكلم في أصول الديانات، ويصنف للرد على أهل الأهواء؟ أهم أئمة رشاد وهداية؟ أم هم قادة حيرة وعماية؟.

وما تقول في قوم يسبونهم وينتقصونهم، ويسبون كل من ينتمي إلى علم (الأشعرية)، ويكفرونهم ويتبرؤون منهم، وينحرفون بالولاية عنهم، ويعتقدون أنهم على ضلالة، وخائضون في جهالة، فماذا يقال لهم، ويصنع بهم، ويعتقد فيهم؟.

أيتركون على أهوائهم، أم يكف عن غلوائهم؟.

وهل ذلك جرحة في أديانهم، ودخل في إيمانهم؟.

وهل تجوز الصلاة وراءهم أم لا؟.

بين لنا مقدار الأئمة المذكورين، ومحلهم من الدين، وأفصح لنا حال المنتقصين لهم، والمنحرف عنهم، وحال المتولي لهم، المحب فيهم، مجملاً ومفصلاً، ومأجوراً إن شاء الله تعالى.

نص جواب ابن رشد[2] على السؤال السابق حيث قال رحمه الله تعالى:

"تصفحت عصمنا الله وإياك سؤالك هذا، وهؤلاء الذين سميت من العلماء أئمة خير وهدى، وممن يجب بهم الاقتداء لأنهم قاموا بنصرة الشريعة وأبطلوا شبه أهل الزيغ والضلالة، وأوضحوا المشكلات، وبينوا ما يجب أن يدان به من المعتقدات.

فهم بمعرفتهم بأصول الديانات العلماء على الحقيقة بعلمهم بالله عز وجل، وما يجب له، وما يجوز عليه، وما ينتفي عنه، إذ لا تعلم الفروع إلا بعد معرفة الأصول.

فمن الواجب أن يعترف بفضائلهم، ويقر لهم بسوابقهم، فهم الذين عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين).

---

[1] أي: ممن اشتغل بعلم الكلام وتخصص فيه.

[2] **هذا ابن رشد الفقيه السني**، وأما ابن رشد الآخر فهو ابن رشد الفيلسوف فهو من أشد الناس عداوة لأهل السنة وهو الذي كتب كتاب "تهافت التهافت" في الرد على حجة الإسلام الغزالي، فالإمام الغزالي رد على الفلاسفة وابن رشد هذا أراد الانتصار للفلاسفة فرد على الإمام الغزالي.

فلا يعتقد أنهم على ضلالة وجهالة إلا غبي جاهل، أو مبتدع زائغ عن الحق مائل، ولا يسبهم وينسب إلهم خلاف ما هم عليه إلا فاسق، وقد قال الله تعالى: (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثماً مبيناً).

فيجب أن يبصر الجاهل منهم، ويؤدب الفاسق، ويستتاب المبتدع الزائغ عن الحق إذا كان مستسهلاً ببدعة، فإن تاب وإلا ضرب أبداً حتى يتوب، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ المتهم في اعتقاده من ضربه إياه حتى قال: (يا أمير المؤمنين إن كنت تريد دوائي فقد بلغت مني موضع الداء، وإن كنت تريد قتلي فأجهز علي)، فخلى سبيله، والله أسأله العصمة والتوفيق برحمته " ، قاله محمد بن رشد.

الفتوى الثانية: فتوى الإمام الفقيه الشافعي الكبير، شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي المكي.

قال في فتاواه المسماة: الفتاوى الحديثية:

نص السؤال:

"طعن بعض الناس في أبي الحسن وأبي إسحاق الأشعريين والباقلاني، وابن فورك وأبي المعالي الجويني إمام الحرمين، والباجي وغيرهم ممن تكلم في الأصول ورد على أهل الأهواء، بل وربما بالغ بعض الملحدة فادعى كفرهم، فهل هؤلاء كما قال ذلك الطاعن أو لا؟".

نص الفتوى:

"ليسوا كما قال ذلك الخارق المارق المجازف, الضال الغال الجاهل المائل، بل هم أئمة الدين، وفحول علماء المسلمين، فيجب الاقتداء بهم لقيامهم بنصرة الإسلام، وإيضاح المشكلات، ورد شبه أهل الزيغ، وما يجب من الاعتقادات والديانات، لعلمهم بالله وما يجب له، وما يستحيل عليه، وما يجوز في حقه .

ولا يعرف الوصول إلا بعد الأصول.

والواجب الاعتراف بفضل أولئك الأئمة المذكورين في السؤال وسابقيهم، من جملة المرادين بقوله: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين).

فلا يعتقد ضلالتهم إلا أحمق جاهل، أو مبتدع زائغ عن الحق، ولا يسبهم إلا فاسق،فينبغي تبصير الجاهل، وتأديب الفاسق، واستتابة المبتدع، وإلا فقال بعض أئمة المالكية: (يضرب إلى أن يموت كما فعل سيدنا عمر بصبيغ المشهور المتهم، وورد أنه لما أكثر ضربه قال له: (إن كنت تريد دوائي فقد بلغت موضع الداء وإن كنت تريد قتلي فعجل علي) فخلى سبيله.

الفتوى الثالثة: فتوى الإمام الكبير أبي القاسم القشيري:

" نص الفتوى: (بسم الله الرحمن الرحيم: اتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث، ومذهبه مذهب أصحاب الحديث، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة، ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدعة، وكان على المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين من الملة سيفاً

مسلولا، ومن طعن أو قدح أو لعنه أو سبه فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السنة). بذلنا خطوطنا طائعين بـــذلك في هذا الدرج في ذي القعدة سنة ست وثلاثين وأربعمائة,والأمر على هذه الجملة المذكورة في هذا الـــذكر، وكتبـــه عبـــد الكريم بن هوازن القشيري".

الفتوى الرابعة : فتوى الإمام الكبير قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني الحنفي:

" نص السؤال : ما قول السادة الأئمة الأجلة في قوم اجتمعوا على لعن فرقة الأشعرية وتكفيرهم؟.

نص الفتوى: (قد ابتدع وارتكب ما لا يجوز، وعلى الناظر في الأمور أعَزَّ اللهُ أنصارهُ الإنكارُ عليه، وتأديُبـــهُ بمـــا يرتدع به هو وأمثاله عن ارتكاب مثله)، وكتب محمد بن علي الدامغاني".

وبعد نص هذه الفتوى، كتب الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى: (الأشعرية أعيان أهل الســـنة، ونصـــار الشريعة، انتصبوا للرد على المبتدعة من القدرية والروافض، فمن طعن فيهم فقد طعن على أهل السنة، وإذا رفع أمر مـــن يفعل ذلك إلى الناظر في أمر المسلمين، وجب عليه تأديبه بما يرتدع به كل أحد).

الفتوى الخامسة: فتوى الإمام الكبير أبي إسحاق الشيرازي (ت 496 هـ).

" نص الفتوى: (وأبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة، وعامة أصحاب الشافعي على مذهبه، ومذهبه مذهب أهـــل الحق)".

ثم ذكر الإمام تاج الدين السبكي في نفس المصدر، ص 377 نص كلام أحد كبار أئمة المذهب الحنفـــي، ومـــن المتقدمين في علم العقيدة وهو أبو العباس قاضي العسكر الحنفي، حيث قال:

" وقد أخذ عامة أصحاب الشافعي بما استقر عليه مذهب أبي الحسن الأشعري".

ثم ختم الإمام تاج الدين السبكي كلامه ببيان ما يؤكد أن الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة فقال:

"سمعتُ الشيخَ الإمامَ رحمه الله يقول: ما تضمنته "عقيدة الطحاوي" هو ما يعتقـــده الأشعـــري .... الخ.

قلت : أنا أعلم أن المالكية كلهم أشاعرة لا أستثني منهم أحداً، والشافعية غالبهم أشاعرة، لا أستثني إلا مـــن لحـــق منهم بتجسيم أو اعتزال ممن لا يعبأ الله به، والحنفية أكثرهم أشاعرة ـــ أعني يعتقدون عقد الأشعري، لا يخرج منـــهم إلا من لحق منهم بالمعتزلة، والحنابلة أكثر فضلاء متقدميهم أشاعرة، لم يخرج منهم عن عقيدة الأشعري إلا من لحـــق بأهـــل التجسيم، وهم في هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم.

وقد تأملت (عقيدة أبي جعفر الطحاوي)، فوجدت الأمر على ما قال الشيخ الإمام.

و(عقيدة الطحاوي) زعم أنها الذي عليه أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد، ولقد جود فيها، ثم تفحصت كتب الحنفية فوجدت جميع المسائل التي بيننا وبين الحنفية خلاف فيها ثلاث عشر مسألة، منها معنوي ست مسائل والبـــاقي لفظـــي، وتلك الست المعنوية لا تقتضي مخالفتهم لنا ولا مخالفتنا لهم فيها تكفيراً ولا تبديعاً، صرح بذلك الأستاذ أبـــو منصـــور البغدادي وغيره من أئمتنا وأئمتهم، وهو غني عن التصريح لظهوره .... الخ".

الفوائدُ العلميةُ في أنَّ الأشاعرةَ همْ عَيْنُ أهلِ السنَّةِ

ونذكر في هذا الباب بعضَ الفوائدِ التي يُسْتدلُ بها على أنَّ الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة على الحقيقة، وذلك على النحو التالي:

الفائدة الأولى: أن الكتب المعتبرة في العقيدة عند أهل السنة هي الكتب المؤلفة على مذهب الأشاعرة.

قال الإمام السُبْكِيُّ في طبقات الشافعية (141/6):

"... فلا نعترف بأن العقيدة على السنة واعتقاد السلف إلا إذا وافقت ما نعتقد أنه كذلك، وهو رأي الأشعري ... الخ".

الفائدة الثانية: في مخالفة أهل البدع وأن الأشاعرة هم نفس أهل السنة .

قال الإمام السُبْكِيُّ في الطبقات أيضا (144/6):

" ... فإن أهل البدع الذين هم أهل البدع حقاً بلا خلاف بين المحدثين والفقهاء هم : المجسمة، والقدرية، والجهمية، والرافضة، والمرجئة.... **ولا يخفى أن الأشاعرة إنما هم نفس أهل السنة**، أو هم أقرب الناس إلى أهل السنة ".

الفائدة الثالثة: في بيان عظمة علماء الأشاعرة، لأنهم أهل السنة، وبيان بشاعة من يطعن فيهم، أو يتكلم في حقهم كما يفعل ذلك الشيعة وابن تيمية شيخ الوهابية والسلفية.

طعن ابن تيمية في علماء أهل السنة الأشاعرة وقال في حقهم قولة منكرة وقبيحة جداً حيث وصفهم " بالمخانيث" فرد عليه أحد كبار العلماء في ذلك العصر، وهو الإمام والفقيه الشافعي كمال الدين بن الزملكاني فقال:

"إن كان الأشاعرة الذين فيهم: القاضي أبو بكر الباقلاني، والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، وإمام الحرمين، والغزالي، وهلم جراً، إلى الإمام فخر الدين الرازي، مخانيث، فليس بعد الأنبياء والصحابة فحل".

ثم علق الإمام الفقيه الشافعي تاج الدين السبكي على قول ابن الزملكاني فقال:

"وأقول: إن كان هؤلاء أغماراً والأشعري يخلبهم فليس بعد الأنبياء والصحابة فطن، فيا لله والمسلمين.... فإن أحداً من الطوائف لم ينكر علم الأشعري، بل اتفقوا على أنه كان أوحد عصره، لا يختلف في ذلك لا من ينسبه إلى السنة ولا من ينسبه إلى البدعة.

وأما دينه فاتفقوا على زهده وورعه ... لم يبلغنا أنه مات إلا كما مات غيره من الصالحين... ومات يوم مات والمسلمون باكون، وأهل السنة ينوحون... الخ ".

الفائدة الرابعة: **أن من يخالف ما قرره وحققه علماء الأشاعرة في العقيدة فهو خطأ.**

وفي ذلك نقل السُبْكِيُّ في الطبقات (185/8) عن الإمام العالم المازري في شرحه على كتاب البرهان في علم الأصول لإمام الحرمين قوله: "من خطَّأ شيخَ السنةِ أبا الحسن الأشعري فهو المُخطِّأ ".

الفائدة الخامسة: **ونذكر فيها صورة من صور اعتزاز العلماء بسلاطينهم وملوكهم وخلفائهم عند تمسكهم بعقيدة أهل السنة الأشاعرة والدفاع عنها.**

فقد ذكر السُبْكِيُّ في طبقاته (238/8) كلاماً جليلاً في حق السلطان الملك الكامل عندما وصل إلى دمشق قادماً من الديار المصرية فقال:

"وكان اعتقاده صحيحاً وهو من المتعصبين لأهل الحق، قائل بقول الأشعري ــ رحمه الله ــ في الاعتقاد".

الفائدة السادسة: **أن العقيدة الأشعرية هي العقيدة المعتمدة في البلاد الإسلامية، ونذكر في ذلك مثلاً مدينة القدس، زهرة المدائن، عروس فلسطين، حاضنة المسجد الأقصى المبارك، والحرم الإبراهيمي بجواره، حيث كان كبار العلماء من أهل السنة يدرسون فيها العقائد الأشعرية.**

فهذا حجة الإسلام الغزالي يزورها ويؤلف لأهلها هدية منه لهم كتاباً في العقائد على طريقة أهل السنة الأشاعرة سماه " **الرسالة القدسية**" نسبة إلى القدس الشريف، وهذا الكتاب من الكتب المعتمدة عند الأشاعرة في العالم الإسلامي.

وهذا أيضاً كبير العلماء في عصره فخر الدين ابن عساكر كان يدرس عقائد الأشاعرة في القدس الشريف، وفي ذلك قال الإمام السُبْكِيُّ في طبقاته (285/8) ما ملخصه:

" كان الشيخ الكبير أبو منصور فخر الدين ابن عساكر **شيخ الشافعية بالشام** وآخر من جمع له العلم والفضل المولود سنة (555هـ)، وابن عساكر هذا هو شيخ سلطان العلماء وبائع الملوك العز بن عبد السلام، حيث كان ابن عساكر يدرس العقيدة المسماة (بالمرشدة) في القدس الشريف.

وقال الحافظ صلاح الدين العلائي:" وهذه العقيدة "**المرشدة**" جرى قائلها على المنهاج القويم، والعقد المستقيم، وأصاب فيما نزه به العلي العظيم... ووقفت على جواب لابن تيمية سئل فيها عنها ذكر فيه أنها تنسب لابن تومرت، وذلك بعيد الصحة أو باطل لأن المشهور أنه كان يوافق المعتزلة في أصولهم وهذه مباينة لهم ".

وقد أطال العلائي في تعظيم شأن **المرشدة**، ثم علق السبكي على نسبة العلائي لابن تومرت إلى الاعتزال فقال: فأما دعواه أن ابن تومرت كان معتزلياً فلم يصح عندنا ذلك والأغلب أنه كان **أشعرياً صحيح العقيدة**، أميراً عادلاً، داعيا إلى طريق الحق، ونحن نرى أن نسوق "العقيدة المرشدة" وهي :

العقيـدةُ المسمـاةُ بـ (المُـرْشِـــدَةُ)

"اعْلَمْ أرشدَنا اللهُ وإياكَ، أنَّهُ يجبُ على كلِّ مُكلَّفٍ أنْ يعلمَ أنَّ اللهَ عزَ وجلَ واحدٌ في مُلكهِ، خلقَ العـــالمَ بأســـرهِ العُلْويِّ والسُفْليِّ، والعرشَ والكرسيَّ، والسمواتِ والأرضَ، وما فيهما، وما بينهما، حيٌ قيومٌ، ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾، ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾ ، و﴿ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَـةٍ إِلَّا يَعْـلَمُهَا وَلَا حَبَّـةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ،﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ ،﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴾ ،﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ .

قادرٌ على ما يشاءُ، له المُلكُ والغَناءُ، وله العِزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى.

لا دافعَ لما قضى، ولا مانعَ لِما أعطى، يفعلُ في مُلكهِ ما يُريدُ، ويَحكمُ في خَلْقهِ بما يشاءُ، لا يرجو ثواباً، ولا يخافُ عِقاباً، ليسَ عليهِ حَقٌ، ولا عليهِ حُكمٌ، وكلُّ نعمةٍ منه فضلٌ، وكلُّ نقمةٍ منهُ عدلٌ، (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون).

موجودٌ قبلَ خلقِ الخلقِ، ليسَ له قَبْلٌ ولا بَعْدٌ، ولا فَوقَ ولا تحتَ، ولا يمينَ ولا شمالَ، ولا أمامَ ولا خلفَ، ولا كلٌّ ولا بعضٌ.

ولا يقالُ: متى كانَ، ولا أينَ كانَ، ولا كيفَ كانَ، ولا مكانَ، كَوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، ولا يتقيـــدُ بالزمـــانِ، ولا يتخصصُ بالمكانِ، ولا يُشْغِلُهُ شَأنٌ عنْ شأنٌ.

ولا يلحقُهُ وهْمٌ، ولا يكتنفُهُ عقلٌ، ولا يتخصصُ بالذهنِ، ولا يتمثَّلُ في النفسِ، ولا يُتصورُ في الوهْمِ، ولا يتكيـــفُ في العقلِ، لا تلحقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

قال الإمام السُبْكِيُّ: هذا آخر العقيدة، وليس فيها ما ينكره **سُنِّيٌ**.

من أقول العلماء والمشائخ المعاصرين في أهل السنة والجماعة[1]

قال الشيخ أ.د محمد حسن هيتو:

إن ما يعرفه كلٌّ من شم للعلم رائحة، على مدى تاريخ أمتنا الطويل هو أن الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة، وعقيدة أبي الحسن الأشعري التي سار عليها هي عقيدة الإمام أحمد بن حنبل والشافعي ومالك وأبي حنيفة وأصحابه، وهي عقيدة السلف الصالح.

قال العلامة الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي:

فإن أبا الحسن الأشعري (260هـ - 330 هـ) واحد من عيون رجال السلف ومن أبرزهم علما واستقامة على نهج كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال المحدث محمد بن درويش الحوت البيروتي في كتاب " رسائل في بيان عقائد أهل السنة والجماعة " ص 77:

المالكية والشافية أشعرية وإمامهم أبو الحسن الأشعري من ذرية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، والحنفية ماتريدية وإمامهم أبو منصور الماتريدي، وهما إماما أهل السنة والجماعة.

قال المفكر الإسلامي الداعية أبو الحسن الندوي في حق الإمامين أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي رضي الله عنهما:

"خضع لعلمهم ونفوذهم العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ... وبفضلهم انتقلت قيادة العالم الإسلامية الفكرية وتوجيهه من المعتزلة إلى السنة".

---

[1] يكمن الاستفادة من كثير من مثل هذه الفتاوى المعارة من كتاب: "أهل السنة الأشاعرة" جمع وإعداد حمد السنان وفوزي العنجلي، الصادر عن دار الضياء للنشر والتوزيع فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

فتاوى بعض العلماء والهيئات الإسلامية المعاصرة

قال مفتي جمهورية مصر العربية الأستاذ الدكتور على جمعة :

وقد توالت المصنفات من العلماء المحققين في بيان مذهب أهل الحق(الأشاعرة) والدفاع عنهم.... واستقر التدريس في كل معاهد العلم العريقة في الأمة الإسلامية مثل الأزهر الشريف، والزيتونة، والقيروان على تدريس مذهب السادة الأشاعرة اعترافا من المحققين من علماء الأمة بأنه المذهب الحق.

أصدرت الهيئة الشرعية للإفتاء في دبي قائلة :

الأشاعرة: هم أهل السنة والجماعة من أتباع أبي الحسن الأشعري الذي سار على منهج الصحابة والتابعين وتابعيهم وأقوالهم المنسوبة إلى السلف وأقوالهم المنسوبة إلى الخلف، وكل ما ذكر مستند إلى الأدلة والنصوص .... اهـ.

فتوى مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد رشيد قباني حيث قال في نص الفتوى:

فإن الأشاعرة هم من أهل السنة والجماعة .... والإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى هو إمام كبير من أئمة أهل السنة والجماعة، وعقيدة الأشاعرة هي عقيدة أهل السنة والجماعة... اهـ.

خاتمـــة

بهذا نكون قد حققنا،حسب استطاعتنا، الخطوة الأولى في طريق تعريف المسلمين بأهل السنة الحقيقيين، وقد ذكرنا ذلك مستشهدين بشهادات و أقوال وفتاوى ونصوص العلماء, وليس هذا فقط، فقد بينا بالنصوص الواضحة والتي تدل على أن كلا من الشيعة والمجسمة لا علاقة لهم بأهل السنة، بل أكد العلماء على كون هاتين الطائفتين من أهل البدع والأهواء الذين تلبسوا بعقائد باطلة في حق الله تعالى وصفاته و أسمائه والأنبياء والغيبيات.

تمت بحمد الله وتوفيقه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سـلسلة إضاءات على الطريق

تخاطب هذه السلسة كل مسلم ومسلمة في هذه الأمة العظيمة والمباركة بهدف إضاءة الطريق أمامها في مواضيع متنوعة انطلاقاً من منهج وفكر أهل السنة والجماعة في العقيدة والفقه والأخلاق، النابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة الشريفة.

الإضـــاءة (الثانية)

بيان عقيدة أهل السنة والجماعة

القسـم الأول

الإلـهيـات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أشرف الخلق وأفضل الأنبياء والمرسلين، وعلى آل بيته الأطهار، وعلى أصحابه الأبرار، وإخوانه الأغيار، وبعد:

بعد أن انتهينا في الإضاءة الأولى من الكلام عن أهل السنة الحقيقيين وهم الأشاعرة والماتريدية في العقيدة، والمذاهب الأربعة في الفقه، وعلماء الأخلاق المعتبرين، ومن تبع هؤلاء من علماء اللغة العربية، والتفسير، والحديث الشريف، وأصول الفقه، والتاريخ والسيرة، وغيرهم ممن لهم اتصال واعتقاد بعقائد أهل السنة والجماعة، أردنا أن نشرع في هذه الإضاءة الثانية ببيان عقائدهم.

وعقائد أهل السنة مقسمة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: العقائد المتعلقة بذات الله تعالى، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله، وهذا القسم يسمى عند العلماء **بالإلهيات**.

القسم الثاني: العقائد المتعلقة بالأنبياء، صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين، ومعرفة ما يجب اعتقاده في حقهم، وما يجب تنزيههم عنه، وهذا القسم يسمى عند العلماء **بالنبوات**.

القسم الثالث: العقائد الغيبية، والتي طريق معرفتنا بها هو السماع من فم صاحب الشرع، كالإيمان بعذاب القبر، والبرزخ، والنشر، والحشر، والصراط، والميزان، والحوض، وغيرها، وهذا القسم يسمى عند العلماء **بالسمعيات**.

فالعقيدة عند أهل السنة: **إلهيات، ونبوات، وسمعيات**.

ونحن سنجعل كلَّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة في إضاءة خاصة، على أنْ نذكرَ في هذه الإضاءة قِسم الإلهيات، وفي الثالثة قسم النبوات، وفي الرابعة قسم السمعيات.

والمقصد من ذكر وبيان هذه العقائد هو تعريف جماهير المسلمين بعقيدة أهل السنة والجماعة، وذلك أن جماهير المسلمين يفهمون من كلمة العقيدة إما مجرد النطق بالشهادتين باللسان، أو الشعور بوجود الإيمان في القلب، وبَعْضُهم يفهم من كلمة "العقيدة" الالتزام بشعائر الدين، حيث يعتاد الناس على وصف [فلان] من الناس بأنه قوي العقيدة أي أنه يقيم شعائر الدين ويحافظ عليها[1].

---

[1] ربما تكون كلمة "**العقيد**" من أكثر الكلمات جريا على اللسان، نحن اعتدنا على سماع عوام الناس وهم يميزون بعض الناس عن بعض بواسطة هذه الكلمة، فيقولون فلان عقيدته سليمة صحيحة، وفلان عقيدته فاسدة، والناس الفلانيون أعداء للعقيدة، الفلانيون يريدون هدم العقيدة الإسلامية، ونجد كثيرا من المسلمين لا يصلون وراء شخص ما لأنه بنظرهم صاحب عقيدة فاسدة أو عليه إشكالات في عقيدته، ونسمع الناس يقولون إن الله تعالى لن ينصر المسلمين حتى يعودوا إلى العقيدة الحقة الصافية...الخ.

إذن فهناك قضايا كثيرة جدا ترجع من على لسان الناس إلى العقيدة، وهذا ليس من فراغ، وإنما ما للعقيدة من رتبة وقيمة في الدين نفسه، فإن الأديان السماوية كلها لم تنزل أصالة إلا لتقويم وتصحيح ما يصيب الناس من خلل في العلاقة مع الله، وهذا الخلل له مراتب:

أولا: الخلل في إنكار وجود الله من أصله.

ثانيا: الخلل في إشراك غير الله مع الله في ذاته أو صفاته أو أفعاله.

ثالثا: الخلل في فهم معنى الإله، أو في فهم صفاته الفهم السليم، أو في فهم معنى أنه فالق لأفعاله.

أما الخلل الأول فيكون بين المسلمين والملحدين.

وأما الخلل الثاني فيكون بين المسلمين وأهل الشرك.

وأما الخلل الثاني فيكون الحوار والنقاش فيه بين المسمين مع بعضهم البعض. وهذا الخلل له ثلاث مستويات:

وهذه الأفهام طيبة وجميلة، ولكن ليست هي المقصودة عند العلماء من كلمة العقيدة، فإنهم يقصدون بها **المسائل العقائدية التي تبحث في أحكام ذات الله تعالى، وأحكام صفاته، وأحكام أسمائه، وأحكام أفعاله، وأحكام الأنبياء، والعقائد السمعية**.

ففرقٌ بين العقيدة بمعنى الالتزام بشعائر الدين، وبين العقيدة بمعنى المسائل والقضايا والمباحث العقائدية، وهذا الذي نريد تعريف إخواننا المسلمين به.

وقبل البدء بذكر عقائد أهل السنة المتعلقة بذات الله تعالى، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله، نود التقديم بمقدمة نبين فيها أمرين أساسيين:

الأول: أهمية العقيدة في حياة الإنسان بشكل عام، والمسلم بشكل خاص.

الثاني: بيان الجهود التي بذلها أهل السنة في خدمة عقائد الإسلام.

هذا وإن النطق بالشهادتين، ووِقْرانَ الإيمانِ في القلب **شرطان** في قبول العمل من صلاة وزكاة وغيرهما، وهذا يستوي فيه كل الناس، وأما حمل رسالة هذا الدين، والعمل على نصرته، وهدم كل ما يعارضه فيحتاج إلى العلم الدقيق بتفاصيل الإسلام، ففرق بين متطلبات تصحيح العمل، وبين متطلبات نصرة هذا الإسلام ورفع لوائه.

المستوى الأول: مستوى الذات الإلهية: فهناك من خالف أهل السنة في فهمه للذات الإلهية وأحكامها، وهؤلاء هم المعروفون في التاريخ الإسلامي باسم "المجسمة" أو: "المشبهة"، وقد مثل هؤلاء في التاريخ الإسلامي مجموعة من الأشخاص أهمهم: ابن تيمية ومن تبعه كالوهابية والسلفية المعاصرة.

المستوى الثاني: مستوى الصفات: فهناك من خالف أهل السنة في فهم صفات الله الفهم السليم، وهؤلاء كثر، فمعظم الفرق الإسلامية خالفت أهل السنة في هذا الأصل العقائدي، فالمعتزلة والشيعة والخوارج نفوا صفات الله عن الله، ولهذا سموا في التاريخ بـ "المعطلة" لأنهم عطلوا الذات الإلهية عن صفاتها، وأيضا نجد المجسمة قد خالفوا أهل السنة في فهم الصفات الإلهية، فهم لم ينفوها كما فعل السابقون ولكنهم جسموها، فالذات الإلهية عند ابن تيمية مثلا عبارة عن أبعاض اجتمعت مع بعضها البعض وكونت الذات الإلهية، ومن ناحية أخرى نجد ابن تيمية يشترك مع المعتزلة والشيعة في القول بخلق كلام الله تعالى، ولذلك نجدنا نسمع كل وهابي وسلفي تابع لابن تيمية يقول: الله **يتكلم** إذا شاء ويسكت إذا **شاء**، بمعنى أن الله على قوله إذا أراد خلق كلامه فعل، وإذا أد راد إعدامه وخلق السكوت بدلا عنه فعل. وهذا هو عين القول بخل القرآن، إذ لا معنى للقول بالخلق إلا ترتب المخلوق على مشيئة صاحب المشيئة؟!!! فهل يجوز يا عباد الله أن تكون صفة إلهية معلقة في وجودها وحصولها علة مشيئة وإرادة واختيار؟!!!

المستوى الثالث: مستوى الأفعال: فهناك من يخالف أهل السنة فينسب التأثير في الأشياء لغير قدرة الله، كالمعتزلة وسائر الفرق الإسلامية، وأما كلام ابن تيمية في هذه النقطة أيضا فغير واضح، فمرة يفهم من كلامه موافقته لأهل السنة في حصرهم التأثير في قدرة الله وبالتالي ينحصر التدبير فيه تعالى، ومرة يفهم من عباراته موافقة الفرق القائلة بنسبة الأثير لغير الله تعالى.

وهناك مستوى أخر وهو مستوى فهم حقيقة هذا العالم الذي نعيش فيه: فأهل السنة قاطبة ووافقهم المعتزلة، وهو ظاهر قول أتباع ابن تيمية من السلفي والوهابية يقولون بأن الله خالق لهذا العلم من العدم المحض وأن هذا العالم لم يكن موجودا قبل أن توجده قدرة الله.

وفي المقابل نجد الفلاسفة والشيعة وابن تيمية يعتقدون بأن **العالم قديم** ومعنى أن الله خالق عندهم بمعنى أنه خالق لمراحل التاريخ لا لأصل العالم ووجوده الذاتي.

ومن اللطائف هنا أن الوهابية والسلفية كانوا يدعون أن ابن تيمية يقول بالخلق، ويتهمون من ينسب إلى ابن تيمية أنه يقول بقدم العالم بالكذب على شيخهم، ولكن لم أصبح قول ابن تيمية بقدم العالم أوضح من الشمس في رابعة النهار انقسموا قسمين: منهم من اعتقد قدم العالم ولم يستطع اتباع الحق فألصق نفسه بقول ابن تيمية، وبعضهم اعترف بخطأ ابن تيمية في هذه المسألة.

أهمية العقيدة في حياة الإنسان

تنبع أهمية العقيدة من كونها تعطي الإنسان و تزوده بفهم وتصور كلي وشامل عن هذه الحياة التي نعيشها والكون الذي نحن جزءٌ منه، وذلك يُمكِّنه من حسن التخطيط ووضح البرامج المختلفة من فكرية وتعليمية وسياسية واقتصادية واجتماعية والتي تعكس وتخدم فهمَه الإجمالي عن هذه الحياة بشكل خاص والكون كلِه بشكل عام، ليصل في النهاية إلى أهدافه ومقاصده وغاياته التي تحقق له السعادة في الدنيا والآخرة.

ومنزلة علم العقيدة بين العلوم الأخرى أنه علمٌ واسع وشامل وعام، يهتم بدراسة كل ما في الحياة والكون من معلومات ويوظفها في خدمة عقيدة الإنسان، ولهذا دعانا القرآن إلى التفكر في السموات والأرض وما فيهما وما بينهما لأن هذا التفكر العام والشامل يقودنا في النهاية إلى إدراك الحقيقة الكبرى وهي أن هناك خالقاً من وراء هذا العالم الذي نشهده.

وفي حين أن العلوم الأخرى تعطينا فهماً وشرحاً مفيداً بجزئية معينة، فالطب يختص بحالة الإنسان المرضية والصحية فقط، وعلم الفلك يختص بدراسة أحوال الكواكب والنجوم وهكذا كل العلوم والتخصصات الجزئية، نجد علم العقيدة يتجاوز كل هذه الجزئيات ليهتم ببيان حقيقة كل الكون، هل هناك خالقٌ وراءه يُسَيِّرَه حسْب[2] إرادته ومشيئته، أم أنه عالم وكونٌ مستقل بشأنه ولا إله له.

وهكذا فعلم العقيدة يضعك أمام موقفٍ يمنحك الطاقةَ والقدرةَ بعد ذلك على أخذ زمام الأمور، وتتمكن بواسطته من رسم خطة لحياتك.

وإذا كان علم الطب يشرح لي جزئية معينة هي حالة الجسم الصحية والمرضية، وعلم الفلك يشرح جزئية أخرى هي أحوال الكواكب والنجوم، وهذا هو شأن كل العلوم التي نعرفها، فإن علم العقيدة يتكفل بشرح وبيان حقيقة هذا الكون، هذا العالم، هذا الوجود.

فمن استطاع أن يفهم هذا الكون كله استطاع أن يحدد طريقه وأهدافه في الحياة، ومن لم يستطع تحصيل ذلك فسيظل تائهاً تتقاذفه الظروف الطارئة عليه.

هذا وإن الصحابة رضي الله عنهم لما فهموا حقيقة هذه الحياة التي يعيشونها، وعرفوا حقيقة هذا الكون، وأن وراءه خالقاً خلقه من العدم، عالماً بتفاصيله، مسيطراً عليه، مدبراً له، متصرفاً في شؤونه، وظفوا أنفسهم في خدمة هذا الدين الحق، ففتح الله تعالى على أيديهم المشارق والمغارب، وأدركوا أن الرسالة التي يؤديها الإنسان على هذه الأرض هو عمارتها، وعبادة الله تعالى فيها،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦]

---

[2] قال العلامة المحقق الدسوقي: إذا لم يدخل حرف الباء على كلمة "حسْب؛ كانت ساكنة السين، وإن دخلت عليها كانت متحركة بالفتح هكذا: "بحسَب".

والشريعة الإسلامية تعطينا حزمة من الأفكار والمعلومات عن هذا الكون، وعن الإله الذي خلقه، فأخذ علماء العقيدة من أهل السنة والجماعة هذه المعلومات وبنوْا علم العقيدة عليها، وكان هذا العلم سبباً في نصرة هذا الدين.

ولكن المسلم المعاصر، ونظراً لضعف صلته بعلم العقيدة، وقلة علمه به، ولاكتفائه بمجرد النطق بالشهادتين والشعور بوجود الإيمان في القلب، و كونه لم يجتهد في العمل على فهم قضايا العقيدة الواردة في الشريعة، **وقف** عاجزاً عن مواجهة الفلسفات والمشاريع الفكرية الضخمة التي اجتاحت العالم، وكانت **فاعليته** في مواجهتها ضعيفة، أو تكاد تفي بالحاجة في نصرة الدين.

وإننا لا نبالغ إذا ما قلنا بأن اتكال الناس على مجرد الفهم الإيماني للعقيدة دون تأسيسه على فهم علمي صحيح لم يسعف المسلم المعاصر في صد الشهوات عن نفسه وتقاصرت قواه عن أن يصحح معاملاته في حياته اليومية.

وعلى المسلم أن يفهم أن دراسة مسائل الإيمان والتفكير فيها هو من صميم أهداف الشريعة، بل وأمرنا الله بذلك فقال: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩]، فلا بد من أن يعرف المسلم **معاني** صفات الله تعالى وأسمائه وأحكامها، وبعض القضايا التفصيلية والموسعة عن الأنبياء والملائكة والكتب السماوية.

وإن الإنسان ليستغرب كيف أن معظم الناس إذا سمعوا شخصا يتناول مسائل العقيدة بالبيان والتمحيص والعرض تجدهم يقولون له: هذه فلسفة، فلا يعرفون للأسف بين ما هم مكلفون بدراسته ومعرفته من دينهم وعقيدتهم، وبين الفلسفة التي ضيعت أهلها، وهنا نتذكر المثل المشهور: من جهل شيئاً عداه، فيصبح المسلم عدواً لعقيدته التي نزلت على نبيه صلى الله عليه وسلم، وخُوطب بفهمها الفهمَ الدقيق الصحيح ليتمكن من الدفاع عنها، هذا وإن المبتدعة وأعداء الإسلام لا يدخلون إلى الناس من خلال علمهم الإجمالي والعام بالعقيدة بل من خلال التفاصيل التي يجهلها كثير من طلبة العلم الشرعي عدى عوام المسلمين فمثلاً ستقرأ في هذا الإضاءة كيف أن الشيعة **لا** يعتقدون أن الله تعالى هو خالق الخير والشر، فإن الله عندهم هو خالق الخير فقط، وأما الشر فخالفه هو الإنسان، والله تعالى يرد عليهم عندما يقول: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ولهذا كله، كان من اللازم أن تنشأ حركة[3] علمية عقائدية سنية إسلامية، تهتم بعقيدة أهل السنة، وتعيد إظهار القضايا العقائدية التي جاء بها الإسلام، وتعتمد عليها في نصرة هذا الدين، وتدافع عنه، وتبين قوته في كافة المجالات، بأسلوب علمي رصين يجمع بين أدلة الشرع الحنيف، وبراهين العقل المنيف.

وانطلاقاً من هذه الأهداف، أردنا أن نذكر في هذه الإضاءة الثانية مختصراً في العقائد الإسلامية المتعلقة بالله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله بحسب ما قرره علماء أهل السنة في مؤلفاتهم ومصنفاتهم التي وصلت إلينا.

[3] نعني بذلك أن يهتم العلماء وطلبة العلم الشرعي بمسائل العقيدة الإسلامية.

جهود أهل السنة المباركة في خدمة العقيد الإسلامية

لم تهتم أمة بعقائدها كما اهتم أهل السنة بعقائدهم، حيث بلغوا أعلى مراتب الاجتهاد في استنباطها من الكتاب والسنة، وتحريرها أبلغ تحرير، وتدقيقها أبلغ تدقيق، وجعلوها في ضمن مؤلفات ومصنفات خاصة ورتبوها ضمن كتب وأبواب وفصول ومسائل، وصاغوا منها القضايا والقواعد، وثبّتوا أركانها بالأدلة الشرعية والعقلية، وفصّلوا في توضيح أدق تفاصيلها حتى يحفظوها من انحرافات أهل الأهواء والبدع.

هذا و لم يكن الدفاع عن الدين بشكل عام، والعقائد الإسلامية بشكل خاص من صنيع العلماء أصالة، بل إن الله تعالى دافع عن دينه بنفسه في القرآن الكريم، فرد على الدهريين الملحدين، وعلى المشركين واليهود والنصارى والمجوس والصائبة، وبين بطلان عقائدهم، وأظهر مفاسدها، فالدفاع عن الدين سنة إلهية لا يجوز الغفلة عنها أو التساهل فيها.

ولما اتسعت الدولة الإسلامية، وازداد عدد المسلمين، بدأت تدب في الأمة الفتن، وظهر أهل الأهواء الذين انحرفوا عن عقائد الإسلام، لم يقف العلماء عند مجرد بيان العقائد، بل تعدى ذلك إلى مقام الدفاع والرد على المخالفين:

فردوا على **القدرية** الذين أنكروا علم الله الأزلي بالأشياء، الذي كان مقدمة منهم لإنكار عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر والتي تنص على أن الخير والشر من اختيار الله تعالى ليبتلى الإنسان بهما.

وردوا على **المعتزلة** الذين قالوا بأن الإنسان خالقٌ يَخْلُق أفعاله الاختيارية.

وردوا على **الجبرية** الذين نفوا اختيار الإنسان وقالوا إنه مجبر على كل أفعاله.

وردوا على **الشيعة** الذين ابتدعوا فجعلوا من إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عقيدة يكفر مخالفها.

وردوا على **المجسمة والمشبهة** الذين أثبتوا لله تعالى الأعضاء والزمان والمكان والجهة والكيفيات وغيرها من المفاسد.

ولما ظهرت الدعوات **الفلسفية** في البلاد الإسلامية والتي بدأت تنافس العقائد الإسلامية على أيدي الفارابي وابن سينا وابن رشد وقف علماء أهل السنة في وجهها، ووجهوا إليها سهام النقد حتى تقهقرت، وانتصر الإسلام.

وأما نحن فإننا نجد أن العقيدة الإسلامية تواجه صراعات قاسية في مواجهة الإيديولوجيات والفلسفات والأفكار المادية من علمانية وقومية وغيرها، وبدون سلاح **علم الكلام** وقوته في وضع المخالفين على المحك فستبقى ردودنا عليهم ضئيلة وضعيفة.

*** التعريف بعلم الكلام:**

علم الكلام: هو العلم الذي يهدف إلى توضيح العقائد الإسلامية وبيانها، وعرض تفاصيلها بأسلوب دقيق، وإقامة الأدلة الشرعية والعقلية على كل عقيدة منها، ثم الدفاع عنها بالرد على المخالفين.

فهو علم يُوظف كلَّ المعارفِ الإنسانيةِ في خدمة هذا الدين وما فيه من عقيدة وفقه وأخلاق ومنهج.

ويطلق مصطلح "**علم الكلام**" عند أهل السنة على علم الإيمان، والتوحيد، والعقيدة، وأصول الدين أيضاً.

القسم الأول

الإلهيات

يُسمى العلماءُ القسمَ الأولَ من العقائد الإسلامية **بالإلهيات**، وذلك لأنها تبحث فيما **يتعلق** بذات الله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله **من قضايا وأحكام**.

والعقيدة الإسلامية (علم الكلام) **لا** تبحث عن **حقيقة** الله تعالى وصفاته، فهذا بحث حرام، وهذا الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق يقول: العجز عن الإدراك إدراك والبحث عن ذات الله كفر وإشراك، وإنما تبحث فيما **يُنسب** إلى الله تعالى وإلى صفاته من **أحكام**، ففرق كبير بين البحث في حقيقة الشيء وبين البحث في أحكامه التي تُنسب إليه.

فالله تعالى نسب إلى ذاته في القرآن الكريم كلَّ كمالٍ من الحياة والعلم والإرادة والقدرة والكلام والسمع والبصر، ونزه نفسه عن كلِّ نقص من العجز والشركاء والولد والصاحبة واللغوب والسِنَةِ والنوم وغيرها.

فوظيفة العلماء هو البحث فيما يُنسب إلى الله تعالى وصفاته من أحكام وليس البحث والتفكير في حقيقة الله وصفاته[4].

مقدمة :

قسم علماء أهل السنة قِسْمَ الإلهيات إلى الأبواب التالية:

الباب الأول: في أحكام الذات الإلهية.

الباب الثاني: في أحكام الصفات الإلهية.

الباب الثالث: في أحكام أسماء الله الحسنى.

الباب الرابع: في أحكام أفعال الله تعالى.

---

[4] من الأمثلة على ذلك صفة العلم، ورد بها الشرع، والأصل الإيمان بأن الله عالم دون الخوض فيما هو زائد على ذلك كما كان أيمان الصحابة رضي الله عنهم، ولكن وصل إلينا أن بعض الناس ينسب إلى صفة العلم الإلهي ما لا يليق بها من الأحكام، فالمعتزلة مثلا قالوا إن العلم الإلهي ليس صفة بمعنى أنها معنى قائم بذات كما هو مفهوم الصفة الأصلي، وقد تابع الشيعةُ المعتزلة في ذلك، وأما المجسمة كابن تيمية وأتباعه فينسبون إلى العلم الإلهي أنه متعدد ومتكثر وهذا ينافي وحدانية صفة العلم الإلهي، وهكذا نجد كل فرقة من فرق الإسلام تنسب إلى العلم الإلهي أحكاما معينة تعتقدها، فكان هذا دافعا لأهل السنة من أن يحددوا الموقف الشرعي من هذه المسئلة ببيان الأحكام الصحيحة والتي يلزم منها إثبات الكمال المطلق لصفة العلم الإلهية وتنزهها عن كل نقص، وقس ذلك على كل المباحث العقائدية.

الباب الأول

أحكام الذات الإلهية

عقيدتنا في **ذات الله** تعالى تتضمن الإيمان بالأصول التالية:

الأصل الأول: الإيمان بوجودها.

إن الإيمان بوجود الله تعالى هو الأصل الكبير في العقيدة الإسلامية، وذلك لأن الدين كلَّه يتوقف في ثبوته على إثبات بأن الله تعالى موجود.

ومعنى الإيمان بوجود ذات الله تعالى أن الحقيقة المسماة بالله تعالى حقيقة ثابتة وليست مجرد فكرة وهمية أو خيالية, فالحكم على الذات الإلهية "بالوجود" هو الحكم الأول من أحكام العقيدة، وتفكر العلماء في معنى الوجود المنسوب إلى الذات الأقدس لا يعني التفكير في حقيقة الله تعالى ولكن يستلزم فقط التفكير في حكم منسوب إلى ذاته تعالى.

*** طريقة القرآن في الاستدلال على وجود الله تعالى:**

أرشدنا القرآن الكريم إلى الطريقة العلمية المُثْلى في إثبات وجود الله تعالى، وهي أن القرآن يدعونا دائماً إلى التفكر في السموات والأرض تفكراً يوصلنا إلى أن الكون مخلوق.

لأننا إذا استطعنا أن نثبت أن الكون مخلوق استلزم ذلك احتياج العالَم إلى فاعل خلقه، لأن القاعدة العقلية القطعية تقول: كل صنعة فلها صانع.

ولذلك فهناك صراع عقائدي بين مَنْ يؤمن بأن العالَم مخلوقٌ وخالِقُه هو الله تعالى، ومَنْ يؤمن بأن العالم قديمٌ ولا خالق له[5].

ولذلك قال العلماء: إن إثبات مخلوقية العالم هو بنفسه دليلٌ على وجود الإله.

فنحن نتفكر في هذا الكون أولاً لإثبات أنه مخلوق ثم بعد ذلك نقول: **كل مخلوق فله خالق.**

سؤال: هل يمكن أن نقول: إن هذا العالم مخلوق ومع ذلك **لا** إله ولا خالق له؟

الجواب: **لا**، لأنه تناقض، فكأنك تقول بواحدٍ من اثنين:

1- أن يكون الكون خلق نفسه.

2- أن يكون هناك صنعة لا صانع لها، ونتيجة بلا سبب.

ومن ارتكب واحداً منها فقد سلَّم عقله وأسقط نفسه من رتبة البشر كالملحدين والعلمانيين.

---

[5] ومن هنا نفهم مدى شناعة من قال بقدم العلم من المسلمين كابن تيمية والشيعة.

الأصل الثاني: تنزيه ذات الله تعالى عن النقص.

بعد الإيمان بأن الله تعالى موجود، وأنه هو خالق الكون، يجب على كل مسلم أن ينزه الله تعالى عن كل نقص، لأن الله لو كان ناقصاً في ذاته لكان عاجزاً، ولو كان عاجزاً لم يكن خالقاً.

وتنزيه الله تعالى عن النقص يكون بنفي المشابهة بين الخالق وبين أي مخلوق من مخلوقاته وتنزيهه عن كل نقص من النقائص.

وعقيدة التنزيه عقيدة هامة في حياة الإنسان بشكل عام والمسلم بشكل خاص، و ذلك لأن عقله قد اعتاد منذ صغره على التفكير في أحوال الحياة المليئة بالمتاعب والمشاق، فكل شيء في الحياة مليء بالنقص والقصور، فإذا أدرك الإنسانُ الإلهَ الكامل المنزه عن النقص المخالف لما هو عليه المخلوق من قصور فقد عرف عظمة ذلك الخالق، وهدأت نفسه واطمأنت إلى العالِم بالسر وأخفى، المطلعِ على دقائق الأمور، المنزه عن الظلم: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف:٤٩] فتنعكس عقيدة التنزيه على عقله وفكره، وعلى قلبه وضميره، وعلى سلوكه ومعاملاته، فأنت تركن إلى إله لن يكون في نصرته لك مشوبا بأي نقص على الإطلاق، وما عليك أخي المسلم إلاّ بالإخلاص والصدق والتوكل على قيوم السموات والأرض.

*** خصائص المخلوقات:**

يتصف كل مخلوق من المخلوقات بأوصاف مشتركة وهي : **الجسمية والجرمية**، والاتصاف **بالجهات الستة**: الأمام والخلف، واليمين والشمال، والفوق والتحت، والمكان، والزمان، **والصغر، والكبر، والحركة والسكون** وغيرها.

فمن أثبت لله تعالى شيئاً من هذه الأشياء فقد شبه الله تعالى بمخلوقاته، ومن نزهه عنها جميعاً كان مؤمناً منزهاً، والله تعالى يقول: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

ولكن بعض المسلمين وقع في ذلك، وشبه الله تعالى بمخلوقاته فاعتقد أن الله جسمٌ، وأنه متصف بجهة الفوق، وأنه تعالى في مكان ومكانه العرش، وأنه تعالى يتحرك وينتقل من مكان إلى مكان، وأنه مركب من أعضاء، وغير ذلك، وهؤلاء عُرفوا في التاريخ الإسلامي **بالجسمية**، "ومنهم على سبيل المثال محمد بن كرام السجستاني وهشام بن الحكم، وابن تيمية، وفي زماننا المعاصر الحركة الوهابية المعروفة" .

فهذه أحكام تنسب إلى المخلوق، فكيف يجرؤ أحدٌ على نسبتها إلى الخالق؟!!

والسبب في قولهم بالتجسيم والتشبيه هو فهمهم الخاطئ لبعض الآيات والأحاديث الواردة في الشريعة، نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح:١٠]

وقوله: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القلم: ٤٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم: **(قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن)، وقوله (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل)**.

قالوا: إن الله تعالى في هذه الآيات، يخبر عن نفسه، والله تعالى أعلم بنفسه، فلولا أن الله جسم وله أعضاء، ومكان وجهه، ويتحرك، وينتقل من مكان ومكان، لكان الله تعالى جاهلاً بنفسه[6].

*** الرد على هؤلاء الناس:**

إن هذا القرآن نزل بلغة العرب، ولغة العرب منها الحقيقة ومنها المجاز والكناية، والله تعالى لم يقصد من هذه الألفاظ الإخبار عن نفسه بأنه تعالى جسم مركب من أعضاء، أو أن له مكاناً وغير ذلك من العقائد الفاسدة, وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾، والعرب تستخدم مثل هذه الكلمات والألفاظ لمعاني مجازية على النحو التالي:

1- قوله: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٩]: الاستواء في هذه الآيةِ وغيرِها هو **استواء** التدبير والعلم وليس بمعنى أن الله تعالى جسم مستقر على مكان هو العرش.

2- قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح: ١٠]: **"اليد"** هنا بمعنى الرعاية والتأييد أو بمعنى العناية كما قال في حق آدم عليه السلام (لما خلقت بيدي).

3- قوله: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القلم: ٤٢]: قال ابن عباس كما نقله عنه ابن كثير في تفسيره: أي يوم يكشف عن أهوال يوم القيامة، كما تقول العرب: كشفت الحرب عن ساقها.

4- وقوله صلى الله عليه وسلم: **(ينزل** ربنا إلى السماء الدنيا): أي **ينزل** ملكٌ بأمر ربنا جل جلاله كما جاء في حديث آخر بيَّن ذلك.

وهكذا فكل لفظ يوهم مشابهة بين الخالق وبين المخلوق فقد حكم العلماء الأثبات بصرفه عن ظاهرة، قال الشاعر:

وكل لفظ أوهم التشبيه أوِّلْه أو فوِّضْ وَرُمْ تنزيها.

---

[6] يقول الوهابية والسلفيون تبعا لشيخهم ابن تيمية: إن الله يستعمل المجاز في الكلام عن أي شيء إلا في حق نفسه فإنه لا يتكلم عن نفسه وصفاته إلا بالألفاظ مريدا منها معانيها الحقيقية، وبناء على هذا صاغوا لنا القاعدة التي تقول: نحن نصف الله بما وصف به نفسه، ويريدون بذلك حمل الألفاظ القرآنية والحديثية كالساق والجنب والاستواء واليد والأصابع والنزول وغيرها على معانيها الحقيقية والتي نفهمها نحن في حق أنفسنا، ولكن يقولون ــ ظانين بهذا القول التنزيه لله ــ أن أعضاء الله ــ على زعمهم ــ التي ذكرها الله في الشرع لها كيفات خاصة به كما أن أعضاء الإنسان لها كيفيات خاصة به، وهذا من أعجب العجب إذ جعلوا الفرق بين الله ــ تعالى عن قولهم ــ وبين المخلوق في الصورة والشكل؟!!!

وهذا الإمام الكبير أبو جعفر الطحاوي، يقول في عقيدته "عقيدة أهل السنة والجماعة" : " **مَنْ وصف الله تعالى بشيء من أوصاف البشر فقد كفر** "، والحاصل أن الذات الإلهية ثابتة موجودة، وأنها ذات منزهة عن أدنى مشابة لذوات المخلوقين أو أحكام و أوصاف ذواتهم.

وبهذا نكون قد انتهينا من أحكام الذات الإلهية التي يجب شرعاً على كل مسلم أن يؤمن بها.

الباب الثاني

الصفات الإلهية

قبل البدء في الكلام على الصفات الإلهية نود بيان وشرح معنى لفظة [**الصفة**].

* **تعريف الصفة:**

الصفة لها تعريفان: خاصٌ وعامٌ.

التعريف الخاص:

الصفة بمعناها الخاص هي عبارة عن "**معنى**" قائم بذات. و مثال ذلك عندما تقول: الشافعي عالِمٌ، فها هنا أمران: " **ذات**" الشافعي ، و" **العلم** " القائم بذاته، فكل "معنى" قائم بذاتٍ فهو صفة.

التعريف العام:

الصفة بمعناها العام: كلُّ حكم نُسب إلى ذاتٍ سواء كان قائماً بها كالعلم أو غير قائم بها كنسبة الخلق إلى ذات الشافعي، فأنت عندما تقول: الشافعي مخلوق، فهذا حكم نُسب إلى الشافعي وليس معنى قائم بذاته كالعلم، **والصفة بمفهومها العام يشمل الصفات المعاني ويشمل غيرها كما سيأتي.**

* **الصفات الإلهية:**

عندما يذكر العلماء الصفات الإلهية فيقصدون الصفة بمعناها **العام**، وبناء على ذلك يقسمون صفات الوارد ذكرها في الشريعة إلى الأقسام التالية:

1- الصفات **السلبية**: أي أحكام تنسب إلى الله وصفاته تستلزم تنزيه تعالى عن النقص.

2- الصفات **المعاني**: أي معاني حقيقة قائمة بالذات الإلهية.

3- الصفات **الجامعة**: تجمع بين صفات السلب والمعاني.

4- صفات **الجلال** وصفات **الكمال**.

واعلم أن هذه التقسيمات لصفات الله تعالى لم تكن على عهد الصحابة رضوان الله عليهم، ولكن العلماء فيما بعد، وتسهيلاً على التلاميذ والدارسين رتبوها في ضمن هذه الأقسام.

ونحن سنشرع الآن في شرح كل قسم من أقسام الصفات الإلهية في مبحث خاص.

ولقد قدَّمَ العلماءُ مبحث الصفات السلبية تأسياً بالقرآن الكريم لأنه قدم السلب على الإثبات في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ وفي كلمتي الشهادة أيضاً قُدِّم النفيَ على الإثبات، فـ (لا إله) سلب ونفي، و(إلاّ الله) إثبات، وهكذا فالتنزيه يسبق الإثبات لأن التنزيه يحقق الصفاء والطمأنينة لفكرة وعقيدة الإله الكامل، الخالي عن كل نقص، فإذا أثبت الصفات المعاني بعد ذلك كان ذلك بلوغ القمة في الإيمان بالله تعالى.

المبحث الأول

الصفات السلبية

*** تعريف الصفات السلبية:**

نقصد بالسلب هنا سلب النقص عن الله تعالى، فالصفات السلبية هي كل صفة ورد ذكرها في الشرع واقتضــت **نفيَ** النقص عن الله تعالى.

ومثال ذلك قوله تعالى: (ما اتخذ الله صاحبة ولا ولد)، فالصاحبة وهي الزوجة والولد نقص في حق الإلــه، والله **سلب** عن نفسه هذا النقص, ويجمع كل ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]، فصفة الوحدانية صفة سلبية لأنها تسلب وتنفي عن الله تعالى الصاحبة والولد والشريك وغيرها من النقائص.

ولذلك يسميها بعض العلماء **بصفات التتريه**، وبعضهم **بصفات التقديس**.

*** عدد الصفات السلبية:**

الصفات السلبية الواردة ذكرها في الشريعة خمسة وهي:

القِدَمُ، والبقاءُ، والمخالفةُ للحوادث، والقيامُ بالنفس، والوحدانية.

واعلم أن كل نقص نزه الله نفسه عنه في الشريعة فهو مندرج تحت واحدة من هذه الصفات، ولذلك سماها العلماء **بأصول التتريه**، فمن عرفها وتعلمها استطاع أن يفهم لماذا سلب الله عن نفسه الصاحبة والولــد واللغــوب والنــوم والنسيان والسنة، فكل النقائص مسلوبة ومنفية عن الله تعالى بسبب ثبوت الصفات السلبية له تعالى.

*** شرح الصفات السلبية:**

الصفة الأولى: القِدَمُ:

القِدَمُ صفة من الصفات الثابتة لذات الله تعالى بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعــالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣]، **فالأول** هنا معناه: القديم، ومن السنة قوله صــلى الله عليــه وسلم: (أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، **وسلطانه القديم** من الشيطان الرجيم)، فوصف النبيُّ صلى الله عليه وسلم اللهَ تعالى بصفة القدم.

*** بيان معنى صفة القِدَمُ:**

معنى هذه الصفة هو **نفيُ أنْ تكونَ ذاتُ الله تعالى مسبوقةً بالعدم**، إذ لو كان الله مسبوقاً بالعدم لكان له بدايةٌ شأنه شأن كل المخلوقات، إذ ما من مخلوق إلاّ وهو مسبوق بالعدم وله بداية، فلو كان الله تعالى مسبوقاً بالعدم لكان له بداية، وهذا يعني أنه مخلوق، ولهذا قال الإمام الطحاوي في بيان عقيدة أهل السنة: (**قديم: بلا ابتداء**).

الصفة الثانية: البقاء:

البقاء صفة من صفات ذات الله تعالى، دل على ذلك الكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى (هو الآخر)، وقد ورد تسميته تعالى بالباقي في الأسماء الحسنى.

والبقاء من الصفات السلبية لأنها **تنفي إمكانَ لحوقِ وطروءِ العدمِ على ذاتِ الله تعالى**، وقال الإمام الطحاويُّ في عقيدته: (باق بلا انتهاء).

فالحاصل من صفتي القِدم والبقاء أنَّ ذاتَ اللهِ تعالى غيرُ مسبوقةٍ بعدمٍ ولا يطرأ عليها عدمٌ، وهذا يستلزم أنَّ ذاتَ اللهِ تعالى لا بداية لوجودها ولا نهاية **بخلاف** ذواتِنا نحن المخلوقين.

الصفة الثالثة: المخالفة للحوادث:

الإنسان منذُ صغره وعقلُه يُفكرُ في ما حوله من مخلوقات، وهذه المخلوقات عبارة عن أجسام، وكل جسم فله خصائص من الحركة والسكون، وكونه محدود الأطراف، وكون الجسم مركباً من الأجزاء، وأن كل جسم فله **كيفية** وشكل وصورة معينة، إلى غير ذلك، فقد يَسْبِقُ إلى وهم الإنسان وخياله أن الله تعالى يشابه هذه الأجسام، فيبدأ الإنسان يقيس الخالق على المخلوق في الذات والصفات والأفعال، وعقيدة أهل السنة تقتضي تقديس الله تعالى وتنزيهه في ذاته وصفاته وأفعاله عن أدنى مشابهة مع المخلوقات، ولقد نص القرآن على ذلك صراحة عندما قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾** ﴾ وهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول: (**كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك**).

وصفة "**المخالفة للحوادث**" تحقق هذا المعنى، ومعنى الحوادث أي المخلوقات، فهذه الصفة تسلب وتنفي عن الله تعالى أن يكون مشابهاً لمخلوقاته من حيث الذات أو الصفات أو الأفعال.

أ- المخالفة على مستوى الذات:

إن كل ما نراه من حولنا ما هي إلاّ أجسام وأجرام، وكل جسم فهو مركب من أجزاء وأعضاء، وله حيز ومكان، وتجوز عليه الحركة والسكون وغيرها مما سبق بيانه، وذات الله تعالى مخالفة لكل ذلك.

ب- المخالفة في الصفات:

ليست صفات الله تعالى من الحياة والعلم والإرادة والقدرة والكلام والسمع والبصر من جنس صفات المخلوقين، فصفات الله تعالى قديمة قِدَمَ الذاتِ، وأما صفات الإنسان فمخلوقة قابلة للزوال، وأما تسمية الإنسان بالحي والعالم والمريد والقادر.. فمن باب الاشتراك في الألفاظ فقط دون الاشتراك في الحقائق والمعاني.

ج- على مستوى الأفعال:

يعني أنَّ صدور الأفعال عن قدرة الله تعالى مغايرٌ عن صدور الأفعال عن قدرة المخلوق، فإن صدور الأفعال عن قدرة الله تعالى ناشئ عن الاختيار الإلهي لها، وهو تعالى لا ينتفع من وراء ذلك بمنافع، فليست مخلوقات الله تعالى تزيد في كمال الله تعالى، ولا تلبي له حاجة لأنه تعالى هو الغني المطلق ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥].

وأما الإنسان فإنه يقصد من وراء أفعاله تحقيق مصالح وحاجات، فهو يشرب ليرتوي، ويأكل ليشبع إلى غير ذلك، **فالإنسان يفعل لأنه ينتفع بأفعاله ويزداد بها كمالاً** بها بخلاف الله تعالى.

ولهذا قال العلماء: إن أفعال الله تعالى صادرة عنه اختياراً وليس يقصد من ورائها الانتفاع بها لأن ذلك يناقض كمال الرب المطلق.

وهناك فرق آخر وهو أن **الأفعال الإلهية تكون خَلْقاً من العدم**، وأما الإنسان فليس بخالق، بل **مكتسبٌ** لأفعاله وأما خالقها فهو الله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٦].

الصفة الرابعة: القيام بالنفس:

معنى أنَّ الله تعالى متصف بصفةِ " **القيام بالنفس**" أنه تعالى ذات، وكل ذاتٍ فهي مستقلة بشأنها وليست تابعة لغيرها.

وبعض المبتدعة ادعى أن الله تعالى في حقيقته (معنى) وليس (ذاتاً)، وأنه يحل في غيره، وهؤلاء عقيدتهم تسمى (بالحلول والاتحاد) أي أن الله تعالى يحل في مخلوق كما يحل اللون في الماء، وهذا من أبطل الباطل.

فصفة "القيام بالنفس" تسلب عن الله تعالى نوعين من النقص:

1- أن يكون الله في حقيقته (معنى)، وذلك لأن كل معنى فيحتاج إلى ذات كاحتياج العلم إلى ذات الشافعي لأنه المعاني لا توجد مستقلة عن ذات تقوم بها، فلو كان تعالى في حقيقته (معنى) فينطبق عليه قانون المعاني وهو الاحتياج إلى ذاتٍ تقوم بها وهذا في غاية النقص.

2- أيضاً فإن صفة القيام بالنفس تسلب عن الله تعالى الاحتياج إلى إله آخر غيره.

وإن شئت قلت إن صفة القيام بالنفس هي صفة الغنى الإلهي المطلق عن كل ما سواه، (**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد**).

الصفة الخامسة: الوحدانية:

الوحدانية من الصفات السلبية الثابتة لله تعالى في الكتاب والسنة، قال تعالى: (قل: هو الله أحد)، و "الواحد" اسم من أسماء الله الحسنى.

والوحدانية تكون في ثلاثة مقامات:

الوحدانية في **الذات** الإلهية.

الوحدانية في **الصفات** الإلهية.

الوحدانية في **الأفعال** الإلهية.

وقبل بيان أنواع الوحدانية الثلاثة، نود شرح معنى الوحدانية:

* **معنى الوحدانية:**

الوحدانية: ضد الكثرة، فالوحدانية عدم الكثرة والتعدد.

* معنى الوحدانية عند عوام الناس:

عوام الناس يقصدون بالوحدانية أنهم يعبدون إلهاً وربا واحداً، وأنه تعالى لا شريك له، ثم إنهم لا يخوضون فيما وراء ذلك من توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال إلاّ نادراً، ولهذا فقد ينتشر بين الناس عقائد فاسدة وباطلة دقيقة دون أن يشعروا بها، فكان لا بد من شرح معاني التوحيد الثلاثة حتى يتمكن عوام المسلمين من ملاحظة الأخطاء التي قد تنتشر هنا وهناك، والعبرة ليست باعتقاد الوحدانية فقط ولكن بالتركيز على **أحكام الوحدانية**، فهؤلاء الوهابية يؤمنون بالإله الواحد ولكنهم جعلوه جسماً مركباً من أعضاء ومكيفاً بكيفيات، ونحن نريد أن نتكلم على كل قسم في مقام خاص:

المقام الأول: توحيد الذات:

يتعلق بتوحيد الذات مبحثان:

الأول: نفي الشركاء، فذات الإله ذات واحدة ولا يوجد لها شريك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ١١٦]، وقال صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: (**أنا أغنى الشركاء عن الشرك**).

الثاني: أن بعض الناس يعتقد أن ذات الله تعالى يجوز عليها أن تكون مركبة من أجزاء وأعضاء، فيقولن لله **يد** نجهل كيفيتها, و **عين** نجهل كيفيتها, و**جلوس** على العرش نجهل كيفيته, إلى غير ذلك من المفاسد, ونحن نعلم أن **الكيفيات** من خصائص الأجسام, وهؤلاء هم المجسمة والمشبه، وهذا يناقض ويعارض وحدانية الذات الإلهية.

والخلاصة: أن وحدانية الذات تنفي **الكثرة** عن نفس الذات الإلهية، وتنفي أن يكون هناك إله آخر وهو المعروف **بالشرك**.

المقام الثاني: توحيد الصفات:

ويتعلق بتوحيد الصفات مبحثان:

الأول: عدم الكثرة في كل صفةٍ من صفات الله تعالى، فالله له حياة واحدة لا أكثر، وعلم واحد لا أكثر، وإرادة واحدة لا أكثر، وقدرة واحدة لا أكثر، وكلام واحد لا أكثر، وسمع واحد لا أكثر، وبصر واحد لا أكثر.

فليس له تعالى حياتان أو علمان، أو إرادتان، أو قدرتان، أو كلامان، أم سمعان، أو بصران، أو أكثر، **فالتعدد في الصفات باطل وفاسد.**

والذين خالفوا في وحدانية كل صفة من صفات الرب المولى جل جلاله هم **الشيعة** الذين أثبتوا لله إرادتين واحدة تسمى إرادة تكوينية وثانية إرادة تشريعية، وابن تيمية أيضاً يقول بالإرادتين التكوينية والتشريعية، وهذا مخالف لعقائد أهل الحق الذين هم أهل السنة.

الثاني: عدم ثبوت صفة مثل صفات الله تعالى لذات أخرى، ومن ادعى ذلك فقد ادعى ثبوت صفات الرب جل شأنه لغير الله تعالى.

وهذا كأن يقول مثلاً إن **قدرة** الإنسان **تخلق** كقدرة الله تعالى، وممن يقول بذلك الشيعة والعلمانيون، فهم يقولون إن **الإنسان يخلق أفعاله** كما أن الله تعالى يخلق أفعاله، وهذا باطل فاسد لأنه يناقض عقيدة وحدانية الله في صفاته و أفعاله.

المقام الثالث: وحدانية الأفعال:

نقصد بالأفعالِ: **نفس المخلوقات** من السموات والأرضيين وما بينهما وما فيهما، فكل مخلوق خلقه الله بقدرته يسمى **فعلاً**.

فالإنسان وصفاته وحركاته وسكناته كلُّها أفعالٌ لله تعالى لأنه تعالى هو الذي خلقها، قال تعالى: ﭽ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﭼالصافات: ٩٦.

*** مذهب أهل السنة في الأفعال:**

عقيدة أهل السنة أن الخلق للأفعال لا يكون إلاّ لله تعالى وحده، فهو ربٌّ و إلهٌ و مالك لكلِّ ما في الوجود من أفعال ومخلوقات، والأدلة على ذلك من القرآن الكريم كثيرة.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾ [البقـــــرة: ٧]، ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٦] ، ﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ [البروج: ١٦]، ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمـــان: ٢٦]، إلى غير ذلك من الأدلة الدالة صراحة على أن الباري تعالى هو الخالق، ولا خالق سواه، وكل ما سواه مخلوق.

ويلزم من كونه تعالى هو الخالق فقط أن يكون هو المدبر والمتصرف بكل ما في الوجود من مخلوقات.

قال الإمام **الطحاوي** في عقيدة أهل السنة والجماعة: (**وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بقدرته ومشيئته، ومشيئته تنفذ ولا مشيئة للعبد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن، يهدي مَنْ يشاء، ويعصم ويُعافي، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً ..**)

وإذا كان الله تعالى هو وحده الخالق، وكل ما في الكون من مخلوقات مادية ومعنوية فهي بقدرة الله تعالى مخلوقة، فإن الله تعالى يكون هو خالق الخير والشر، والله هو خالق ذات الإنسان وخالق أفعاله أيضاً، وليس الإنسان بخالق أبداً.

*** الجبر والاختيار:**

أفعال الإنسان قسمان: **أفعال إجبارية**، وهي التي يخلقها الله تعالى في الإنسان جبراً عنه ومثالها حركة الارتعاش التي يشعر بها كل واحد منا، وهناك **أفعال** للإنسان **اختيارية**، أي أن الإنسان هو الذي يختارها، ولذلك فإنه يحاسب عليها، ولكن هذه الأفعال الاختيارية التي يمارسها الإنسان من صلاة، وشرب، وغيرها ليس الإنسان هو الخالق لها، بل إن الله تعالى يخلقها لنا بناء على علم الله بنا أننا نريد فعلها.

فمن علم الله منه إرادة الفعل الفلاني خلقه له، وأشعره كما لو أنه حصله بقدرته الإنسانية، سواء كان ذلك الفعل خيراً أم شراً، فمن علم الله منه إرادة الإيمان وفعل الطاعات خلق له ذلك، ومن علم منه إرادة الشر وفعل المعاصي خلق له الكفر وما تبعه من المعاصي، ولما كان خلق الله تعالى لنا الخير والشرير بناء على علمه بنا، فإننا نحاسب عليها في الدنيا والآخرة.

*** الله خالق، والإنسان مكتسب:**

يسمى علماء أهل السنة الإنسانَ بأنه يكتسبُ الأفعالَ التي يخلقها الله تعالى له، بينما يسمى الله تعالى بخالق الأفعال.

*** المخالفون لأهل السنة:**

المخالفون لأهل السنة في عقيدة الوحدانية فرق:

الفرقة الأولى: المعتزلة والشيعة والفلاسفة الذين قالوا: إن قدرة الإنسان قدرة لها خاصية الخلق، والإنسان هو الذي يخلق أفعاله.

الفرقة الثانية: العلمانيون: وهم الماديون الموجودون في هذا العصر، وهؤلاء ينكرون الخالق من أصله ويعتقدون أن الطاقة المتخللة في أجزاء الكون هي الخالقة لما في الكون من الأفعال.

الفرقة الثالثة: الصابئة: وهم الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن، وعقيدتهم أن الكواكب لها خاصية التأثير والخلق.

واعلم أن قول أهل السنة بأنَّ الله هو خالق أفعال الإنسانية الإجبارية والاختيارية لا يستلزم أن يكون الإنسان مجبراً على أفعاله، بل إنه مختار لأفعاله الاختيارية وإن لم يكن هو الخالق لها.

فالله تعالى هو خالق الإيمان وخالق الكفر، فخلق الإيمان لأبي بكر بناء على اختيار أبي بكر الإيمان، وخلق الكفر لأبي جهل بناء على اختيار أبي جهل لذلك، وكل ذلك بناء على علم الله الأزلي بما سيؤول إليه أمر كل إنسان.

تحليل الاختيار:

الاختيار هو أن يخلق الله تعالى للإنسان فعله على وفق ما يريده الإنسان، كأن يريد الإنسان الإيمان فيخلق له ذلك، أو يريد الكفر فيخلق له ذلك.

تحليل معنى الجبر:

الجبر هو أن يخلق الله تعالى للإنسان فعله دون مدخليه من إرادة الإنسان وقدرته، كحركة الارتعاش، فإن الله يخلقها دون اعتبار إرادتنا أو عدم إرادتنا لذلك.

المبحث الثاني

الصفات المعاني

*** الفرق بين الصفات السلبية والصفات المعاني:**

الفرق بينهما أن الصفات **السلبية** هي التي تنفي النقصَ عن ذات الله تعالى، فصفةُ القِدَمِ تنفي عـــن ذات الله أن يسبقها عدم، والبقاء تنفي عن ذات الله أن يطرأ عليها عَدَمٌ، والمخالفة للحوادث تنفي المشابهة، والوحدانية تنفي عـــن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله التعدد والتكثُر.

وأما الصفات **المعاني** فهي تدل على **ثبوت معاني قائمة بالذات الإلهية**، فالحياة معنى، والعلم معنى، والإرادة معنى، والقدرة معنى، والكلام معنى، والسمع معنى، والبصر معنى، وإن كنا لا ندرك حقيقة هذه المعاني التي هي صفات أولية لذات الله تعالى.

وأما المعتزلة والشيعة فأنكروا الصفات المعاني هذه، ولهذا سماهم أهل السنة بالمعطلة لأنهم عطلوا ذات الله تعالى عن صفاتها المعاني التي دلت عليها الأدلة الشرعية والعقلية واللغوية.

*** أحكام عامة متعلقة بالصفات المعاني:**

تشترك الصفات المعاني الإلهية بالأحكام التالية:

1- **القدم:** كل صفة من المعاني فهي قديمة لم يسبقها العدم أبداً.

2- **البقاء:** كل صفة من المعاني فهي باقية لا يطرأ عليها عدمٌ أبداً.

3- **المخالفة لصفات الحوادث:** فصفات الله المعاني ليست حقيقتها كحقيقة صفات المخلوق.

4- **القيام بذات الله تعالى:** كل صفة من الصفات المعاني قائمة بذات الرب تبارك وتعالى قياماً قديماً أزليـــاً، خلاف للمجسمة الذين جعلوا بعض صفات الرب مخلوقة، خلقها الرب لنفسه بقدرته.

5- **الوحدانية:** فكل صفة من المعاني هو معنى واحد ولا تعد فيها كما قلناه سابقاً، وكذا فإن ذات الله تعالى هي المختصة بهذه المعاني ولا تثبت لغيره تعالى.

و بهذا تعرف أيَّها المسلم الذكيُّ أن الصفات السلبية السابقة كما أنها أحكام لذات الله هي أيضاً أحكامٌ لصفات الله تعالى.

*** الأحكام الخاصة:**

تتميز كل صفة من صفات الله المعاني بميزة ووظيفة لا يؤديها غيرها من الصفات، وهذه الأحكام أو الميزات هي:

1- **الحياة:** ميزة صفة الحياة الإلهية أنها تُصحح للذات القائمة هي بها أن يتصف ببقية الصفات.

2- **العلم**: ميزة صفة العلم الإلهي **الكشف** عن كل الأمور، فعلم الله كاشف عن كل الواجبات والجائزات والمستحيلات.

3- **الإرادة**: ميزة الإرادة هو **التخصيص**، ومعنى **التخصيص** هو تحديد الزمان والمكان والحجم والجهة والصفات التي سيخلق عليها كل مخلوق من المخلوقات سواء كانت صفات خيرة أو قبيحة.

4- **القدرة**: ميزة القدرة الإلهية **التأثير**، ومعنى **التأثير** هو خلق المخلوق وإيجاده من العدم المحض على طبق تخصيص الإرادة.

5- **الكلام**: ميزة الكلام الإلهي هو **الدلالة** على كل أمر علمه الله تعالى، فكل ما علمه الله في الأزل فقد دل عليه كلام الله في الأزل أيضاً.

6- السمع: ميزة السمع الإلهي هو **الكشف** عن الأصوات الموجودة وكل ما يقبل أن يكون مسموعاً.

7- البصر: ميزة البصر الإلهي هو **الكشف** عن **الموجودات** المبصرة وكل ما يقبل أن يكون مبصراً.

فالعلم كاشف، والإرادة مخصصة، والقدرة مؤثرة (خالقة)، والكلام دالٌ، والسمع والبصر كاشف عن الموجودات، والحياة مصححة لاتصاف الذات الإلهية بالصفات المعاني كلها.

* **أدلة الصفات المعاني:**

دليل الحياة: قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٢].

دليل العلم: قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء: ١٦٦].

دليل الإرادة: قال تعالى: ﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ [البروج: ١٦].

دليل القدرة: قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٩].

دليل الكلام: قال تعالى: ﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤].

دليل السمع والبصر: قال تعالى: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

*** الإيمان بالقضاء والقدر:**

الإيمان بالقضاء والقدر من أصل الإيمان، فمن آمن بهما كان مستقيماً في عقيدته، ومن أنكرهما كان منحرفاً ضالاً، ولقد بين علماء أهل السنة ما المراد بالقضاء والقدر حسب الشرح التالي:

أولاً: القضاء:

القضاء عند أهل السنة راجع إلى علم الله الأزلي بكل أمر من الأمور، فما من أمر من الأمور أو شيء من الأشياء إلاّ والله تعالى يعلمه منذ القِدم والأزل، علماً تفصيلياً، أي بكل أمر على حدى أما دليل قدم العلم: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢] ، وأما دليل العلم التفصيلي: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩]

ثانياً: القدر:

القدر عند أهل السنة راجع إلى صفة القدرة، وهو أن الله تعالى خالق لكل مخلوق على وفق ما علمه في الأزل، وعليه فالقدر تابع للقضاء ومحقق له.

*** التنبيه على بعض الأخطاء التي وقع الناس فيها:**

وقع بعضٌ في أخطاء تخالف عقيدة أهل السنة في صفات الله تعالى، فبعضهم أخطأ فيما يتعلق بصفة العلم، وبعضهم أخطأ فيما يتعلق بصفتي الإرادة والقدرة، وبعضهم أخطأ في صفة الكلام الإلهي:

1- **القدرية:** وهم الذين أنكروا القضاء والقدر، وذلك لأنهم أنكروا العلم الإلهي الأزلي بالأشياء، فسموا قدرية نسبة لهم إلى العقيدة التي أنكروها، وهؤلاء القدرية هم الذين قال عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم: (القدرية مجوس هذه الأمة)، وهو من معجزاته لأن القدرية لم يكونوا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أصلاً.

وأما **ابن تيمية** فلم ينكر العلم الأزلي ولكنه أنكر أن علم الله تعالى واحدٌ، وأثبت لله تعالى علوما، وهذا يخالف عقيدة الوحدانية في الصفات كما مر معك سابقاً.

2- **المعتزلة والشيعة:** وهم الذين أنكروا صفات الله تعالى، فسماهم أهل السنة بالمعطلة لأنهم عطلوا ذات الرب عن صفاتها المعاني الثابتة لها في الكتاب والسنة.

وقالوا: إن كلام الله عبارة عن حروف وأصوات، يخلقها بقدرته خارج ذاته، وأنكروا الكلام النفسي الذي هو صفة معنى كما يعتقده أهل السنة.

ووافق الشيعةَ والمعتزلةَ على ذلك كلٌّ من ابن تيمية والوهابية والسلفية، فليس صفة الكلام الإلهي عندهم عبارة عن معنى كما هو مذهب أهل السنة، ولكن حروف وأصوات مخلوقة, ولهذا فإن هذه الطوائف تُرجع كلامَ اللهِ تعالى إلى القدرة والإرادة التي وظيفتها الاختيار والخلق، ومن هنا ترانا نسمع مشائخ الوهابية يقولون: الله يتكلم إذا شاء

ويسكت إذا شاء، وهذا الاعتقاد منهم هو أصل القول بخلق القرآن عند من سبقهم مكن المعتزلة و الشيعة, فيلزمهم ما لزمهم من القول بخلق القران.

3- ابن تيمية ومن تبعه من الوهابية والسلفية:

ذهب هؤلاء القوم إلى جواز أن يخلق الله لنفسه صفات خلقاً، ولهذا تراهم يقولون: إن الله يخلق الكلام التي هي حروف وأصوات في ذاته ثم يتلفظ بها خارج ذاته، وبعض من تبعهم وهو ابن بدران أثبت في كتابه (المدخل إلى مذهب أحمد) لله "فماً" يلفظ الله به حروف وأصوات اللغة العربية، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

***القرآن والسنة:**

الشريعة عند أهل السنة عبارة عن كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة، وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الشريعة بقسميها (الكتاب والسنة) ترجع إلى صفة الكلام المتصف بها رب العالمين، والتي هي معنى قائم بذات الله تعالى، فالأوامر والنواهي كلها عبارة عن خطابه الله تعالى للناس، والخطاب يكون بالكلام دائماً، فجعل الله نصوص الكتاب والسنة معبرة بلغتنا عن كلامه الأزلي القديم، وكلام الله الأزلي ليس مخلوقا.

*** الحب والرضا، والبغض والكره:**

هذه الصفات الإلهية راجعة إلى صفة الإرادة على الخصوص، فكل ما أمر به الله بكلامه فإنه رضيه وأحبة بإرادته، وكل ما نهى عنه فقد أبغضه وكرهه بإرادته أيضاً، فالله يحب ويرضى، ويبغض ويكره بإرادته.

*** بدعة المعتزلة والشيعة:**

حصر هؤلاء إرادة الله واختياره في **الخير** فقط، فالله لا يريد إلاّ الخير، ولهذا فالله تعالى عندهم خالق للخير فقط، وقالوا: ما دام أن الله يختار ويريد الخير فقط، فإنه بالضرورة أن يرضى ويحب ويأمر بما يختاره ويريده، وبهذا أرجعوا صفات الأمر و النهي إلى الإرادة الإلهية، وهذا خطأ، لأن الأمر والنهي عند أهل السنة راجعان إلى صفة الكلام وليس إلى صفة الإرادة كما ذكرنا سابقاً.

ثم إن البدعة الأخرى التي وقعوا فيها أنهم حصروا اختيار الله في الخير فقط، وأما الشر فهو من خلق الإنسان، فنسبوا بذلك الخلق إلى الإنسان، وهذا مخالف لعقيدة أهل السنة التي نطق بها القرآن الكريم من أن الشر والخير كلاهما من الاختيار الإلهي مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فالله عندنا ــ أهل السنة ــ يختار بإرادته الشر والخير، ويبتلي بهما الناس، ولكنه بكلامه يأمر بالخير وبكلامه أيضاً ينهى عن الشر.

وأما الرضا والحب فيكون لما اختاره وأمر به من الخير، وأما البغض والكره فيكون لما اختاره من الشر أيضا ولكنه نهى عنه بكلامه.

فمرجع الخير والشر، والحب والرضا، والبغض والكره إلى الإرادة الإلهية وأما الشريعة والأوامر والنواهي فمرجعها إلى الكلام الإلهي وليس إلى الإرادة كما ابتدعه المعتزلة والشيعة والمجسمة.

عقيدة أهل السنة في القرآن الكريم

عقيدة أهل السنة في كلام الله تعالى أنها صفة **معنى**، قائم بالذات الإلهية أزلاً، وهي مخالفة لكلام البشر.

وأما حقيقة كلام البشر فعبارة عن لغة، واللغة عبارة عن حروف وأصوات ينطق بها الناس من أفواههم، وكل حرف من حروف اللغة العربية له بداية وله نهاية، وتتركب الكلمات العربية من هذه الحروف التي تتلفظ بها.

وكلامنا العربي له أحكام، وأول هذه الأحكام أن كلامنا تابع لقدرتنا، وإرادتنا، فإذا أراد الإنسان التكلم تكلم وإذا أراد السكوت سكت.

وثاني هذه الأحكام هو أن كلامنا يقبل التجزئة والتبعيض، والتقديم والتأخير.

ولكن كلام الله تعالى معنى كبقية صفات الله المعاني، وليس حروفاً وأصوات ككلام البشر، وإلا لزم مشابهة المخلوق للخالق، وللزم أن يكون كلام الله مخلوقاً لأن الأصوات والحروف تابعة للقدرة التي وظيفتها وخاصيتها الخلق للأشياء، لأن كل ما كان مسنداً إلى القدرة الإلهية فيلزم أن يكون مخلوقاً كما ذهب إليه الشيعة والمعتزلة والمجسمة.

*** الوهم الكبير:**

يقع كثير من عوام المسلمين في وهم كبير فيظن أن القرآن الكريم الذي نتلوه ونقرؤه في مصاحفنا، ويكتب في المطابع والأقلام هو نفس المعنى القديم الذي هو صفة الكلام الإلهي.

ولو تأملنا جيداً، لأدركنا أن صفة الكلام الإلهي معنى أزلي، قديم، وهذا القرآن الذي بين أيدينا هو عبارة عن أصوات وحروف عربية **تعبر** عن صفة الله التي هي صفة الكلام.

ومنشأ هذا الوهم الكبير هو أننا نطلق على الصفة القديمة وعلى المصحف الذي نقرؤه بأنهما كلام الله، فظن الناس وتوهموا أن كلام الله الأزلي هو أصوات وحروف عربية، وبهذا يكون لله تعالى لغة يتكلم بها.

فنشأ عند الناس عقيدة فاسدة مفادها أن كلام الله هو اللغة العربية. والحق أن كلام الله معنى قديم نجهل حقيقته وليس هو بحروف ولا أصوات.

*** عقيدتنا في القرآن الكريم:**

عقيدتنا في القرآن الكريم هي كعقيدتنا في بقية الكتب السماوية، ونحن نؤمن بأن الكتب السماوية كلها من عند الله تعالى، من أنكر واحداً منها فهو كافر.

وكل كتاب منها فهو مكتوب بلغة الناس الذين نزل إليهم بها، فصحف إبراهيم عليه السلام نزلت باللغة الآرامية.

والتواره والإنجيل نزلا بالعبرانية.

والزبور نزل بلغة قوم داود عليه السلام.

والقرآن نزل بلغة العرب وهي اللغة العربية.

فالآرامية والعبرانية والعربية هي لغات للناس، ولكل لغة حروفها وأصواتها الخاصة بها ولا نقول أنها راجعة لكلام الله تعالى الأزلي.

ومع ذلك فإنا نطلق على هذه الكتب السماوية جميعها بأنها كلام الله، وذلك لا يعني ولا يستلزم أن صفة الكلام الإلهي هي آرامية أو عبرانية أو عربية.

فما معنى أنها كلام الله تعالى؟

معنى أن الكتب السماوية كلام الله أنه تعالى جعل لغة قوم إبراهيم أو داود أو موسى أو عيسى عليهم السلام **وعاء** لتبليغ الأحكام الشرعية، فخلق الله في اللوح المحفوظ حروفاً من جنس الحروف الآرامية والعبرانية والعربي، تشكل هذه الحروف الآيات والسور، ثم أمر الوحي جبريل عليه السلام بإنزالها على الأنبياء والمرسلين.

وليس معنى أنها كلام الله تعالى أن الله متكلم بهذه اللغات لأن كلام الله كما قلنا عبارة عن معنى أزلي قديم، وأما لغات الكتب السماوية فهي تعبيراتٌ وترجماتٌ ودوالٌ على كلام الله الأزلي الذي هو معنى.

فالفرق بين لغات الكتب السماوية و بين كلام الله الأزلي أن الكتب عبارة عن حروف بينما كلام الأزلي عبارة عن معنى، وفرق بين المعنى الأزلي القائم بالذات الإلهية وبين الحروف التي خلقها الله بقدرته في اللوح المحفوظ وأنزلت مع الأنبياء وجعلت دالة للناس مع كلام الله الذي هو معنى أزلي قديم.

الخلاصة: إن مصطلح (كلام الله) يطلق على المعنى القديم المسمى بصفة الكلام، ويطلق على الكتب السماوية المنزلة مع الأنبياء بواسطة الوحي بلغات أقوام الأنبياء، ولكن الأولى كلام الله بمعنى صفتة القائمة بذاته.

وأما الثانية فكلام الله بمعنى أنه تعالى هو الذي أوجدها في اللوح المحفوظ وأمر بإنزالها على الأنبياء.

وكذا مصطلح (القرآن)، فقد يطلق ويراد به كلام الله الأزلي الذي هو معنى مغاير لكلام البشر، وقد يراد بالقرآن الحروف المنزلة على النبي صلى الله عليه وسلم.

فائدة: لقد فرق الله تعالى في كتابه العزيز بين كلامه الأزلي الذي هو صفته وبين كلامه المنزل الذي هو فعله:

1. قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤]: هذه الآية تتعلق بالصفة الأزلية التي هي معنى قائم بذات الله تعالى، مغاير لكلام البشر، ونتوقف عند هذا الحد ولا نخوض في حقيقتها.

2. قال تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢]: هذه الآية تتكلم عن القرآن المنزل بالحروف العربية التي نعرفها, و قد وصفها ربنا فقال (محدث) أي مخلوق.

بناء على ذلك يجب على كل مسلم أن يكون على بصيرة من أمره في هذه المسألة، فأهل السنة لهم تفريق بين أمرين:

الأول: كلام الله الذي يقصد به الصفة الأزلية التي هي صفة الكلام، وهي معنى قديم ليس بحرف ولا صوت ولا لغة.

الثاني: كلام الله بمعنى الحروف التي يخلقها الله بقدرته في اللوح المحفوظ، ويجعلها تعالى معبرة عن كلامه الأزلي, وتكون هذه الحروف بحسْب لغة أقوام الأنبياء الذين سيترل الكتاب السماوي عليهم.

ومَنْ لا يدرك هذا التفريق عند أهل السنة لم يفهم بالضبط هذا المبحث العقائدي الهام.

وأما **الشيعة والمعتزلة وابن تيمية** فلم يفرقوا بين الأمرين، وقالوا أن كلام الله هو في حقيقته أصوات وحروف، وأنكروا بذلك الكلام النفسي الإلهي، ولهذا وإذا كان كلام الله عندهم هو في حقيقته أصوات وحروف وكل صوت وحرف فهو بالضرورة مخلوق، فذهب هؤلاء جميعاً إلى القول بخلق القرآن وبالتالي تلبسوا بهذه البدعة الشنيعة فاستحقوا ما حل بهم.

قال الإمام الطحاوي في عقيدته :[**وأن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على نبيه وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه..**]

وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان إمام الفقهاء [**ويتكلم لا ككلامنا، فنحن نتكلم بالآيات والحروف، والله متكلم بلا آلة ولا حرف اهـ**]

فعلى المسلم من أهل السنة أن يفرق في حديثه واعتقاده بين كلام الله الذي هو معنى قديم، وبين كلام الله المترل الذي حرف وصوت، والذي هو مخلوق محدث كما نص عليه كتاب الله العزيز.

واعلم أن فتنة خلق القرآن سببها هو قول المعتزلة والشيعة إن كلام الله تعالى أصوات وحروف خلافاً لأهل السنة الذين يعتقدون أن كلام الله معنى كما أن العلم معنى والحياة معنى والإرادة معنى والقدرة معنى والسمع معنى والبصر معنى.

المبحث الثالث

الصفات الجامعة

لقد عرفت سابقاً أن الصفات السلبية هي التي تدل على نفي النقائص التي لا تليق بالله تعالى، وأن الصفات المعاني هي التي تدل على ثبوت معاني قائمة بالذات الإلهية، فبقي عليك أن تعرف ما معنى **الصفات الجامعة**.

* **تعريف الصفات الجامعة:**

الصفات الجامعة هي كل صفة تستلزم **نفي** النقص عن الله تعالى، وتستلزم أيضاً **إثبات** الصفات المعاني، فهي تتضمن صفات السلب والصفات المعاني في آن واحد، فلذلك سميت **بالجامعة** لجمعها بين ما تدل عليه الصفات **السلبية** ما تدل عليه الصفات **المعاني**.

ومن أمثلة هذه الصفات الواردة في الشريعة: الجلال، العزة، الجمال، الغني.

* **الصفات الجامعة قسمان:** صفات **جلال** وصفات **جمال**:

صفات الجلال: وهي الصفات التي تدل على مظاهر القوة والجبروت الإلهي، ومن أمثلتها الانتقام والغضب، قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

صفات الجمال: وهي الصفات التي تدل على مظاهر الجمال الإلهي نحو صفات الرحمة والغفران والود والفضل والرضا واللطف والحلم والكرم والعفو الإلهي.

* **أثر صفات الجلال والجمال في نفس المسلم:**

قال الإمام أحمد الدردير: **ترى العارفين به تعالى من هيبته خاشعين ولجماله تراهم من حبه مولهين.**

وعلق الإمام الصاوي على كلام الدردير فقال:

فتحصَّل أن العارفين بربهم **إذا تجلى عليهم بالجلال** خشعوا و خضعوا وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ولو كانوا في أعز النعيم و **إذا تجلى عليهم بالجمال** تولهوا وتهيموا وازدادوا فرحاً وسروراً ولو كانوا في ضيق الحال. اهـ

صفات الذات وصفات الأفعال

يفرق علماء أهل السنة أيضاً بين نوعين من الصفات:

الأولى : صفات الذات:

قال الإمام أبو اسحق الشيرازي[7]: " **الصفات الذاتية** هي ما يصح أن يوصف بها في الأزل وفي لا يزال كالعلم والقدرة, وهولا يجوز أن يوصف تعالى بضدها لأن ضد الحياة الموت، وضد العلم الجهل، وضد القدرة العجز وهكذا في بقية الصفات المعاني.

الثانية: صفات الفعل:

قال الإمام أبو اسحق[8]:**الصفات الفعلية** : هي ما لا يصح أن يوصف بها في الأزل، ويصح في لا يزال كالخلق والرزق اهـ

وذلك لأنها صفات تشتق من أفعال الله تعالى وأفعال الله مخلوقة حادثة وليست أزلية.

فائدة:من قال إن الله تعالى يسمى خالقا ورازقاً ومحييا ومميتاً في الأزل فهو بمعنى أنه قادر على ذلك فيما يستقبل من الأمان كما سيأتي في نقلنا من العقيدة الطحاوية في مبحث الأسماء الإلهية الحسنى.

ملاحظة:

هناك بعض الصفات و الأسماء يمكن إرجاعها إلى صفات الذات فتسمى صفة ذات، ويمكن إرجاعها إلى صفات الأفعال فتسمى صفة فعل، وذلك نحو **الرحمن**.

فإن قلنا إنه راجع إلى إرادة الرحمة، فيكون صفة ذات هي الإرادة.

وإن قلنا أنه نفس الفعل المسمى بالرحمة فيكون صفة فعل.

---

(1) (2) الإشارة إلى مذهب أهل الحق، اسحق الشيرازي (476هـ)، دار الكتاب الإسلامي

الباب الثالث

أسماء الله تعالى الحسنى

هذا مختصر في بعض القواعد العقائدية المتعلقة بأسماء الله تعالى عند أهل السنة والجماعة.

أسماء الله تعالى الحسنى ثابتة بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال عليه الصلاة والسلام: (لله تسعه وتسعون اسماً، مائة إلاّ واحداً، من أحصاها دخل الجنة)، رواه البخاري ومسلم,

القاعدةالأولى:

ما ورد من الاسماء الحسنى في الشرع سمينا الله به، وما منع الشرع منه منعنا تسمية الله تعالى به.

وكل اسم لم يرد في الشرع لا الإذن بتسمية الله تعالى به، ولا الحكم بمنعه، نتوقف فيه، ولا نحكم فيه لا بحلٍ ولا حرامة، لأن الأحكام الشرعية تتلقى من الشرع فقط.

القاعدةالثانية:

لا يشترط في قبول الاسم في حق الله تعالى أن يكون دليله متواتراً قطعياً، وهو الذي يفيد العلم القطعي عند العلماء، بل يكفي أن يكون الدليل كافياً في وجوب العمل، فلو كان الحديث من الآحاد، وصحيح السند، لزمنا العمل به، وذلك لأن إطلاق الأسماء على الله تعالى مسألة فقهية عملية وليست مسألة عقائدية علمية.

(**فرع**) إذا تلقينا من حديث آحاد وصحيح اسماً من أسماء الله تعالى، قبلناه، وسمينا الله تعالى به، ولكن بيان معنى هذا الاسم وشرحه شرحاً يليق بالله تعالى يشترط فيه الأدلة القطعية، وعليه ففرق بين قبول الاسم من الآحاد وبين توضيح معناه في حق الرب تبارك وتعالى فالأول مسألة فقهية عملية كما قلنا، وأما الثانية فمسألة عقائدية.

القاعدة الثالثة:

يقسم العلماء أسماء الله الحسنى أقساماً ثلاثة:

القسم الأول: الأسماء الدالة على مجرد وجود الله تعالى، كلفظ كلمة **موجود، وذات، وغني.**

القسم الثاني: الأسماء الدالة على صفات الله تعالى القديمة المسماة بالصفات المعاني، ومن هذه الأسماء: الحي، العالم، المريد، القادر، المتكلم، السميع، البصير.

القسم الثالث: الأسماء الدالة على أن الله تعالى خالق للأفعال التي يفعلها ومن هذه الأسماء: الخالق، البارئ، الرازق، المحيي، المميت..الخ

فأسماء الله الحسنى في عقيدة أهل السنة منها ما يدل على ذات الله تعالى، ومنها ما يدل على صفاته المعاني القديمة، ومنها ما يدل على أفعاله التي خلقها، ويجمع هذه الأسماء كلها لفظ الجلالة (**الله**).

فائدة: وهناك من الأسماء الحسنى ما يمكن أن يكون مرجعها إلى الصفات المعاني، وعليه تكون هذه الأسماء من صفات الذات كما بيناه سابقاً، كالرحمة الرحيم، فيكون معناها: إرادة الباري الإنعام على عبده، فمرجعها إلى الإرادة، والإرادة من صفات الذات المعاني القديمة.

ويمكن أن ترجع مثل هذه الأسماء إلى الأفعال، كالرحمن الرحيم أيضاً، فيكون معناها نفس الإنعام الذي خلقه الله تعالى، وعليه يكون كل من الرحمن الرحيم من صفات الأفعال.

القاعدة الرابعة:

الأسماء الحسنى ثابتة لله تعالى في الأزل والأبد، سواء في ذلك الأسماء الدالة على مجرد ذات الله تعالى، أوالدالة على صفاته "المعاني القديمة"، أوالدالة على الصفات السلبية كالقديم والباقي والواحد، فهذه الأسماء الراجعة إلى هذه الجهات الثلاثة أسماء أزلية لله تعالى، وهي ثابتة له الآن، وسيبقى مسمى تعالى بها أبداً.

وهناك قسم من الأسماء اختلف فيه العلماء، هل هي أسماء لله تعالى في الأزل قبل خلقه للمخلوقات، أم هي أسماء أطلقت على الله تعالى بعد خلقه لأفعاله ومخلوقاته.

وضربوا لذلك مثالاً: السيف في الغمد، هل يسمى قاطعاً حتى وهو في غمده، أم أنه يسمى قاطعاً عند ممارسة القطع به.

ومن هذه الأسماء الجواد والرزاق والخالق والمعز وهكذا.

فهل يسمى الله تعالى في أزل الآزل قبله خلقه المخلوقات بهذه الأسماء، أم أنه يسمى بها عند خلقه الجود والرزق بالفعل؟

القول الراجح: أنه تعالى يسمى بهذه الأسماء في الأزل، وتسميته بالأزل بناء على أن الله في الأزل متصف بالقدرة القديمة القادرة مع الجود والرزق والإحياء والإماتة.

ولهذا قال الإمام الطحاوي في متن العقيدة الذي سماه عقيدة أهل السنة والجماعة:

[**وما زال بصفاته قديماً قبل خلقه**]: فكل صفات الله تعالى قديمة: السلبية والمعاني والجامعة وصفات الجلال وصفات الجمال.

[**لم يزدد بكونهم شيئاً يكن قبلهم من صفته**]: أن الله تعالى كامل كمالاً مطلقاً، ولذلك فإنه لّما خلق المخلوقات لم يستجد له صفة جديدة.

[**وكما كان بصفاته أزلية كذلك لا يزال عليها أبدياً**]: فصفاته تعالى ثابتة له ثبوتاً مطلقاً في الأزل وفي المستقبل.

[**ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري**]: كما أن **صفات** الرب جل جلاله قديمة، فكذلك أسماؤه تعالى قديمة ومنها الخالق والبارئ، وهي من الأسماء الراجعة إلى أفعال الله، وأفعاله تعالى حادثة بعد عدم، مخلوقة، ومع ذلك فالأسماء الحسنى المشتقة من الأفعال المخلوقة ثابتة لله في الأزل كما قلنا سابقاً إنه الراجح.

[له معنى الرب ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق]: فالربوبية ثابتة لله تعالى قبل وجود المخلوقات المربوبة له تعالى فهو ربها قبل خلقه لها.

وكذا هو الخالق منذ الأزل وإن لم يكن ثم مخلوق مطلقاً.

[وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم]: فهو تعالى في أزله القديم يسمى بالمحيي والمميت، وبالخالق قبل إنشائه وخلقه تعالى لأي مخلوق.

ثم قال الإمام الطحاوي مبيناً السبب الذي لأجله يطلق على الله الأسماء الحسنى في الأزل مع أنها أسماء مشتقة من أفعال الله تعالى وأفعال الله تعالى مخلوقة وليست موجودة في الأزل.

[بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء فير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ليست كمثله شيء وهو السميع البصير].

فكل صفات الله تعالى بجميع أقسامها السابقة، وكل أسمائه تعالى ثابتةٌ لله في الأزل سواء الأسماء الراجعة إلى مجرد الذات، أو مجرد صفات السلب، أو مجرد الصفات المعاني، أو الأسماء الراجعة إلى الصفات الراجحة إلى أفعال الله تعالى، كلها أسماء لله تعالى، تطلق عليه تعالى في الأزل قبل خلقه للمخلوقات.

بيان منهج أهل السنة في شرح الأسماء الحسنى

لقد قلنا في أول هذه الإضاءة الثانية أن أهل السنة لا يخوضون في حقيقة الله تعالى ولا في حقيقة صفاته، ولكنهم يخوضون فيما ينسب إلى الله تعالى وصفاته.

فإذا نُسب إلى الله لفظٌ ما، فنحن نحلل هذا اللفظ، ونتفكر في معناه، فإن كان معناه لا يتعارض مع جلال الرب جوزنا نسبته إلى الله تعالى، وإن تعارض مع جلاله تعالى نفيناه وسلبناه عن الله تعالى، وإن لم يدل لا على تعارض ولا على عدم تعارض توقفنا فيه, إلاَّ أن يكون اللفظ وارداً في الشريعة فإننا ننفي عنه تعالى المعنى الباطل.

وإليك بعض الخطوات المفيدة في هذا المقام الخطير والصعب:

1- هل ما نُسب إليه تعالى مذكور في القرآن والسنة أم هو نسبة من الناس، فالله قد يَنسب هو إلى ذاته وصفاته ألفاظاً كنسبته العلم والإرادة والرحمة والمكر والجنب والحسرة والأيدي والأعين والخلق والإماتة، فكل هذه مذكورة في القرآن، ومنسوبة فيه إلى الله تعالى.

وكذلك نجد أن الله تعالى في القرآن الكريم يذكر عن اليهود والنصارى أنهم نسبوا إلى الله تعالى بعض الألفاظ كالتعب والولد والصاحبة.

والمشركون نسبوا إلى الله تعالى أن الملائكة إناث له.

2- أو أنْ يكون ما نُسب إلى الله وصفاته من اجتهاد الناس كأن يسمى واحدٌ من الناسِ اللهَ تعالى بأنه مهندس أو طبيب.

وطريقة أهل السنة في كل ذلك هي: أن كل لفظ نسبه الله تعالى إلى نفسه في القرآن، فإننا نوجب نسبته إلى الله تعالى من حيث إنه ورد به الشرع.

ثم إن بعد ذلك نبدأ بتفحص معاني هذه الألفاظ، فإذا كان معنى اللفظ لا يؤدي إلى نقص في حق الله تعالى فإننا نصف الله تعالى به كالعلم والإرادة والحياة..الخ، مع تنزيه الله تعالى عن أن يشاركه فيها غيره، أو أن يكون معناها في حق الله مشابها لمعناها في حق الخلق، فهذا يكون باطلا ومردودا.

وأما إذا كان **معاني** هذه الألفاظ تتعارض مع جلال الرب تعالى، فإننا ننكر أن يكون الله تعالى متصفاً بمحل التعارض، ومثال ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح: ١٠]، فإن الاستواء في حق المخلوق هو علو مكان جسم على سطح جسم آخر، ومعنى اليد في حق المخلوق هو العضو المعروف عند الإنسان والحيوان، ومعنى الرحمة في حق المخلوق هو الانفعال والتأثر.

وعليه فإننا نتره الله تعالى عن هذه المعاني لأنها معاني متعلقة بالمخلوق، وهي تدل على النقص في حق الله تعـــالى، وبهذا ننكر أن تكون هذه المعاني منسوبة ومراده لله تعالى، بل هناك معاني أخرى وراء هذا الظاهر الموهم للنقص.

فالاستواء مثلاً هو استواء سلطان وعظمة وتدبير.

و(يد الله فوق أيديهم) بمعنى التأييد والمعونة والنصرة.

و(الرحمن الرحيم) بمعنى المعطي والمحسن.

وهكذا هو الحال مع كل أسماء الله تعالى الحسنى، فليحذر المسلم عن أن يفهم معاني صفات الله تعالى ومعاني أسمائه بكافة أقسامها كما يفهم هو من صفات المخلوقين وأسمائهم، واعلم أن الرجوع في بيان مثل ذلك إنما يكون للعلمـــاء الراسخين في العلم.

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام على مبحثي الصفات والأسماء، ولنشرع الآن في القسم الأخير هو مبحث أفعال الله تعالى.

3ـ أننا نطبق هذا المنهج على أسماء الله الحسنى, فنتفكر في هذه الأسماء فما كان منها موهما لمعنى فيه شائبة النقص فإننا ننفي هذا الاحتمال الموهوم, وما كان منها راجعا إلى الصفات السلبية أو المعاني أو الجامعة أرجعناه إليها كـــلٌ بحسْبه.

وبعد النظر الدقيق يمكننا إرجاع كل اسم من الأسماء الصفة التي يرجع إليها.

الباب الرابع
الأفعال

هذا الباب من أهم الأبواب في العقيدة الإسلامية، والناس في هذا الزمان يكاد يكون الغالب منهم أنهم لا يهتمون به، مع أن الله تعالى أرسل الأنبياء والمرسلين لهداية الناس وإرشادهم إلى ما هو خير لهم في الدنيا والآخرة.

بل نقول: إن إغراق الناس وانغماسهم في عالم المصالح والمنافع أبعدهم عن بذل أقل جهد في فهم المسائل العقائدية التي أُرسل الأنبياء بها ليفهما الناس عنهم، وليقيموا حياتهم بناء عليها.

فالإنسان عندما يفهم معنى الإلوهية والربوبية، ومعنى النبوة والرسالة، ومعنى العبادة، ومعنى الشريعة السماوية، ومعاني صفات الله تعالى، ويفهم معاني العقائد الغيبية كالبرزخ والصراط والميزان والشفاعة، ... إلى غير ذلك من المعاني التي جاء بها الأنبياء إلى الناس، فإنه يستطيع أن يستوعب حقيقة وجوده على هذه الأرض، وتكون مصالحة تابعة لهذه الأمور، وهي المصالح الحقيقية، وليست المصالح الوهمية التي يركض الناس وراءها.

وذلك لأن السعادة المترتبة على المصالح الدينية سعادة دنيوية وأخروية، أما السعادة المترتبة على مصالح الدنيا فمصالح دنيوية في الجانب المادي فقط.

ومن العقائد التي بعث الله أنبياءه بها إلى الناس ليفهموها فهماً دقيقاً، ويؤمنوا بها إيماناً صادقاً هو أن الله تعالى حرٌ ومختار في خلقه لأفعاله، وأنه ليس لأحد أن يلزم الله تعالى بشيء ولا يوجب عليه حكم، وأنه لا يمنع أحدٌ اللهَ عن فِعْلِ فعلٍ من أفعاله أو عدم فعله له.

وهذا هو معنى التدبير والتصريف اللذين أكد الله عليهما في القرآن الكريم.

والنبي صلى الله عليه وسلم ترك الصحابة رضي الله عنهم وقد أيقنوا أن الله **فاعل مختار** فيما يفعل، لا يجبره أحدٌ على فعل من الأفعال، ولا يعجزه أحد عن فعل من الأفعال، وبقي هذا الاعتقاد الراسخ حتى ظهر في الأمة بعض المبتدعة من أهل الأهواء:

فمنهم من تطاول على مقام الله تعالى فأوجب على الله بعض أفعاله حتى أن هؤلاء قالوا: لو لم يفعل الله هذه الأفعال لكان الله ظالماً، وهؤلاء هم الشيعة والمعتزلة.

ومنهم منع الله عن بعض أفعاله، وادعى استحالتها عليه وهؤلاء هم الشيعة والمعتزلة أيضاً.

وبهذا حُدشت عقيدة الإيمان، فبدلاً من الاعتراف بأن الله قادر على كل أفعاله، جعلوه قادراً على بعضها، ومنعوه عن بعضها وأوجبوا عليه بعضها.

وأغرق بعض المبتدعة في الابتداع حتى نسب **خلق الأفعال** إلى الإنسان، فقالوا بأن الإنسان له قدرة، وقدرته خالقة لأفعاله، فنسبوا أفعال الله الواحد الأحد إلى غير الله تعالى وهو الإنسان، فبدلاً من أن يكون هناك خالق واحد هو الله تعالى أصبح هناك مع الله من يمارس الخلق، وهؤلاء هم الشيعة والمعتزلة أيضاً.

هذا كله دعا علماءَ أهلِ السنة إلى بيان عقيدتهم في الله تعالى وأنه هو الخالق الوحيد لكل الأفعال، وردوا على المخالفين.

وفوق ذلك كله ارتكب بعض الناس شططا، وخرجوا عن الحق خروجاً فاضحاً عندما جعلوا بعض صفات الرب التي هي معاني قائمة بالذات الإلهية أزلاً – أقول: جعلوها أفعالاً لله يخلقها بقدرته في ذاته، وهؤلاء هم المجسمة الـــذين قالوا: إن الله يخلق كلامه، ويخلق إرادته في ذاته.

وتبع هؤلاء في هذه العقيدة الفاسدة الفاضحة بعض المسلمين في هذا الزمان، وهكذا عندما ظهرت هذه البـــدع، وراجت عند بعض الناس هبَّ أهل السنة ينظرون في أقاويلهم، ويفكرون في أدلتهم التي يستدلون بها، وبينوا المفاســـد المترتبة على عقائدهم الباردة البائرة، فجزاهم الله خير الجزاء، ونفعنا بعلومهم وبركتهم النفع الوافر.

وهذا آخر ما أردنا بيانه والاقتصار عليه من عقائد أهل السنة المتعلقة بذاته تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله.

وفي الإضاءة الثالثة سنشرع في بيان عقائد أهل السنة المتعلقة بالأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين ✍

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة إضاءات على الطريق (3)

تخاطب هذه السلسلة كل مسلم و مسلمة في هذه الأمة العظيمة والمباركة بهدف إضاءة الطريق أمامهما في مواضيع متنوعة انطلاقا من منهج وفكر أهل السنة والجماعة في العقيدة والفقه والأخلاق النابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة الشريفة.

الإضاءة (الثالثة)

بيان عقيدة أهل السنة والجماعة

القسم الثاني

النبوات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل إلينا أشرف الخلق وسيد الأنبياء والمرسلين، وهدانا بفضله إلى الصراط المستقيم والمنهاج القويم، وصل اللهم وسلم على آل بيته الأطهار، وعلى أصحابه العدول الأتقياء، وعلى إخوانه الأوفياء، وبعد:

فهذه هي الإضاءة الثالثة من هذه السلسة، حيث تناولت الأولى بيان مَنْ هُمْ أهلُ السنةِ والجماعةِ، وأما الثانية فكانت حول العقائد الإسلامية المتعلقة بذات الله تعالى، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله، فكان من الضروري أن نَعْرِضَ بعد مباحث الإلهياتِ عقيدةَ أهلِ السنةِ والجماعةِ في **النُّبُوَاتِ**.

وقبل الخوض في مباحث النبوات، وعرض ما فيها من مسائل إيمانية عقائدية، نود عرض مقدمة نبين فيها:

أولاً: علاقة مبحث النبوات بمبحث الإلهيات.

ثانياً: بيان احتياج الإنسانية إلى الأنبياء والمرسلين.

ثالثاً: بيان معنى النبوة والنبي، والرسالة والرسول.

والنبوات هي : المسائل والقضايا والأحكام المتعلقة بالنبوة والرسالة وبالنبي والرسول، بحسَب ورودها في الشريعة الإسلامية، والتي يجب على كل مُكلفٍ أنْ يؤمن بها يعتقدها في حقهم.

علاقة مبحث النبوات بمبحث الإلهيات

إنَّ الإلهياتِ، كما سبق بيانُها في الإضاءة الثانية، تبحث فيما يتعلق بالله تعالى، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله من عقائد وأحكام.

وبيّنا فيها أن الفاعل المطلق والوحيد هو اللهُ تعالى، ولو تفكرنا قليلاً لوجدنا أنَّ النبوة والرسالة ما هي **أفعالٌ** لله تعالى، وبهذا نكون قد انتقلنا من البحث في مقام "الله"[1] إلى البحث في مقام أفعاله، فـــالله تعالى هو الربُّ الحقيقيُّ المطلق لكل ما في الكون من أفعال.

فبحثُنا في النبوات هو بحثٌ في أفعالِ الله تعالى، وعلى وجه الخصوص في فعلين عظيمين هما فعـــل النبوة وفعل الرسالة.

وقد عرفْنا سابقاً أنَّ اللهَ تعالى فاعلٌ مختارٌ، لا يُعْجِزُهُ فعلٌ من الأفعال، ولا يَجبُ عليه شيءٌ منـــها كما ادعاه بعض المبتدعة، وعلى هذا فالنبوة والرسالة فعلان اختارهما الله تعالى بإرادته الأزلية القديمـــة، وأظهرتهما القدرة الأزلية إلى حيز الوجود، وجعل الله تعالى من فعلي الرسالة والنبوة طريقاً يعرِّف الناسَ من خلالهما سبلَ الهدايةِ والرشادِ وما يترتب عليها من الثواب، وسبلَ الضلال والكفران ومـــا يترتـــب عليها من عقاب.

وبهذا نعرف أن البحث في النبوات **فرع** متصل في البحث في الإلهيات.

---

[1] أي: أن الإنسان بعد أن يعرف ما يتعلق بذاته وصفاته تعالى من **أحكام**، فإنه ينتقل إلى البحث في أفعال الله تعالى، وأفعال الله تعالى كثيرة، ومن أفعال الله تعالى النبوات والرسالات، والبحث في الأشخاص الذين يختارهم الله للقيام بمهمة بليغ أحكام الله تعالى للناس، فنعرف صفاتهم والأحكام المتعلقة بهم.والناس عادة لا ينتبهون إلى أن هناك فرقا بين "**الفعل**" وبين "**المفعول**" مع أن هناك فرق كبير بينهما في علم العقائد، فإن **الأفعال** تطلق عندهم على التعلقات بين الصفات الإلهية وبين ما تتعلق به صفة القدرة، وهي التي يشتق منها صفات الأفعال كالقادرية والإماتة والإحياء...الخ، فإن هذه عبارة عن التعلقات والعلاقات بين القدرة والمقدور في الأولى، والقدرة والموت في الثانية، والقدرة والحياة في الثالثة. وأما مصطلح "**المفعولات**" فيطلق عندهم على نفس المخلوقات كالشمس والقمر والإنسان والنبوات والرسالات والمعجزات، واعلم أن ينبني على التفريق بين هذين المصطلحين مسائل كبيرة في علم العقيدة، ونقول من استطاع من الناس أيبذل جهدا في إدراك الفرق بينهما ففي ذلك خير، وإن لم يفعل ذلك فيكفيه أن يفهم "الأفعال" بمعنى المفعولات" أي المخلوقات، ولكن هنا لابد من التنبيه على أنه لا يجوز للناس أن يعترضوا على العلماء وطلبة العلم إن بحثوا في هذه المسألة، وذلك لأن مقام العلماء أعلى من مقام العوام.

*** كلمة هامة:**

إذا كانت النبوة والرسالة التي يأتي بها الأنبياءُ والمرسلون إلى أقوامهم **أفعالاً إلهية** خصها اللهُ تعالى بمزيد فضل، فإنَّ الطعن فيهما يستلزمُ الطعنَ في الله نفسه، فالطعنُ في الأفعال يستلزم الطعن في فاعلها، والاستنقاصُ من شأنها هو استنقاص بالله الذي اختارها.

وقولُ البعض[2] بأنَّ الأديانَ السماويةَ لا تصلح في إصلاح الحياة الإنسانية بمختلف صورها الفكرية والثقافية، والسياسية والاقتصادية، والجنائية والعسكرية، والقولُ بأنَّ الاختيارَ الإنسانيِّ أولى في وضع نظام للناس، والقول بأنَّ العقلَ البشريَّ هو الأقدر على رعاية شؤون الحياة لعمري إنَّ في مثل هذهِ الأقوال إساءةً بالغةً إلى الله تعالى الذي اختار النبوات والرسالات ليحتكم الناس إليها في تنظيم شؤون حياتهم، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠].

---

[2] هذا البعض هنا يضم أكثر من فئة، منهم: دعاة العلمانية، ودعاة الديمقراطية، ودعاة الحداثة وما بعد الحداثة، وجميع التيارات القومية العربية.

بيان حاجة الإنسانية إلى النبوات والرسالات السماوية[3]

إنَّ "**السعادةَ**" هي القيمةُ العليا التي يطمح كلُّ الناسِ إلى تحقيقها، وإن الوصـــولَ إلى الســـعادة يستلزم أنْ يمتلك الإنسانُ منهجاً كاملاً يُحقق من ورائه مصالحَه ومنافعَه، ويصلُ إلى أهدافِه وأغراضه، وهذا لا يكون إلا بالعقيدة السليمة الخالية من الشوائب، وهذا ما تمثله العقيدة الإسلامية فإنها تدعو إلى إلهٍ كاملٍ مترهٍ عن كل نقصٍ متصفٍ بكل كمال، وإلى باتباع رسل الله وأنبيائه وما جـــاءوا بـــه مـــن أحكام من عند الله تعالى.

والناس في ذلك قسمان:

قسٌم يستندُ إلى فلسفات أرضية من وضع العقل البشري، يُخْضِعُ لها خِطَطَه وبرامِجَه، ليصلَ إلى أهدافه وغاياتِه الموصلة إلى السعادة المرجوة، ومثالها الفلسفة القائمة على المنفعة، وهي المسماة بالفلسفة المادية التي انبثق عنها النظام الاقتصادي الرأسمالي، والنظام العلماني السياسي، وهذا القسم يجعـــل مـــن الإنسانية ساحةً للصراعِ المنفعي الذي يُهلك الحرثَ والنسلَ وينشرُ الرذيلةَ والفسادَ.

والقسم الثاني: هو الذي يستند إلى الشريعة الإلهية المنزلة من السماء والتي تعرِّفُه بالأصول العامـــة التي تضبط الحياة البشرية وتحفظها من الغايات والمقاصد والأهداف الخاصة، وتجعل من رضا الربِّ العلي الأعلى، ومن حفظ الناس على عقولهم وأديانهم وحياتهم وأنسالهم وأنسابهم وأموالهم أصولاً لا يجـــوز

---

[3] **وجه آخر في احتياج الإنسان إلى النبي:**

لما كان الإنسان محتاجاً في تعيُّشِهِ إلى أشياء مثل الغذاء والمسكن واللباس, والشخص الواحد لا يتيسر له تحصيل هذه الأمور إلا بمشاركة آخر من بني نوعه ومعاوضة تجري بينهما بأن يزرع هذا لذاك ويخبز ذلك لهذا ويخيط أحد لآخر وذلك الآخر يعمل له الإبرة, وعلى هذا قياس سائر الأمور, فالإنسان يحتاج في معاشه إلى **الاجتماع على المعاوضة**, وذلك لا ينتظم إلا إذا كان بينهم **عدل**؛ لأن كل واحد يشتهي جميع ما يحتاج إليه, ويغضب على مزاجه, فيقع التنازع, ويختل أمر الاجتماع, ويشتغل الناس بالهرج, أي: القتل, والمرج, أي: الاختلاط.

ولما كانت **الوقائع** المفتقرة إلى العدل غير متناهية, وقع الاحتياج إلى قانون كلي يحفظ العدل, وذلك القانون هو المسمى **بالشرع**.

والشرع لا بد له من شارع واضع له, ولا بد أن يكون الشارع متميزاً بالآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة ليصدقه الناس لئلا تقع مزاحمة الكاذب بدعوى ذلك.

تجاهلها، وتهدف إلى أقامة العدل الموصل إلى السعادة الحقيقية في الحياة الدنيا، وإلى السعادة الأخروية بدخول الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين.

ثم إن الشريعة حددت لكل من السعادة والشقاوة معاني معينة، لا بد من معرفتها، وهذا ما سنبينه في الإضاءة الرابعة والتي تتناول مبحث السمعيات، إن شاء الله تعالى.

مقدمة في بيان معنى النبوة والرسالة، والنبي والرسول

لا بُدّ قبل بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في مباحث النبوات منْ أنْ نُبين معاني هذه المصطلحات حتى تتضح في ذهن القارئ الكريم، فإنَّ تعريفَ كل من النبوة والرسالة عند المخالفين[4] لأهل السنة يختلف عما يقصدُه أهل السنة بالنبوة والرسالة.

ومن المعلوم أنَّ كلاً من مصطلحي " النبوة والرسالة" له معنى لغوي ومعنى شرعي، وقد اعتاد أهل السنة على أنْ يُبينوا المعاني اللغوية للمفاهيم والمصطلحات ثم يبينون المعاني الشرعية والاصطلاحية لها.

*** المعاني اللغوية العربية للنبوة والرسالة**

أولاً: النبوة: أصل النبوة في اللغة إما النبأ وإما النَبْوةُ, والنبأ هو الخبر، والنَبْوَةُ هي المكان المرتفع من الأرض.

وعلى هذا تكون النُّبُوةُ مِنَ النبأ بمعنى الإخبار عن الله تعالى، وتكون من النَبْوةِ أيضاً لأن النُّبوةَ اختصاصٌ من الله تعالى تجعلُ صاحبَها في مرتبة خاصة من مراتب البشر، لاختصاصه بسماع **وحي** الله تعالى إما بواسطةِ ملكٍ أو دونه.

والوحيُّ الذي يختص به صاحب النُّبُوة ثلاثة أنواع:

1- **ما كان بلا واسطة:** بأن يخلق الله في قلب الموحى إليه علماً ضرورياً فيدرك النبي مَا شاء الله أن يدركه من الكلام النفسي القديم القائم بذاته تعالى.

2- **ما كان بواسطةٍ ولكنْ غير واسطةِ المَلَكِ:** وهذا بأنْ يَخلُقَ اللهُ تعالى الأصوات في بعض الأجسام ثم يسمعها للنبي الموحى إليه.

3- أن يكون بواسطة إرسال المَلَكِ.

---

[4] كالفلاسفة والشيعة والمعتزلة، وغيرهم.

ولقد عبر القرآنُ الكريمُ عن هذه الحالات الثلاثة للوحي، قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى: ٥١].

والوحيُّ: هو الكلام الخفي، يدرك بسرعة، وليس كالكلام المركب من الحروف والأصوات.

ثانياً: الرسالة:

الرسالة في **اللغة**: نقل الكلام من أحدٍ إلى أحدٍ آخر بأمره.

وفي الاصطلاح **الشرعي**: سِفارةٌ بين الحقِ تعالى وبين عبادهِ ليزيحَ بها عِلَلَهم فيما قَصُرَتْ عنه عقولهم.

أي إن العقل البشري يعتريه أحوال تمنعه من إدراك المصالح والمنافع التي تفيده في الدنيا والآخرة، فأرسل الله تعالى الرسل لتساعد العقل في إدراكها، وهذا ظاهر فلولا الرسلُ لما أدركت عقولُنا أسبابَ الثوابِ وأسبابَ العقابِ.

وقال العلامة الحامدي في حاشية شرح العقائد السنوسية الكبرى[5]: الرسالة هي: تخصيص بعض البشر بسماعِ وحيٍّ وأمْرِهِ بتبليغِه للخلق.

وبعد أن عرفت معنى كل من النبوة والرسالة في اللغة والاصطلاح الشرعي، فقد تسأل وتقول:

أيهما أفضل وأشمل النبوة أم الرسالة؟

المعتمد عند أهل السنة والجماعة أنَّ الرسالةَ أفضلُ من النبوة، وذلك لأنَّ الرسالةَ يتعدَّى أثرُها إلى الناس، أما النبوة فتختص بصاحبها فقط، إذ ليس في النبوة تبليغ أحكام للناس، فيقتصر النبيُّ على إخبار الناس بأنه نبي ليُحْتَرَمَ بين الناس، بخلاف "**الرسول**" فإنه يحمل شريعة يُكلَف هو بتبليغها للناس، ويجب عليهم طاعته وامتثال ما أمرهم به، ويتوعدهم بالعذاب الشديد إنْ هم خالفوا وعصوا شريعتَه.

فائدة: الأنبياءُ والمرسلون مِنَ البشرِ أفضلُ مِنَ الملائكة.

---

[5] اشتهر في القرن التاسع الإمام أبو عبد الله السنوسي، رحمه الله، وكان من كبار علماء أهل السنة، وكانت عناية هذا الإمام بعلم العقيدة كبيرة، فكتب مجموعة من المؤلفات التي تخصصت بهذا العلم، ومنذ أن ألف الإمام السنوسي هذه المؤلفات وهي تدرس على مدار الساعة في العالم وفي كبرى الجوامع الإسلامية كالأزهر الشريف، ومن مؤلفاته الكتاب المسمى بـ "السنوسية الكبرى" فنسبت مؤلفاته إلى اسمه "العقائد السنوسية" كما نقول: "العقيدة الطحاوية".

وقد كتب الإمام الأزهري الشيخ إسماعيل الحامدي على كتاب السنوسي السابق تعليقات وحواشي ومنا ننقل هنا.

*** حُكْمُ النبوةِ والرسالة:**

اتفقت عقيدة أهل السنة والجماعة على أنَّ كلاً من النبوة والرسالة **فعلٌ** من أفعال الله تعالى، وكلُّ فعلٍ من أفعاله فهو **جائزٌ** في حقه تعالى أنْ يفعله، أو أن يتركه؛ فقد عرفت سابقاً أنَّ اللهَ لا يجب عليه فعلُ فعلٍ، ولا يستحيل عليه شيء من أفعاله أيضاً فالأفعال كلها واقعة تحت الاختيار الإلهي.

واتفقوا على وقوعهما؛ إذ أولُ الأنبياءِ آدمُ عليه السلام، وآخرُهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومنكرُ حصول النبوات والرسالات كافرٌ بالاتفاق.

هل يمكن أن يقوم العقل مكان الشرع؟

ولكنَّ بعضَ أهلِ الكفر أنكرهما من أصلهما وقال: وجود النبوة والرسالة أمر فاسد ومستحيلٌ، وذلك لأن **العقل** الذي خلقه الله هو وسيلة لمعرفة المحاسن والقبائح، وعليه فلا فائدة في أن يرسل الله أنبياء ومرسلين، ولو فعل الله ذلك[6] لكان عبثاً وسفهاً لا يليق بالخالق الكامل، وهؤلاء هم **البراهمة**[7] طائفة من فلاسفة الهنود الذين جعلوا العقل بديلاً عن النبوات والرسالات.

وذهب بعض أهل البدع من المعتزلة والشيعة إلى الغلو والتطرف، وألزموا الله بهما، وفرضوهما عليه لأنهم قالوا: النبوة لطف إلهي، واللطف الإلهي **واجب على** الإله فعلُه.

*** تعريف النبي والرسول:**

كما أنه يوجد فرق بين معنى النبوة ومعنى الرسالة في اللغة وفي الاصطلاح الشرعي، فإنه يوجد فرق أيضاً عند أهل السنة بين الرسول والنبي.

أولاً: النبي:

معنى "النبي" في اللغة العربية: هو المُخبِر عن الله تعالى فيما يُطْلِعُه عليه من شؤون الغيب.

وأما في الاصطلاح الشرعي: فالنبي **هو: إنسانٌ، ذكرٌ، حرٌ، من بني آدم، سليمٌ لا عيوب به منفرة، أوحي إليه بشرع يعمل به وإن لم يؤمر بتبليغه.**

ثانياً: الرسول:

---

[6] أي لو أنزل الله النبوات وأرسل الرسالات لكان ذلك متعارضا مع خلق الله للعقل، لأن العقل ــ حسب اعتقاد هؤلاء ــ يؤدي نفس وظيفة النبوات والرسالات، ولهذا هم ينكرون النبوات والرسالات، وقريب من هؤلاء موقف دعاة العلمانية، ودعاة الديمقراطية، ودعاة الحداثة، وجميع التيارات القومية العربية من الرسالات السماوية وعلى رأسها الإسلام.

[7] وقد كتب الإمام الشافعي رضي الله عنه كتابا كاملا في الرد عليهم.

ومعنى "الرسول" في اللغة العربية هو المبعوث من شخص إلى آخر بأمر من المُرسل.

وأما في الاصطلاح **الشرعي فالرسول هو: إنسان، ذكر، حر، من بني آدم، سليم عن عيب منفر طبعا، أوحي إليه بشرع، وأمر بتبليغه** أيضاً، و أما الفرق بين الرسول والنبي:

عقيدة أهل السنة أن كلاً من الرسول والنبي يشتركان في أن كلاً منهما :إنسان، ذكر، حر، من بني آدم، سليم عن عيب منفر طبعا، أوحي إليه بشرع، ولكن الفرق بينهما في شيءٌ واحد: وهو أن النبي أنزل إليه شرع ليعمل به في خاصة نفسه، وأما الرسول فأُنزل عليه بشرع ليعمل به في نفسه كالنبي، ويزيد عليه أنه كرسول من الله إلى الخلق **مأمور بتبليغهم الشريعةَ التي كُلف بإيصالها إليهم**.

أقسام الشريعة المنزلة من السماء إلى الرسول

عقيدة أهل السنة أنَّ الشريعةَ النازلة من السماء إلى الرسول ثلاثة أقسام:

القسم الأول: شريعة نزلت على الرسول وحرَّم الله عليه تبليغها للناس، بل اختص الله به هذا الرسول ليتعبد الله وحده بها.

القسم الثاني: شريعة نزلت على الرسول، وخَيَّرَهُ اللهُ فيها إنْ شاء أخبرَ الناسَ بها وبلغهم إياها، وإن شاء كتمها ولم يبلغهم إياها.

القسم الثالث: شريعة نزلت على الرسول وكلفهم بالتزامها والإيمان بها، ويترتب عليها العقاب والثواب، وهذا القسم هو الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**).

فالأحكام الشرعية منها ما هو مختص بالأنبياء والمرسلين ويحرم عليهم تبليغه للناس، ومنها ما هم مخيرون بإبلاغها للناس، ومنها ما هم مأمورون ومكلفون وملزمون بتبليغه للناس.

فائدة: إرسال الرسول وإنْ اشتمل على حِكمٍ ومصالح عائدة على الناس، إذ بالشريعة ينتظم معاش ومعاد الإنسان، فهي عند أهل السنة **فعل ممكن لله** تعالى، فهي **فضل واصطفاء و اختيار**، خلافاً للشيعة الذين قالوا: إنَّ اللهَ **مجبرٌ** على إرسال الرسول وإنزال الشرائع، فأوجبوا على الله تعالى ما لم يجب عليه، وهو جل شأنه فاعل مختار، وهذا عين البدعة في الدين – عافانا الله وإياكم منه – وعين التطاول على الذات الإلهية حيث قال في كتابه العزيز: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

أنواع العلوم والمعارف التي يتلقاها الناس من الأنبياء

إنَّ بعثة الأنبياء فيها حكمة إلهية بالغة ورحمة شاملة وذلك لما يترتب على شـــرائع الأنبيـــاء مـــن المصالح والألطاف التي يقدرها الله تعالى بمحض الكرم والفضل والجود، ولو شاء الله تعالى لما فعل شـــيئاً من ذلك ولكن سبقت الكلمة الإلهية بحصولها, هذا وإن الناس يتلقون من الأنبياء ثلاثة أمور رئيسية:

أحدها: الشؤون الإلهية:

فإن ما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته وأسمائه في غاية الصعوبة، وإنَّ الناس لو بذلوا أقصى ما في عقولهم من جهد ما أدركوا من أسرار الله تعالى إلا الشيء القليل، فبعث الله تعالى الأنبياء ليعرفوهم على الله تعالى.

ثانياً: العلم بأن يوم القيام آتٍ لا محالة:

إن العقل لو فكر ملياً في أحوال يوم القيامة لوقف حائراً بين وقوعها أو عدم وقوعهـــا، ولكـــن الأنبياء أخبرت بأن يوم القيامة يوم آت حاصل لا محالة بل ويكفر منكره.

ثالثها:التفريق والتمييز بين الخير والشر في كل شؤن الحياة الإنسانية:

أن الأحوال العارضة للإنسان تنقسم إلى خير وشر، وعلى ذلك تختلـــف احتمـــالات الســـعادة والشقاوة بحسْب المواطن الثلاثة: دنيا وبرزخ وأخرى، فكان لزاماً على الإنسان أنْ يُحَصِّلَ الخيرَ ويتركَ ويتجنبَ الشرَّ ليُحصِّل السعادة، **ولكنَّ التمييز بين كل أنواع الشر وكل أنواع الخير في غاية الخفاء،** فجاء الأنبياء وعرَّفوا الناسَ سُبُلَ الشرِ ليتجنبوها وسُبُلَ الخيرِ ليسلكوها.

دليل صدق الأنبياء في دعواهم النبوة والرسالة:

من الطبيعي أن كل من يدعي دعوةً معينةً، ويَطْلُبَ من الآخرين أن يصدقوه ويؤمنوا به ويلتزموا ما يقوله لهم، ويبشرهم بالثواب الجزيل إن هم اتبعوه ويتوعدهم بالعقاب الشـــديد إن هـــم عصـــوْه وخالفوه، أن يُظهر الدليلَ والبرهانَ والحجةَ التي تُبيِّنُ صدقَه في دعواه، وبدون دليل وبرهان لا يُقبل قولُ مدعي ولا يُسمع منه شيءٌ فنحن نقول في عاداتنا: البينة على من ادعى.

وهذا الشأن ينطبق على الأنبياء والمرسلين جميعاً.

فمن ادعى أنه نبيٌ منبَّأ من الله تعالى، أو أنه رسولٌ إلى الناس فعليه أنْ يُقيم الدليلَ على صدقه فيما يدعي، وبدون ذلك تكون دعواه هباء منثورا، لا قيمة لها ولا وزن.

ولقد اتفق العلماء على تسمية الدليل الذي يرشد إلى صدق دعوى الأنبياءِ النبوةَ والرسالةَ بالمعجزة[8]، فمن ادعى أنه نبيُ أو رسولُ ربِّ العالمين، وأظهرَ المعجزةَ على ادعائه فهو صادقٌ يجب الإيمان به، والالتزام فيما يخبر به عن رب العالمين.

*** ما المراد بالمعجزة:**

والمعجزة التي يظهرها اللهُ تعالى على يدي النبي و الرسول تقوم مقام قول الله تعالى للناس: **صدق عبدي في كل ما يبلغ عني**، فهي شهادة من الله تعالى على صدق هذا الشخص، فمن رد المعجزة فقد رد شهادة الله تعالى.

*** معنى المعجزة:**

للمعجزة معنيان: لغويٌ واصطلاحيٌ شرعي

المعنى **اللغوي**: المعجزةُ مأخوذةٌ من "العَجْزِ" وهو عدم القدرة.

المعنى الاصطلاحي **الشرعي**: المعجزة في الاصطلاح الشرعي: **أمر خارقٌ للعادة مقرونٌ بالتحدي، الذي هو ادعاء الرسالة أو النبوة، مع عدم المعارضة**، أي يَعْجَزُ المنكرون عن الإتيان بمثله.

وقد قال علماء أهل السنة أن المعجزة لا بد فيها من سبعة أمور:

الأول: أن المعجزة تكون قولاً، أو فعلاً، أو تركاً:

فالقول: كالقرآن الكريم.

والفعل: كنبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم.

والترك: كترك النار إحراق سيدنا إبراهيم عليه السلام.

الثاني: أن تكون خارقة للعادة.

والعادة[9]: هي ما اعتاده الناس في حياتهم من وجود ترابط بين **الأسباب ونتائجها**، فالسكين تقطع، والماء يروي، والطعام يشبع، والنار تحرق، والولد يحتاج إلى زواج, و**ليس** المقصود بالعادة هنا

---

[8] من أبشع ما وقع به الوهابية والسلفية، وابن تيمية من قبلهم، أنْ جعلوا صفةَ الله (الكلام الإلهي) معجزةً للنبي صلى الله عليه وسلم، ونحن نعلم أن المعجزة في حقيقتها أمر خالق للعادة أي أن المعجزة وباتفاق العلماء عبارة فعل لله وليست صفة تنفصل عن الله ثم تجرى على يدي النبي، وهذا إنما صدر منهم لحمقهم وذلك أن جعلوا اللغة العربية التي جاء القرآن بلغتها صفةً لله، ونحن نقول: إن قولهم هذا يلزم منه إنكار نبوة النبي صلى الله عليه وسلم. إذ لو كان القرآن الذي بين أيدينا صفةً لله وصفةُ الله لا تكون من قبيل المعجزات، لزم إبطال النبوة المحمدية.

وهذا الأمر مع أنه الخطير لم يتنبه إليه الناس لأنهم لم يتنبهوا إلى أن المعجزة تكون فعلا لا صفة لله.

العرف لأن **العرف** متغير و متفاوت بين الناس, بينما العادة أمر ثابت عند كل الناس و هي التي يعبرون عنها بالقونين الطبيعية.

فلو جاءت المعجزة على خلاف ذلك بأن لم تقطع السكين كما حصل في رؤيا إبـــراهيم بـــذبح ولده إسماعيل، وبأن لم تحرق النار كما حصل مع نار إبراهيم عليه السلام، كان ذلك الأمر معجزة.

الثالث: أنْ تكونَ المعجزةُ ظاهرةً على يد مدعي النبوة أو الرسالة لا غيرهما.

الرابعة: أن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة حقيقة، ويجوز تأخرها عن ذلك بزمن يسير.

خامساً: أنْ تكونَ المعجزةُ مؤيدةً لدعوى النبي أو الرسول لا مخالفةً لها.

فلو قال: معجزتي انفلاق الجبل، فانفلق البحر لم يكن انفلاق البحر معجزة له.

سادساً: أنْ لا تكونَ المعجزةُ ناطقةً بكذب المدعي للنبوة أو الرسالة.

فلو قال: معجزتي نطق هذا الحجر بكذا، فنطق الحجر بكذب هذا الشخص، لم يكن نطق الحجر هنا معجزة.

السابع: أن لا يكون هناك معارض لدعوته ولإظهاره المعجزة، ومعنى المعارض أي أن يكـــون هناك شخص آخر يأتي بمثل ما يأتي به النبي من المعجزات والعجائب، فلو كان هنا معارض له لأبطـــل معجزته، و لم يكن نبياً أصلاً.

فائدة: الخوارق للعادة أمور هي:

1-**المعجزة:** وهي ما تقدم فلا داعي للإعادة.

2-**الكرامة:** أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد عبد ظاهر الصلاح.

3-**المعونة:** أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد العوام تخليصاً لهم من شدة.

4-**الاستدراج:** أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد فاسق، خديعة له ومكراً به.

5-**الإهانة:** أمر خارق للعادة يظهره الله على يد فاسق تكذيباً له كما حصل مع مســـيلمة؛ فإنه تفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة.

6- **الإرهاص:** أمر خارق للعادة، يجريه الله قبل حصول النبوة للنبي، تأسيسا لبعثته.

---

[9] ليس المقصود بالعادة هنا الأعراف المنتشرة بين الناس فهذه تختلف بين شعب وآخر، وإنما المقصود بالعادة قوانين الطبيعة الثابتة والتي يدرسها الناس في علوم الفيزياء والكيمياء والطب والفلك والغة، وهكذا.

أقسام العقائد المتعلقة بالأنبياء

يقسم علماءُ أهل السنة العقائدَ المتعلقةَ بالأنبياء إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

العقائد **الواجب** ثبوتها للأنبياء والمرسلين ـــ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهـــذه هـــي: الصدق، والأمانة (العصمة)، والتبليغ.

العقائد **المستحيل** ثبوتها للأنبياء والمرسلين ـــ صلوات الله عليه أجمعين، وهذه هـــي: الكـــذب، والخيانة (الوقوع في المعصية) والكتمان للأحكام الشرعية، أي: عدم إخبار الناس بها.

العقائد **الجائزة** في حق الأنبياء، وهي الأمور الطارئة عليهم والتي سواء تلبسوا بها أو لم يتلبسوا بها لا تؤثر على نبوتهم ورسالتهم كالأمراض غير المنفرة، والسهو والنسيان كما سيأتي تفصيله.

العقائد الواجبة للأنبياء والمرسلين:

* بيان معنى أنَّ الصدق والأمانة والتبليغ واجبة للأنبياء:

المراد بذلك أن "النبوة" تتحقق إذا اجتمعت هذه الثلاثة مع بعضها، فإذا انتفت واحدة من هـــذه الثلاثة انتفت وانعدمت النبوةُ، كما تقول: إنَّ البيت مكون من جدران وسقف، فإذا اجتمعت أصـــبح هناك بيت، وإذا فقدت واحدة منها فقط لا يسمى بيتاً، ولذلك نقول: الصدق والأمانة والتبليغ هـــي أجزاء وأركان تتكون النبوة منها، ولهذا قال العلماء: لا يمكن تصور معنى النبوة إلا بهذه الثلاثة. ولهـــذا نقول في حق بقية الناس: إن الصدق الأمانة وتبلغ الدين وغيرها من أحكام الشريعة واجبة **عليهم**، أي هم مكلفون بها، فهم مخاطبون بالتزامها واكتسابها وتطبيقها كما أن الصلاة واجبة علـــيهم، في حـــين نقول أن الصدق والأمانة والتبليغ واجبة **لهم**، **أي** للأنبياء ، ومعنى (لهم) أي حتى يتكون مفهوم النبـــوة والنبي، ، فتفكر في الفرق بين (واجب لهم) و (واجب عليه) فإنه مهم في فهم معنى النبوة عند أهـــل السنة والجماعة.

ثم نقول: إنَّ معنى النبوة المتكون من اجتماع (الصدق والأمانة والتبليغ) يستلزم العصمة وهي عدم معصية الله تعالى في الظواهر والبواطن لا عمداً ولا سهواً ولا نسياناً، لا الكبائر ولا الصغائر، لا قبـــل النبوة ولا بعدها[10].

[10] يعني: أن حصول هذه الثلاثة في ماهية النبي يجعله في مرتبة لا يتصور معها طروء المعصية عليه.

* عقيدة المسلم في النبوة والرسالة:

شرح مكونات النبوة الواجبة لها:

لما كانت النبوة عند أهل السنة مكونة من ثلاثة أمور وهي الصدق والأمانة والتبليغ، ولا تتحقق هي بدونها، وجب على كل مسلم اعتقاد ثبوت هذه الصفات الثلاثة لكل نبي أو رسول من الأنبياء والمرسلين.

العقيدة الواجبة الأولى

الصدق

المقصود باتصافهم بـــ [**الصدق**] أن يكون كلامُ الأنبياء والمرسلين الخارج من أفواههم مطابقـــاً وموافقاً لثلاثة أمور هي:

1-صدقهم في حكاية الكلام المتعلق **بأمور الدنيا**، مثل: قام زيد، جاء عمرو.

2-صدقهم فيما يبلغونهم عن الله تعالى من **أحكام شرعية** سواء في العقيدة أو الفقه أو الأخـــلاق أو غيرها.

3-صدقهم في ادعائهم **النبوة والرسالة**.

فيجب لكل نبي أو رسول أن يكون متصفاً بالصدق في هذه الأمور الثلاثة، فلو صدر الكـــذب عنهم لكانت شهادة الله لهم بالصدق وإظهاره المعجزة على أيديهم بمثابة شهادة الزور لأنه تعالى عـــن ذلك، يكون قد أظهر المعجزة على أيدي الكذابين، وهذا لا يقوله عاقل.

وهذا كلام شنيع لا يقوله إلا من لا يرجو لله وقارا.

ومِنْ ثَمَّ لما كان الصدق ثابتاً لهم ـــ صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ـــ قال الله تعالى في محكـــم التنزيل: (**صدق الله ورسوله**).

العقيدة الواجبة الثانية

الأمانة

[**الأمانة**] من الصفات الواجبة للأنبياء[11] والمرسلين، وبعض العلماء يسميها **بالعصمة**، وهي صفة تقتضي أن تكون ظواهر الأنبياء وبواطنهم محفوظة من مخالفة أحكام الشريعة، أي أن حقيقة معنى النبوة تضاد وتعارض عروض المعاصي عليها كما تقول إن الظلم يستحيل أن يعرض على الإلـــه، فكمـــا لا تجتمع الألوهية مع الظلم، كذلك فإن حقيقة النبوة لا تجتمع مع ما يناقضها ويضادها كالمعاصي.

وضد الأمانة الخيانة، معنى الخيانة هنا: ارتكاب الأنبياء معاصي ومخالفات شرعية.

وأعلم أيها القارئ الكريم أنه يتعلق بعقيدةً الأمانة الواجبة للأنبياء الفروع التالية:

الفرع الأول: البواطن والظواهر : فهم صلوات الله وسلامه عليهم أمنـــاء علـــى الشـــريعة في بواطنهم وظواهرهم، أما في البواطن فلا يتلبسون بمثل الحسد والكبر والرياء، وأمـــا في الظـــواهر فـــلا يتلبسون بمثل الزنا وشرب الخمر، والكذب.

الفرع الثاني: أنواع المخالفات المستحيلة في حقهم:

فهم لا يرتكبون الحرام من الكفر والكبائر والصغائر المكروهات وخلاف الأولى، وحـــتى المبـــاح ينقلب في حقهم عبادة أقلها الندب.

الفرع الثالث: قبل النبوة وبعدها.

وهم – صلوات الله تعالى وسلامه عليهم – لا يرتكبون مخالفات شرعية بعد النبوة وهذا واضـــح وظاهر، وكذا قبل النبوة فإنهم لا يعصون الله تعالى حتى ولو في حال طفولتهم، أي أنهـــم لا يتلبســـون بصورة فعلٍ سيكون مثلُه محرماً بعد نبوتهم ورسالتهم وبعثتهم، فافهم هذا تعرف ساداتك من المصطفين الأخيار.

---

[11] لاحظ كيف يهتم علماء أهل السنة بالتعبير بـــ (**اللام**) في قولهم أن الأمانة وكذا الصدق والتبليغ أنه واجب للأنبياء لا عليهم، وذلك لأن اللام هنا تعبر عن حقيقة الشيء، وأما (**عليهم**) فتعبر عن معنى التكليف، وها غير مراد هنا، لأن هؤلاء الأخيار ليست نبواتهم من باب التكليفات ولكن من باب الاصطفاء، فهذه الصفات الثلاثة هي مقومات النبوة كحقيقة من الحقائق الوجودية.

الفرع الرابع: العمد، السهو، النسيان:

أولاً: حالة العمد: هم لا يخانون الشريعة متعمدين باتفاق العلماء.

ثانياً: السهو: السهو في حق الأنبياء والمرسلين قسمان:

القسم الأول: وهو الممتنع عليهم، وهذا في حالة تبليغ الناسِ أحكامَ الوحي، كقولهم: (الجنة أعدت للمتقين) و (عذاب القبر واجب)

القسم الثاني: السهو أثناء التطبيق، بعد تمام التبليغ، وهذا السهو له حكمة شرعية وهو أن يعلم الناس كيف يتعاملون مع الشريعة فيما لو وقعوا في مثال ذلك، ومن أمثلته سهوه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة الرباعية حيث صلاها ركعتين، حيث كانت الحكمة في ذلك أن يتعلم الناس منه أحكام السهو في الصلاة، فالسهو في التبليغ غير جائز، وأما السهو في التطبيق للتعليم فجائز.

ثالثاً: النسيان:

وهو قسمان أيضاً:

القسم الأول: النسيان الممتنع، وهذا يكون في حالة التبليغ فهو كالسهو في الحكم، سواء كان النسيان في الأقوال نحو: (الجنة أعدت للمتقين) أو في الأفعال كصلاة الضحى، إذ أمرهم الله تعالى بها ليقتدي الناس بهم.

القسم الثاني: بعد تبليغ الأحكام للناس، فيجوز النسيان عليهم هنا كما سبق في السهو لترتب الحكمة على ذلك.

وخلاصة عقيدة أهل السنة أن الأنبياء لا يرتكبون ما يخالف الأحكام الشرعية لا عمداً ولا سهواً ولا نسياناً مطلقاً في حالة نزول الوحي بالأحكام، وأَمْرِهم بتبليغها للناس، وأما بعد تمام تبليغ الأحكام للناس فيجوز السهو والنسيان حتى يتعلم الناس منهم كيف يتصرفون في حالة وقوعهم في السهو النسيان، ففي سهوهم ونسيانهم في هذه الحالة حكمة بالغة بلا شك ولا ارتياب.

مسألة: لقد ورد في الشريعة بعض الأخبار عن بعض الأنبياء ما يوهم وقوعهم في المعاصي، فما المراد منها؟

قال العلماء: لا يجوز للمسلم أنْ **يتقصد** ذكرَ هذه الأمورِ وأنه يجب حملها على محامل حسنة تليق بحق النبوة والرسالة التي عليها الأنبياء والمرسلون وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة عند أهل السنة.

فائدة: الجنونُ قليلُه وكثيرُهُ مستحيلٌ في حق الأنبياء والمرسلين لأنه نقصٌ، ومثل الجنون كلٌّ من البرص والجذام والعمى، وغير ذلك من العاهات المنفرة.

ثم إنه لم يثبت أن شعيباً كان ضريراً، وما كان بيعقوب عليه السلام فعبارة عن حجاب على العين من تواصل الدموع على سيدنا يوسف عليه السلام، ولذلك لما جاء البشير عاد بصيراً، وما كان بأيوب عليه السلام من البلاء فكان بين الجلد والعظم و لم يكن منفراً.

العقيدة الواجبة الثالثة

التبليغ

*** تعريف التبليغ:**

التبليغ هو: إيصال الأحكام الشرعية التي أوحي إليهم بها وأُمروا بتبليغها إلى الأمم والناس.

وضد التبليغ هو **الكتمان**: وهو أن يكتم الرسولُ الأحكام الشرعية ولا يعلم الناس بها مع أنه مأمور من الله بتبليغها.

* أقسام الأحكام الشرعية النازلة من السماء :

1- أحكامٌ **أَمَرَ** اللهُ تعالى النبي أو الرسول بكتمانها.

2- أحكامٌ **خَيَّرَ** اللهُ النبي أو الرسول بين كتمانها وتبليغها للناس.

3- أحكامٌ **أَمَرَ** اللهُ النبيَّ أو الرسولَ بإيصالها إلى الناس وتبليغهم إياها.

وهذا القسم الثالث هو المقصود، فكل الأحكام التي أوحى الله بها إلى النبي أو الرسول، وأمره الله بإيصالها إلى الناس فإنهما يبلغانها ولا يكتمانها لأن الكتمان هنا يعد معصية وهم معصومون من المعاصي قطعاً.

*** الدليل الشرعي على عقيدة التبليغ التي يتصف بها الأنبياء والمرسلون.**

قال تعالى: (**يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس، إن الله لا يهدي القوم الكافرين)**

*** الرد على الشيعة:** عقيدة أهل السنة والجماعة أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يغادر الدنيا وينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد بلّغ ما أُمر بتبليغه كاملاً، قال تعالى: (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دين**).

وذهب أهل البدع من الشيعة ومن وافقهم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بلّغ الأمة

عقيدة تقول: إن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكل من يخالف ذلك فإنه مخالفٌ يستحق الكفر على مخالفته، وبهذا كفروا الصحابة لتنصيبهم أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وبما أن علياً رضي الله عنه من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، فهم يعتقدون أن الصحابة غصبوا آل البيت حقهم ، وأن هناك صراعا قام بين الصحابة وبين آل البيت، وأن آل البيت عاشوا في ظلم على طول الدهور والعصور

وأما **أهل السنة** فإنهم لا يعتقدون وجود هذا النص الذي يدعيه الشيعة، لأن الصحابة رضي الله عنهم نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم أدق تفاصيل حياته، فيستحيل عليهم أن يبلغهم النبي صلى الله عليه وسلم مسألة متعلقة بالرئاسة والحكم والأمامة العظمى للمسلمين دون أن ينقلوها ويبينوها ويعملوا بها، خصوصاً أن مثل هذه المسائل شأنها الشيوع والانتشار بين المسلمين.

فما يقوله الشيعة من عقيدة **النص** على عليٍّ بالإمامة ادعاء بلا دليل، واتهام للصحابة بلا بينة، وفيه نسبة الكتمان لأهل السنة بإنكار شيء من الدين لم يقع أصلاً.

ورجل مثل أبي بكر رضي الله عنه سماه رسولنا الكريم بالصديق يستحيل أن يكتم شيئاً يتعلق بأمور المسلمين.

ثم إن أهل السنة لا يعتقدون أن هناك صراعاً بين آل البيت والصحابة ــ بل هما أمة واحدة.

ويعتقد أهل السنة كذلك أن ما حصل بين الصحابة رضي الله عنه عبارة عن فتن أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم وأنه اختلاف في وجهات نظر اجتهادية أحيطت بمكائد خارجية، وأنه لا يجوز الخوض فيها إلا بين العلماء المتخصصين كما سنبينه في الإضاءة الرابعة، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**لا تتخذوا أصحابي غرضاً بعدي**).

وبهذا نكون قد انتهينا من بيان العقائد الواجب إثباتها لمن اختارهم الله تعالى لمقامي النبوة الرسالة.

العقائد المستحيلة في حق الأنبياء والمرسلين

*** بيان معنى الاستحالة هنا :**

نقصد بـــ [الاستحالة] هنا أنَّ العقل لا يمكن أنّ يتصور أن الأنبياء والمرسلين متصفون بواحـــدة منها، وذلك لأنَّ كل صفة من الصفات المستحيلة تستلزم وتؤدي إلى نتيجة فاسدة لا تليق بمقام النبـــوة والرسالة.

*** المستحيلات في حق الأنبياء والرسالة:**

العقائد المستحيلة التي يجب تنزيه الأنبياء والمرسلين عنها هي أضداد ما سبق:

فالكذب ضد الصدق

والخيانة ضد الأمانة

والكتمان ضد التبليغ

فالكذبُ والخيانةُ والكتمانُ صفاتٌ فاسدةٌ باطلةٌ مستحيلةٌ في حق الأنبياء والمرسلين.

أما استحالة الكذب: فلأن الله تعالى يكون آمراً لنا بتصديق الكذابين.

وأما الخيانة فلأن الله أمرنا بالإقتداء بالمرسلين بكل ما يصدر عنهم، فلو خانوا وفعلوا الحرام للزمنا فعل الحرام مثلهم وبهذا تصبح المحرمات من باب المأمورات.

وأما الكتمان لما أمروا بتبليغه للناس فلأنه يستلزم معصيةَ المرسلين أمرَ ربِهم، وهم معصومون من ذلك أًصلاً.

فالقول بجواز الكذب والخيانة والكتمان على المرسلين يؤول إلى هذه النتائج الفاسدة التي تخـــالف أصل المقصود من إنزال الشرائع السماوية وهو هداية الناس إلى الحق والصواب، ومن هنا حكم عليهـــا العلماء والعقلاء بالاستحالة والبطلان.

العقائد الجائزة في حق الأنبياء والمرسلين

تعريف العقائد الجائزة:

العقائد الجائزة هي الأمور التي سواء أتصف بها الأنبياء والمرسلون أو لم يتصفوا بها فإنها لا تؤثر على مقام نبوتهم بل ربما تكون سبباً في رفعة مكانتهم ومقامهم وعلو شأنهم في الدنيا والآخرة.

مقدمة (1)

الأعراض الطارئة على البشر قسمان:

أحدهما: أعراض طارئة منفرة، ومنقصة كالجنون والجذام والبرص ونحوهما.

ثانيها: أعراض طارئة ولكنها غير منفرة ولا منقصة كالأمراض غير المنفِّرة والنسيان والسهو.

مقدمة (2)

الأعراض الطارئة على البشر أيضاً قسمان:

أحدهما: أشياء لا يمكن أن يستغني عنها الإنسان عادة كالأكل والشرب والنوم.

ثانيها: أشياء يمكن أن يستغني عنها الإنسان كجماع النساء مثلاً.

*** قاعدة عامة في بيان الجائز في حق الأنبياء:**

قال العلماء من أهل السنة والجماعة: كل أمر من الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتب الأنبياء العلية كالمرض والإغماء القصير فإنه يجوز اتصاف الأنبياء به، بخلاف الإغماء الطويل والأمراض المنفرة والمنقصة من رتبة الإنسان فإنه لا يجوز اتصافهم به.

أمثلة:

ومن أمثلة الأمور الجائزة في حق الأنبياء والمرسلين: السهو والنسيان في الأمور التطبيقية لبيان أحكام السهو النسيان.

ومن الأمور الجائزة في حقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الجماع للنساء.

والجماع للنساء يكون بطريقتين: بالمِلْك وبالنكاح

أما الجماع والوطأ الحلال بالملك فيكون فقط في حالة الأمة المسلمة والكتابية، ولا يجوز مع المجوسية والوثنية.

وأما الجماع والوطأ بالنكاح فيكون للحرائر، والأمة المسلمة بخلاف الكتابية والمجوسية ونحوها.

تنبيه: الأنبياء والمرسلون لا يطأون الزوجات وهُنَّ صائمات صوماً مشروعاً، ولا معتكفات، ولا حائضات، ولا نفساوات، ولا محرمات.

تنبيه: قال النووي رحمه الله تعالى: لا يجوز الاحتلام على الأنبياء والمرسلين لأنه من تلاعب الشيطان، وأما إذا كان من مجرد فيضان الماء بدون تلاعب الشيطان فجائز.

*** بيان الفوائد المترتبة على اتصاف الأنبياء والمرسلين بالصفات الجائزة من المرض والإغماء القصير ونحو ذلك.**

الفائدة الأولى : تَعْظيمُ أجورِهم، فقد روي الإمامُ البخاريُّ وأحمدُ بن حنبل والترمذيُّ: [أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياء ثم الأمثلُ فالأمثل، يُبتلى الرجلُ على حَسْبِ دينه، فإذا كان في دينه صلباً اشتد بلائه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يَبْرَحُ البلاءُ بالعبد حتى يتركَه، ويمشي على الأرض وما عليه خطيئةً]، واللفظ للترمذي.

الفائدة الثانية: التشريع: أي من أجل أنْ يتعلم الناسُ أحكامَ الشريعة الإسلامية في مثل هذه الأحوال، كما تعلموا أحكام السهو في الصلاة، كما طرأ السهو على رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الرسول الصلاة الرباعية ركعتين فتعلم الناس منها أحكام السهو في الصلاة.

الفائدة الثالثة: التنبيه على خسة الدنيا عند الله تعالى : فقد أخرج ابن ماجه والترمذيُّ حديثاً بسند حسن صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها جرعة ماء]، وقال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب : [كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل]، وزاد الإمام أحمد وابن ماجة والترمذي : [وعدَّ نفسك من أهل القبور].

الفائدة الرابعة: التسلية عن الدنيا:

فالناس عندما يرون أن أشرف المخلوقات وهم الأنبياء والمرسلون قد أصيبوا بالأمراض غير المنفرة وما شاكلها، فإنهم تهون عليهم الدنيا وتصغر في عيونهم.

وبهذا نكون قد انتهينا من القسم الثالث من العقائد الإسلامية التي يجب على كل مسلم أن يدركها ويفهمها لأنها عقائد تكليفيه نعاقب إن جهلناها.

بيان حكم من يسيء إلى الأنبياء والمرسلين ويستنقص من حقهم ويستهزئ بهم

ونعتمد في بيان الحكم الفقهي المتعلق بمن يسيء أو ينتقص أو يستهزئ أو حتى ينكر ثبوت النبوات والرسالات على ما ذكرته مذاهب أهل السنة الفقهية وهي المذاهب الأربعة المعروفة: الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة على النحو التالي:

أولاً: المذهب الشافعي:

قال الإمام الخطيب الشربيني في كتابه: **مُغني المحتاج شرح منهاج الطالبين للإمام النووي** (135/4):

[مَنْ نفى الرُسُلَ الذين أرسلهم الله، أو نفى نبوة نبيٍّ أو ادعى نبوةً بعد نبينا صلى الله عليه وسلم، أو صدَّق مدعيها، أو قال: النبيُّ صلى الله عليه وسلم أسودُ أو أمردُ أو غير قرشي، أو قال: النبوةُ مكتسبةٌ أو تنال رتبتها بصفاء القلوب، أو كذَّبَ رسولاً أو نبياً، أو سبَّه، أو استخف به أو باسمه، **فإنَّه يكون مرتداً عن الإسلام**]. بتصرف يسير لضرورة عرضه بأسلوب سهل على القراء.

ثانياً: المذهب المالكي:

وقال الإمام الدسوقي في **حاشيته على الشرح الكبير** في فقه المذهب المالكي (304/4) بتصرف وترتيب لتوضيح المقام للقارئ

تثبت **الردة** في الحالات التالية:

1-من ادعى أنَّ أحداً كان يشارك النبي صلى الله عليه وسلم في الوحي كدعوى مشاركة علي بن أبي طالب للنبي في أنه كان يوحى إليهما معاً.

2-من اعتقد أن النبوة تكون بالاكتساب أو بصفاء القلوب لأنه خلاف إجماع المسلمين، ولأنه يستلزم جواز وقوعها بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

3-من سبَّ نبياً أو مَلَكاً مجمعا على نبوته أو مَلَكِيَّتِه، أو عرَّض بواحد منهم أو لعنه، أو عابه، أو قذفه، أو استخف بحقه، كأن يقول: لا أبالي النبي الفلاني، أو قال: لو جاءني ما قبلته، أو ألحق به نقصاً وإنْ في بدنه كاتهامه بأنه أعور أو أساء إلى خصلته، أو نَقَّص من مرتبته، أو

نسب إليه ما لا يليق بمنصبه ذماً، **فهو مرتد ويُقْتَلُ بلا طلب توبتةٍ**، فيُقْتَلُ حداً إنْ تاب وإلا قُتِل كُفراً إنْ لم يتب.

ثالثاً: المذهب الحنبلي:

قال الإمام الفقيه منصور البُهُوتي في كتابه **كشاف القناع** (168/6):

[من سب اللهَ أو رسولَه **كفر** لأنه لا يَسُبُّه إلا وهو جاحد به، أو استهزأ بالله تعالى أو بكتبه أو رسله لقوله تعالى : (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم)، أو كان مبغضاً لرسوله أو لما جاء به الرسول اتفاقا]، بتصرف.

رابعاً: المذهب الحنفي: والأمر متفق عليه في كتب الأحناف أيما اتفاق، وغني عن النقل والذكر.

وهذا آخر من أردنا ذِكْرَهُ في هذه الإضاءة الثالثة والتي خَصَصناها ببيان بعض أحكام النبوات الاعتقادية على مذهب أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية.

والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سلسلة إضاءات على الطريق (4)

تخاطب هذه السلسلة كل مسلم و مسلمة في هذه الأمة العظيمة والمباركة بهدف إضاءة الطريق أمامهما في مواضيع متنوعة انطلاقا من منهج وفكر أهل السنة والجماعة في العقيدة والفقه والأخلاق النابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة الشريفة.

الإضاءة (الرابعة)

السمعيات

عدالة الصحابة

عدالة الصحابة رضي الله عنهم من العقائد الإسلامية التي ورد النص فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: (**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**)، والمقصود بـــ "القرون" هنا أهلُها.

واعلم أن العلماء يقسمون "**القرون**" إلى قسمين:

الأول: القرون المتقدمة: وهي قرون الأنبياء السابقين.

الثاني: القرون المتأخرة: وهي القرون التي تبدأ بقرن الرسول والصحابة، ثم قرن التابعين، ثم قرن تـــابعي التابعين كما نص عليه الحديث النبوي السابق, ثم ما بعدها من القرون إلى يوم القيامة.

فالحديث نص صريح في تفضيل قرن الرسول والصحابة على القرون المتقدمة والمتأخرة جميعاً باســـتثناء أشخاص الأنبياء لأنهم أفضل الخلق على الإطلاق, وكذا رؤساء الملائكة.

وأما قرن النبي صلى الله عليه وسلم فهو أفضل قرون الحياة على الإطلاق.

وظاهر الحديث أن "القرون" التي تلي قرن الصحابة هي سواء في الفضيلة، ولكن ذهب جماعة من أهل العلم إلى تفاوتها، فكل قرن سابق هو أفضل من القرن اللاحق, وهكذا هو الحال إلى يوم القيامة، واستدل هؤلاء بحديث: (**ما من يوم إلا والذي بعده شراٌ منه، وإنما يسرع بخياركم**)، ولكن رُدّ هذا الاستدلال بحديث آخـــر هو :(**مثل هذه الأمة مثل المطر الذي لا يدرى أوله من آخره**)، والعيان قاض بذلك.

*** تعريف القرن:**

القرن: أهل زمان واحد متقارب، اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، كالصحابة فإنهم اشـــتركوا في الصحبة, وهكذا من بعدهم.

وقيل: القرن: هو الزمان الذي اشترك أهله في الأمر المذكور.

وسمي القرن قرنا لأنه يَقْرِنُ أمةً بأمةٍ وعالَماً بعالَم.

*** تعريف الصحابي:**

الصحابي: كل من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد البعثة مؤمناً به، حتي وإن كانـــت صـــحبته للرسول صلى الله عليه وسلم قصيرة، ولو كان غير مميزاً، فشمل مفهومُ الصحابيِّ الصبيانَ الذين كان يُحنكهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم.

والمقصود من "الصحابة" أيضاً كل فرد ممن هو صحابي في نفس الأمر سواء علمنا صحبته أو لم نعلم.

*** معنى أن قرنهم "خير" القرون:**

معنى "**الخيرية**" بالنسبة إلى القرون المتأخرة أنهم أفضلهم، وأكثرهم ثوابا, فهم الذين آمنوا، وآووا، ونصروا، وأما خيريتهم على القرون المتقدمة باستثناء الأنبياء ورؤساء الملائكة فلقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، ولغيرها من الآيات والأحاديث التي تشير إلى علو مرتبتهم.

*** تحديد "مدة" القرون المفضلة:**

قد علمت أن "**القرن**" عبارة عن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، وأنه سمي "**قرنا**" لأنه يقرن أمة بأمة وعالما بعالم، و أن منهم من جعله اسما للوقت والزمان أو أهل الزمان, ويمكن أن يكون بمعنى الناس ينقلون أخبار من قبلهم لمن بعدهم.

ومدة قرن النبي صلى الله عليه وسلم من بعثته إلى آخر الصحابة موتاً في حدود مائة وعشرين سنة، وقرن التابعين من سنة مائة إلى نحو مائة وسبعين للهجرة، وقرن أتباع التابعين إلى حدود العشرين ومائتين، والله أعلم.

والحاصل، أنه لا يخفى علوُّ رتبةِ من لازم النبيَّ صلى الله عليه وسلم، وقاتل معه وقُتل تحت رايته على من لم يكن كذلك.

(**فائدة**) شرف الصحبة حاصل للجميع منهم، ولا يستثنى منهم أحد.

*** في تفاضل الصحابة بعضهم على بعض:**

إن الصحابة ولو كانوا جميعاً أتقياء، إلا أنهم يتفاوتون في الفضيلة، وأسباب هذا التفاوت فيما بينهم يرجع إلى أسباب واعتبارات متنوعة تبعاً لما يلي:

1- التفضيل باعتبار كثرة الأحوال والخصال الحميدة.

2- التفضيل باعتبار كثرة الثواب.

وذهب **الإمامُ الأشعريُّ** رضي الله عنه إلى أن التفاضل يكون باعتبار الثواب، وهو غير معروف لنا، فهو مما استأثر الله بعلمه، ولذلك ذهب الأشعري إلى **التوقف** في مسألة التفضيل فيما بين الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً.

ومن قال إن التفضيل فيما بينهم يكون باعتبار الأحوال والخصال الجميلة، وذهبوا إلى تصنيف الصحابة بعضهم فوق بعض بحسب ما ورد عن كل واحدة منهم من الخصال الحميدة التي مُدح بها شرعاً.

* **اعتبارات التفضيل:**

تفضيل الصحابة يكون باعتبارين:

الأول: يكون باعتبار الأفراد: فأبو بكر رضي الله عنه هو الأفضل, ثم عمر, ثم عثمان, ثم علي، وهكذا.

الثاني: باعتبار الأصناف، فأفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقية من العشرة المبشرين بالجنة، ثم بقية البدريين، ثم بقية أصحاب معركة أحد، ثم بقية أهل بيعة الرضوان بالحديبية، وهكذا على التفصيل الآتي:

أولاً: الخلفاء الراشدون: و هم مَنْ وليَّ الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم في عموم مصالح المسلمين, وقد قدَّر النبي صلى الله عليه وسلم مدتها بقوله: (**الخلافة بعدي ثلاثون، ثم تصير ملكاً عضوضا**)، إذا عض وشق على الرعية لأن الملوك يضرون بالرعية حتى كأنهم يعضون عضاً، والمراد به التضييق والشدة على الرعية.

والنفر الذين تولوا **الخلافةَ العظمى** بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم جميعاً.

أما أبو بكر فتولاها سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام.

أما عمر بن الخطاب فتولاها عشرة سنين وستة أشهر وثمانية أيام.

وأما عثمان بن عفان فتولاها إحدى عشرة سنة وإحدى عشر شهراً وتسعة أيام.

وأما علي بن أبي طالب فتولاها أربع سنوات وتسعة أشهر وسبعة أيام.

فالمجموع تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام، فلم تكمل المدة التي قدَّرها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بولاية الحسن بن علي بن أبي طالب، كذا حرره الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى، ولذا قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: أنا أول الملوك.

ومع أن الخلفاء الراشدين الأربعة هم أفضل من بقية الصحابة، إلاّ أنهم متفاوتون في الفضيلة أيضاً، فأفضلهم الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع.[1]

([1]) قال الإمام الباجور : شأن هؤلاء الأربعة هو التفاوت باعتبار كثرة ثواب بعضهم على بعض، ويدل لذلك حديث عمر رضي الله عنه: كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع: (**خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، فلم ينهنا**), قال الإمام السعد التفتازاني: على هذا وجدنا السلف و الخلف، والظاهر أنه لو لم يكون لهم دليل على ذلك لما حكموا به، وفيه رد على "**الخطابية**" وهي فرقة تنسب لابن خطاب الأسدي الذين

ثانياً: العشرة المبشرون بالجنة:

يضاف إلى الخلفاء الأربعة ستة آخرون، فيكونون عشرة، وهم المبشرون بالجنة، وهؤلاء الستة هم: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة عامر بن الجراح.

واعلم أنه لم يرد نصٌ بتفاوت هؤلاء الستة بعضهم على بعض، فلا نقول به، فنتوقف.

والسبب في ذكر هؤلاء العشرة مع أن غيرهم كفاطمة والحسن والحسين مبشرون أيضاً، أن هؤلاء العشرة ذُكروا في حديث واحد، ففي الترمذي وابن حبان من حديث عبدالرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، و عبدالرحمن في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وأبو عبيدة في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة**)، أخرجه أحمد (193/1)، والترمذي (3747) و(3748)، وبن حبان (7002) عن عبدالرحمن بن عوف مرفوعاً بإسناد صحيح.

ثالثاً: أهل معركة بدر الكبرى:

ورتبتهم تلي رتبة العشرة المبشرين بالجنة، ولا فرق بين من استشهد فيها، وهم أربعة وعشرون، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، ومن لم يستشهد منهم.

رابعاً : أهل معركة أحد:

ورتبتهم تلي رتبة أهل معركة بدر الكبرى، والمراد بهم من شهدؤها سواء مَنْ استشهد بها كالسبعين أم لا.

خامساً: أهل بيعة الرضوان:

ورتبتهم رتبة أهل معركة أحد، وسميت ببيعة الرضوان لقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح: ١٨].

سادساً: السابقون الأولون:

والمراد بفضل هؤلاء كثرة ثوابهم على غيرهم ممن لم يشاركهم هذه الصفة، وقد عُرف ذلك نصاً من القرآن كقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ

قالوا بتقديم عمر على غيره. وفيه رد على "الرواندية" (العباسية) الذين قالوا بتقديم العباس بن عبد المطلب على غيره. وفيه رد على "الشيعة" – بفتح الياء- وهي فرقة تغالي في حب علي بن أبي طالب فتقدمه على سائر الصحابة. وذهب أهل الكوفة، وبعض أهل السنة، وسيدنا مالك في قوله الأول وجمهور المعتزلة إن تقديم مرتبة علي بن أبي طالب على مرتبة عثمان.

عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

و قد اختلف العلماء في تعيين وتحديد هوية "**السابقين**" على أقوال:

1. ذهب الصحابي أبو موسى الأشعري ومن تبعه من الأكابر إلى أنهم الذين صلوا إلى القبلتين، بيت المقدس والبيت الحرام، وهو قول الأكثرين، وهو الأصح كما قال الباجوري.
2. ذهب جماعة من العلماء منهم محمد بن كعب القرظي أنهم أهل معركة بدر الكبرى.
3. وذهب الإمام الشعبي إلى أنهم أهل بيعة الرضوان.

فالأقوال ثلاثة: أرجحها الأول كما علمت.

ملاحظة: بعض أهل هذه المراتب ربما دخل في بعضها الآخر، وربما دخل في الجميع، فقد يكون سابقاً وخليفة وبدرياً وأحدياً ورضوانياً كالمشايخ الأربعة الكبار، إلاّ أن عثمان كان بدرياً أجراً لا حضوراً لأنه صلى الله عليه وسلم خلفه على بنته رقية بمرضها، وماتت في غيبته صلى الله عليه وسلم، وقال لعثمان: لك أجر رجل وسهمه.

وكان عثمان يلقب بذي النورين لتزوجه من ابنتين من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما: رقية وأم كلثوم عليهما السلام.

*** زوجات المصطفى صلى الله عليه وسلم:**

تفاوت زوجات المصطفى صلى الله عليه وسلم في الفضل في أكثر من جهة:

سُئلَ **الإمامُ السبكيُّ** عن ذلك فقال: الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة بنت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من أمها خديجة، ثم عائشة، واختار السبكي أن مريم أفضل من خديجة لقوله صلى الله عليه وسلم: (**خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد، ثم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ثم آسية بنت مزاحم امرأة فرعون**).

وقال **شيخُ الإسلامِ زكريا الأنصاريُّ** في شرح البخاري[1]: الذي اختاره **الآن** أن الأفضلية محمولة على أحوال: فعائشة أفضلهن من حيث العلم، وخديجة من حيث تقدمها وإعانتها له صلى الله عليه وسلم في المهمات، وفاطمة من حيث القرابة، ومريم من حيث الاختلاف في نبوتها, وذكرها في القرآن مع الأنبياء، وآسية امرأة فرعون من هذه الحيثية لكنها لم تذكر مع الأنبياء، وعلى ذلك تنزل الأخبار الواردة في أفضليتهن، وهذا جيد إن قلنا أن التفضيل يكون بحسب الأحوال وكثرة الخصال الجميلة، وأما إن قلنا بحسب الثواب فمذهب

[1] وهو شرح ضابط لمتون صحيح البخاري مع شروح مختصرة لها، وهو مطبوع.

الإمام أبو الحسن الأشعري التوقف، ومذهب الإمام المازري عدم الخوض في تفاضل الصحابة على بعضهم البعض.

فائدة: قال الإمام العلامة **أحمد بن محمد المالكي الصاوي** (ت 1241هـ) في شرحه على متن جوهرة التوحيد في العقيدة معلقاً على فضل الخلفاء الراشدين الأربعة: وينبغي حبُهم، **والتوسلُ** بهم على هذا الترتيب، ولا يفرق بين أحد منهم إلاّ محروم، كمن يفرق بين الأئمة المجتهدين والأولياء.

*** عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:**

يجب على كل مسلم أن يعتقد براءة عائشة رضي الله عنها مما رماها به المنافقون من **الإفك**، والذي ابتدأ الخوض فيه وإشاعه عبدالله بن أبيّ ابن سلول، لعنه الله.

وقد جاء القرآن ببرائتها، وانعقد الإجماع من الأمة المحمدية على ذلك، ووردت الأحاديث الصحيحة به، فمن جحد براءتها أوشكَّ فيها كفر.

وحصلت هذه الحادثة في غزوة بني المُصْطَلَق، حيث تخلفت أمُّ المؤمنين رضي الله عنها في طلب عِقدها، وكان مصنوعاً من خرز منسوب لأظفار وهي بلدة باليمن، فحُمِل هودجُها وهو عبارة عن مركب من مراكب النساء ظنا أنها رضي الله عنها فيه، وكانت عائشةُ خفيفةَ الوزن كما أخبرت هي عن نفسها، فسار القوم، فلما رجعت لم تجدهم، فمكثت مكانها فأخذها النوم، فمرَّ بها صفوان ابن المعطل، وكان يعرفها قبل نزول آية الحجاب، وكان عادته أن يتخلف عن الركب ليلتقط ما يسقط من المتاع، فبرك ناقتَه، وولاها ظهرَه، وصار يسترجع جهراً حتى استيقظت، وحملها على الناقة، ولم ينظر إليها، وقاد بها الناقة مولياً ظهره حتى أدرك بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرموها رضي الله عنها بصفوان، وفشا ذلك بين المنافقين، فأنزل الله تعالى براءتها في عشر آيات من أول سورة النور.

قال الإمام الصاوي: فصار كل من رماها بالزنا كافراً لتكذيبه القرآن.

*** الخلاف الذي حصل بين الصحابة[1]:**

لا بُدَّ من أن يطلع المسلمون على المنهج الذي اتبعة **علماء أهل السنة** في فهم ما حصل بين الصحابة من الخلاف، ونحن نود أن نذكر بعض القواعد المتبعة عند العلماء في ذلك حتى يكون المسلم قوياً في منهجه وموقفه.

1- القاعدة الأولى:

إن البحث عما جرى بين الصحابة من الموافقة والمخالفة **ليس من العقائد الدينية**، ولا من **القواعد الكلامية**[2]، وليس مما ينتفع به في الدين، بل ربما ضرَّ باليقين، فلا يباح الخوض فيه إلاّ للتعليم، أو للرد على المتعصبين، أو تدريس كتب تشتمل على تلك الآثار، أما **العوام** فلا يجوز لهم الخوض فيه لفرط جهلهم وعدم معرفتهم بالتأويل.

2- القاعدة الثانية :

أن ما ورد عما حصل بين الصحابة من التشاجر والخلاف على قسمين:

الأول: أن يرد عنهم بالسند المتصل المتواتر أو المشهور أو الآحاد.

الثاني: أن يرد عنهم بسند ضعيف أو مكذوب.

فأما الوارد عنهم بالسند المتصل المتواتر أو المشهور أو الآحاد **وجب تأويلُه** وحملُه على محمل حسن **حيث كان التأويل ممكناً**، فإن لم يكن التأويل ممكناً توقفنا فيه.

والقصد من التأويل والحمل على المحمل الحسن هو تحسينُ الظن بهم، وحفظُهم مما يوجبُ التضليلَ أو التفسيقَ، وذلك لأنه ثبت بالأدلة الشرعية القطعية، أن قرن الصحابة هو أفضل القرون المتقدمة منها والمتأخرة، ولأن مَنْ وقع بينهم الخلاف مِنَ الصحابةِ المجتهدين، فكلُّ فريقٍ منهم ذهب إلى ما أداه إليه اجتهادُه، فمَنْ أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد كما نص عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم.

---

[1] قال الإمام المحقق ساجقلى زادة في كتابه "نشر الطوالع" في فضل الصحابة: يجب تعظيم جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم, والكف عن مطاعنهم, وحسن الظن بهم, وترك التعصب والبغض لأجل بعضهم على بعض, وترك الإفراط في محبة بعضهم على وجه يفضي إلى عداوة آخرين منهم, والقدح فيهم, فإن الله تعالى أثنى عليهم في مواضع كثيرة, منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨ ﴾ [التحريم], الآية. وقد أحبهم النبي صلى الله عليه وسلم, وأثنى عليهم, وأوصى أمته بعدم سبهم وبغضهم وأذاهم, وما ورد من المطاعن فعلى تقدير صحته له محامل وتأويلات، ومع ذلك لا يعادل ما ورد في مناقبهم، وحكي عن آثارهم المرضية وسيرهم الحميدة نفعنا الله بمحبتهم أجمعين.

[2] اشتهر بين العلماء أن القواعد الكلامية تعتبر وتتخذ كقواعد للعقائد الدينية.

وهذا المسلك في البحث عن التأويل بناء من أهل السنة على الأصل وهو خيرهم وأفضليتهم الثابتة بنصوص الشريعة، وأما غيرُهم فمن عليه قادح في الدين حكم عليه بمقتضى مخالفته من لزوم كفر أو فسق أو بدعة كما حكمنا على رؤساء الشيعة والمعتزلة والمجسمة والخوارج بذلك.

3- **القاعدة الثالثة:**

قال العلامة المحقق أحمد الأجهوري: **والحاصل** أن التأويل لا يجب إلَّا بشرطين:

لأول: أن يكون التشاجر ثابتاً عند الأئمة بالأحاديث المتصلة الأسانيد.

الثاني: أن يخوض الشخص فيه بأن يطلع ما جرى بينهم.

وعلى هذا فما لم يثبت عند الأئمة فهو مردود باطل، فنحكم عليه بأنه مردود باطل، ولا نحتاج إلى تأويله.

وما ثبت عند الأئمة ولكن لم نطلع عليه فلا يجب تأويله أيضاً لأن تأويل الشيء فرع عن العلم به والفرض أنه غير معلوم.

4 - **القاعدة الرابعة: اجتناب داء الحسد:**

يجب على كل مسلم عند عرضه لمسائل الخلاف والتشاجر التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم أن يترك ويطرح جانباً داء الحسد، والمراد به الحسد الحامل على أحد الطرفين على وجه غير مرضي، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "**إن الله تبارك وتعالى اختار لي أصحاباً، فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرفا ولا عدل**" صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال صلى الله عليه وسلم: "**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**" رواه البخاري، وثبت عند الإمام مسلم في صحيحه عن البراء مرفوعاً : "**من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**" .

وقال الإمام العلامة أحمد الأجهوري: الحسد المجتنب هنا هو حسد أحد الفريقين المتشاجرين الحامل ذلك الحسد الميلَ للفريق الآخر على وجه غير مرضي بأن يشتمل ذلك الميل على سبِّ غيره، فليس المراد من الحسد معناه الأصلي وهو تمني زوال النعمة عن الغير، بل المراد هنا مطلق الإيذاء والسب، والمعنى حينئذ : اجتنب ذلك الميل لأحد الفريق احتقاراً للآخر. بزيادة وتصرف.

(فائدة) لعنُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم للمستحلين للتطاول على الصحابة الكرام، بناء على جواز لعن غير المعين من العصاة.

العقيدة السمعية الثانية

فضل التابعين وتابعي التابعين

بعد أنْ يعرفَ المسلمُ أنَّ "قرنَ" الصحابةِ هو أفضل القرون، ويعتقدَ ذلك في قلبه، يجب عليه أيضـــاً أن يعرف أن رتبة "التابعية" تلي رتبة "الصحبة" في الفضيلة، من غير تراخ كبير بينهما.

*** تعريف التابعي:**

التابعي هو مَنْ اجتمع بالصحابي اجتماعاً متعارفاً، ولا يشترط فيه طول الاجتماع كما في الصحابي مع النبي، وهذا ما صححه ابن الصلاح والنووي، **وهو المعتمد.**

والطريقة المشهورة أن يشترط التمييز في التابعي دون الصحابي، والمعتد عندنا عدم اشتراطه في التـــابعي كما لا يشترط في الصحابي، هذا قاله الإمام ابراهيم الباجوري.

وقال الإمام الصاوي: ويشترط طول اللقاء بين الصحابي والتابعي، والتمييز.

*** مدة زمن التابعين:**

قال الإمام الصاوي: وقرنُ التابعين الذي انفردوا فيه عن الصحابة سبعون سنة.

*** تابعوا التابعين:**

وهم أهل القرن الثالث من القرون التي نص الرسول على خيرها في قوله: (**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**)[1].

ومدة قرن تابعي التابعين ثلاثون سنة.

وذهب الجمهور إلى أنَّ الأفضلية في قرني التابعين وتابعيهم باعتبار الأفراد.

مسألة: القرون بعد القرون المفضلة الثلاثة:

قال الإمام الصاوي: **والحق**، أن كل قرن أفضل من الذي بعده لحديث: (**ما من يوم إلاّ والذي بعـــده شرٌّ فيه**)، فقد جاء في صحيح البخاري (7068) عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال: " اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمانٌ إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم" ، سمعته من نبيكن صلى الله عليه وسلم.

---

[1] أخرجه البخاري رقم (7068) عن الزبير بن عدي.

وهناك جماعة من العلماء قالوا: السبقية فيما بعد القرون الثلاثة الأولى لا تستلزم الأفضلية لحديث: (**مثل الأمة مثل المطر لا يدري أوله خير أو آخره**).

فائدة : أفضل التابيعن أويس القرني، كما أن أفضل التابعيات حفصة بنت سيرين، على خلاف في المسألة.

الأولياء

يجبُ الإيمانُ والاعتقادُ بأنَّ اللهَ تعالى جعل بعضَ عبيدِهِ أولياء.

*** تعريف الولي:**

وضع العلماءُ للوليِّ أكثرَ من تعريف:

1. أنَّ **الأولياء:** هم القائمون بحق الله تعالى وحق عباده حسب الإمكان.

2. أنَّ **الأولياء:** هم المواظبون على الطاعات، التاركون للمنهيات، المعرضون عن اللذات والشهوات، فلا يفعل شهوةً من حيث هي شهوة، بل أفعاله دائرة بين واجب ومندوب، مثلاً: يأكل بقصد التقوي على الطاعات، وينكح بقصد عفة الزوجة والنسل، وبالجملة فأفعاله ليست بشهوات.

3. **إنَّ الأولياء:** هم العارفون بالله تعالى وبصفاته حسب الإمكان، المواظبون على الطاعات، المجتنبون للمعاصي المعرضون عن الإنهماك في الشهوات واللذات المباحة.

ولقد فسر الإمام الباجوري معنى ذلك فقال: .بمعنى أنهم لا يرتكبون معصية بدون توبة، وليس المراد أنهم لا تقع منهم المعصية بالكلية، إذ ليسوا هم بمعصومين.

ومعنى أنهم لا يكذبون، أي: بلسانِ حالِهم بأنْ يُظْهروا خلافَ ما يُبطنون.

*** سبب تسمية الولي بهذا الاسم:**

سُمي "**الولي**" بهذا الاسم لأن الله تعالى تولى أمره، فلم يَكِلْهُ إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة، ولأنه يتولى عبادةَ اللهِ على الدوام من غيرِ أنْ يتخللها عصيانٌ.

وكلا المعنيين واجب تحقُقُه حتى يكون الوليُّ ولياً في نفس الأمر.

قال العلامة الصاوي: ومن شرطه أن يكون عنده حسن توكل على خالقه، وفي الحديث: (**لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصاً وتروح بطانا**)[1].

*** الولي والكرامة:**

[1] أخرجه ابن حبان (730)، وأحمد (30/1)، والترمذي (2344) و صححه، والحاكم (318/4).

الكرامة تختص بالأولياء، **والكرامة هي**: أمرٌ خارق للعادة، يظهر على يد عبدٍ ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كُلِّف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها أو لم يعلم، ولا تكون مقرونة بدعوى النبوة، ولا هي مقدمة لها.

*** حكم الكرامة:**

الكرامة من حيث هي أمرٌ جائزٌ، فلله تعالى أن يفعلها وله تعالى أن يتركها، وهي واقعة فعلاً كما ورد في الكتاب والسنة من قصة مريم وولادتها عيسى عليه السلام، وقصة الجن أصف بن برخيَّا ومجيئه بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرف سليمان عليه السلام، وكذا ما وقع من كرامات للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه رضوان الله عليهم وللتابعين إلى وقتنا هذا.

*** حكم مَنْ ينفي الكرامة :**

ذهب جمهور **المعتزلة** إلى إنكار الكرامة، واستدلوا بأدلة **ولكنها مردودة وغير صحيحة**، رد عليها علماء أهل السنة وبينوا ضعفها ولله الحمد.

تنبيه: الكفار بمختلف مللهم وأديانهم يعتقدون أن السعادة عبارة عن امتلاك الأموال، وأن الشقاوة عبارة عن الفقر والمسكنة، ولهذا قال الكفار: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سبأ: ٣٥].

ملاحظة: ذهب الإمامُ الكبيرُ أبو عبيدة الحليميُّ، وهو من كبار علماء أهل السنة والجماعة إلى عدم جواز الكرامة، وهذا اشتهر وقد نقله عنه في الكتب، ولكن الإمام المدقق محمد الأمير قال: وكأن الدجالين كثروا في زمانهم فقصدوا سد الذريعة.

و نُقِل إنكار الكرامة عن الإمام الإسفرايني, وقد رد ذلك الإمام أبو المعالي الجويني في أجوبته على أسئلة الإمام عبد الحق الصقلي[1].

[1] وقد حقق شيخنا وأستاذنا سعيد فودة، ونبه على بيان الإمام الجويني لحقيقة موقف الإمام الإسفرايني من الكرامة، وخلاصة قول الإمام الإسفرايني أنه يُرجع كثيرا مما يُدعى أن كرامة إلى أسباب عادية لا أنه ينكر الكرامة، علما بأن هذا الإمام الجليل كان من كبار البارعين في علم الفلك، فلم يُسلم لكل مدع لكرامة ما يدعيه.

واعلم أن أستاذنا وهو نزهة هذا الزمان قد حقق كتاب أجوبة الإمام الجويني على أسئلة الإمام الصقلي، وهي في غاية الدقة والإحكام.

العقيدة السمعية الرابعة

الشهداء

يجب الإيمان بأنَّ الشهداءَ أحياءٌ عند ربهم يرزقون، ويتنعمون بأرواحهم, والمراد بالشهيد هنا هو شهيد الحرب والمعركة.

* **تعريف شهيد الحرب:**

ويُسمى شهيدُ الحربِ والمعركةِ بشهيدِ **الدنيا والآخرة**، وهو الذي قاتل لإعلاء كلمة الله تعالى, وقُتل بسببٍ من أسباب القتال.

ومثله كلُّ من قُتل على الحق، كقتال البغاة وقطاع الطريق، وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأما مَنْ قاتل لأجل الغنيمة، أو لإظهار الشجاعة، فإنَّ له حكمَ شهداءِ الدنيا من عدمِ غسلِهم والصلاةِ عليهم، **وليس** له ثوابهم الكامل، وأما شهيد الآخرة كالمطعون والمبطون ونحوهما فإنه وإنْ كان كالأول في الثواب إلاّ أنه دونه في الرزق وأحكام الدنيا, فإنه يغسل ويصلى عليه.

ومن هنا تعلم أن الشهداء ثلاثة أقسام:

1. **شهيد الدنيا والآخرة**: وهو شهيد الحرب.
2. **شهيد الدنيا فقط**: كمن قاتل للغنيمة أو لإظهار الشجاعة.
3. **شهيد الآخرة فقط**: كالمطعون والمبطون ونحوها.

والشهيد الثالث هو دون الشهيد الأول في الحياة والرزق في البرزخ وإن كان مثله في الثواب.

* **لماذا سمي الشهيد بهذا الاسم :**

للعلماء في ذلك أقوال:

1. أنه سمي شهيد لأن الله تعالى وملائكته الكرام يشهدون له بالجنة.
2. أو لأن روحه شهدت دار السلام، بخلاف غيره فإنه لا يشهدها إلاّ يوم القيامة.

و ما ورد من أحاديث تشير إلى دخول أرواح المؤمنين الجنة قبل يوم القيامة فالمقصود منها أنها مرتبة أقل من مرتبة الشهداء في نوعية الحياة والرزق الذي يلونه من ربهم حفاوة بهم.

*** بيان معنى الحياة التي يكون عليها الشهداء:**

وفي ذلك كلام دقيق قاله الإمام ابراهيم اللقاني في شرحه على جوهرة التوحيد في عقائد أهل السنة:

يجب اعتقاد اتصاف **هيكل** شهيد الحرب بالحياة الكاملة لقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾** ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وحياتهم حياة حقيقية لظاهر الآية، وأنهم يرزقون مما يشتهون كما ترزق الأحياء بالأكل والشرب واللباس وغيرها.

والمراد **بالهيكل** هنا الجسد والروح معاً، والمراد بالحياة الكاملة تعلقها بكل من الروح والجسد.

قال الإمام **الجزولي**:

وحياتُهم غيرُ مكيفةٍ ولا معقولةٍ للبشر، يجب الإيمان بها على ما جاء به ظاهر الشرع, ويجب الكفُّ عن الخوض في كيفيتها، إذ لا طريق للعلم بها إلاّ من جهة الخبر، و لم يرد فيها شيءٌ يبين المراد.

فائدة: الشهيد لا يغسل ولا يصلى عليه عند السادة المالكية والسادة الشافعية، وأما عند السادة الأحناف فيصلى عليه ولا يغسل.

فائدة: من قاتل لإعلاء كلمة الله تعالى لكنْ قارنَ قتاَله هذا مؤثمٌ كمن غلَّ في الغنيمة، أو نوى محض قصد الغنيمة فله حكم شهيد الدنيا لا ثوابهم الكامل.

السعيد والشقي

*** الإسعادُ والسعادةُ والسعيدُ:**

لا بد للمسلم من أن يعرف معنى كلٍ مِنَ **الإسعادِ والسعادةِ والسعيدِ** في الاصطلاح الشرعي حتى يتمكن من تحصيلها.

الإسعاد: هو صفةُ فعلٍ تُفَسَّرُ بِتَعَلُّقِ القدرة الإلهية بالمقدور, أى: أنْ تتعلقَ قدرةُ اللهِ بإنسانٍ ما بأن يموت مؤمناً.

والسعادة: هي أثر الإسعاد، وهي نفس الموت على الإيمان.

والسعيد: هو من مات على الإيمان.

ومعنى أن الإنسان سعيد أنه يفوز بالظفر **بحسن الخاتمة**، و أما إيمانُ **الموافاةِ** فأمرٌ أزليٌّ [1].

وفوز السعيد بالسعادة أمرٌ مقدر في الأزل حال كونه سابقاً عنده تعالى أي عند علمه تعالى.

*** الإشقاءُ والشقاءُ والشقيُّ:**

الإشقاء: هو صفة فعل تفسر بتعلق القدرة بالمقدور.

والشقاوة: هي أثر الإشقاء، وهي الموت على الكفر.

والشقي: هو من مات على الكفر.

فشقاء الشقي هو وقوعه في **سوء الخاتمة**، وكفر **الموافاة** عنده أزلي، والموافاة تعني لقاء الله تعالى.

فالسعادة و الشقاوة مرتبطتان في الشرع **بلحظة الموت**، فمن يموت مؤمنا كان سعيدا، ومن يموت كافرا كان شقيا, فيكون مصير السعيد الجنة، وأما الكافر فمصيره النار، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود: ١٠٥ - ١٠٨]، و يفهم من ذلك أن الإنسان خلال حياته فإنه يجوز تنقله بين الكفر و الإيمان، والذي يدل على أن حالة السعيد والشقي تتغير وتتبدل حال حياته وقبل مماته قوله صلى الله عليه وسلم: (**إن احدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق**

---

[1]) الأزل : استمرار الوجود في جانب الماضي.

الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها).

*** الخاتمة والسابقة :**

تُعَرَّفُ "الخاتمةُ" بأنها: الحالة التي يموت عليها الإنسان من السعادة وهي الموت على الإيمان، أو الشقاوة وهي الموت على الكفر.

وتُعَرَّفُ "السابقةُ" بأنها: علم الله الأزلي، أي ما سبق في علم الله تعالى من أن الإنسان سيموت على السعادة (الإيمان)، أو الشقاوة (الكفر).

فالإنسان سيموت على الحالة التي سبق في علم الله الأزلي أنه سيموت عليها، ولهذا قالوا: حسن الخاتمة تدل على حسن السابقة، وسوء الخاتمة تدل على سوء الخاتمة، **فالخاتمة تدل على السابقة.** وعلى هذا فالسعادة والشقاوة حالتان أزليتان مقدرتان في الأزل لا تتغيران ولا تتبدلان.

ولو مات الإنسان على حالة غير الحالة التي عَلِمَ اللهُ تعالى في الأزل أنه سيموت عليها لكان الله جاهلاً بما سيؤول إليه حال الإنسان، وبم سيُختم له عند الموت، وهذا باطل لا يصح اعتقاده عند أهل السنة لأن علم الله كاشف عن كل أمر من الأمور في الماضي والحال والمستقبل، كما سبق ذكره وبيانه في قسم الإلهيات من هذه السلسلة.

ملاحظة: إذا كانت **السابقةُ** أزليةً باعتبار علم الله الأزلي، وكذا **الخاتمةُ** باعتبار أنها موت الإنسان على حالة معينة إما الكفر وإما الإيمان، وأنهما متلازمتان متطابقتان، فإن السابقة والخاتمة ثابتتان لا تتغيران ولا تتقلبان.

فيبقى شيء قابل للتغيير والتبدل وهو حال الإنسان حال حياته، فهذا فيمكن له أن يتقلب بين الكفر والإيمان، ولكنه إذا مات مات على ما سبق في علم الله أنه سيموت عليه.

ولهذا قالوا: السعيد هو المؤمن في الحال، والشقي هو الكافر في الحال، ففرق بين السعيد والشقي في حال حياتهما، و بين حال الخاتمة.

*** ماذا يترتب على السعادة والشقاوة:**

يترتب على السعادة وهي الموت على الإيمان الخلودُ في الجنة وتوابعه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨ ﴾ [هـــود: ١٠٨], فيترتب على السعادة وهي الموت على الإيمان الخلود في الجنة.

ويترتب على الشقاوة الخلود في النار، مصداقاً لقوله تعـــالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [هود: ١٠٦]، فرتب الله سبحانه وتعالى الخلود في النار على سوء خاتمة الإنسان وهي الموت مـــع الكفر.

*** العامة والخاصة :**

الناس في الشريعة ينقسمون إلى العلماء وإلى العوام:

أما العلماء وهم الخاصة فيخافون من **السابقة** أي من أن يكون قد علم الله في الأزل موتهم على الكفر وهو الشقاوة فيخلدون في النار، وذلك بالإضافة إلى شديد خوفهم من سوء الخاتمة.

وأما **العوام** من المسلمين فيخافون من **الخاتمة** أي أن يموتوا على الكفر وهي الشقاوة فيخلدون في النار، ولذلك علم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقولوا دائماً " اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة", فمرتبة العلماء أعلى من مرتبة العوام.

*** علاقة الإيمان والإسلام بالسعادة والشقاوة:**

ذهب **أهل السنة (الأشاعرة)** إلى أن كلاً من الإيمان والإسلام **علامتان** على السعادة والشقاوة, فالإيمان والإسلام علامتان على السعادة، والكفر علامة على الشقاة.

فإيمان المسلم وإسلامه علامتان على أنه سبق في علم الله الأزلي أنه سيموت علـــى الســـعادة أي أنـــه سيموت على الإيمان، والكفر علامة أنه سبق في علم الله الأزلي أنه سيموت على الكفر.

العرش

يجب الإيمان بالعرش، وهو : جسم مخلوق عظيم، فوق السموات السبع، والسماوات والأرضون كحلقه في فلاة.

وقيل في صفة العرش: إنه جوهرة خضراء.

وهو من أعظم المخلوقات خلقاً، ويُكْسى كلَّ يومٍ ألفَ لونٍ من النور، لا يستطيع أنْ ينظر إليه خلقٌ من خلقِ الله تعالى، والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة.

وقيل : إن العرش قبلة أهل السماء، كما أن الكعبة قبلة أهل الأرض.

وقيل: العرش جسم عظيم نوراني، علوي، محيط بجميع الأجسام.

وقيل هو أول المخلوقات وجوداً عينياً، ونمسك عن القطع بتعيين حقيقته لعدم العلم بها.

والقول بأن العرش محيط بجميع الأجسام – أي أنه كروي الشكل – بناء على قول أهل الهيئة، ولكن مشهور السنة أنه قبة عظيمة، يحمله الآن أربعة ملائكة، ويوم القيامة ثمانية لعظم **التجلي** الإلهي وقت ذاك[1].

وهو أول المخلوقات التي خلقها الله تعالى بعد النور المحمدي.

قال الإمام العلامة ابراهيم الباجوري في حاشيته على جوهرة التوحيد:

العرش: جسم عظيم نوراني، علوي، قيل : من نور، وقيل: من زبرجدة خضراء، وقيل : ياقوتة حمراء.

والأولى الإمساك عن القطع بتعيين حقيقته لعدم العلم بها.

والتحقيق أنه ليس كروياً، بل هو قبة فوق العالم، ذات أعمدة أربعة، تحمله الملائكة في الدنيا أربعة, وفي الآخرة ثمان لزيادة الجلال والعظمة في الآخرة.

رؤوسهم عند العرش في السماء السابعة، وأقدامهم في الأرض السفلى، وقرونهم كقرون الوعل – أي بقر الوحش – ما بين قرن أحدهم إلى منتهاه خمسمائة عام.

وقيل إنه كروي محيط بجميع الأجسام، **وهذا خلاق التحقيق.**

---

[1] وممن ذهبوا إلى كروية العرش شيخ المجسمة ابن تيمية، الذي يقول عنه الوهابية بأنه شيخ الإسلام، وحاشا أن يكون شيخ التجسيم شيخا للإسلام، وقد ذهب ابن تيمية بناء منه على كروية العرش إلى أن الله كروي الشكل، وأصل هذه الضلالة عنده أنه فسر الاستواء الوارد في آيات الاستواء بالجلوس، وجلوس الله على العرش يقتضي أنه ماليء له، وهذا يستلزم أنه كروي الشكل، بينما ذهب أهل السنة إلى أن الاستواء بمعنى استواء التدبير والهيمنة، بمعنى أن تدبير الله تام لا يشوبه نقص. راجع رد ابن تيمية على شيخ أهل السنة في عصره الإمام الرازي الرد على أساس التقديس: (1/ 573)، وقد فصل شيخنا وأستاذنا سعيد فودة في قول ابن تيمية الشنيع هذا في كتابه "الكاشف الصغير".

الكرسي

ويجب الإيمان بالكرسي، وقيل في تعريفه الأقوال التالية:

الكرسي: هو مخلوق عظيم، تحت العرش، **لا يعلم حقيقته إلاّ الله تعالى.**

وقيل: هو جسم عظيم نوراني، بين يدي العرش [1]، ملتصق به، فوق السماء السابعة، نمسك عن القطع بتعيين حقيقته لعدم العلم بها، وهو غير العرش خلافاً للحسن البصر (ت110هـ).

وقيل: هو جسم عظيم نوراني، تحت العرش، ملتصق به، فوق السماء السابعة، بينه وبينها مسيرة خمسمائة عام، والأولى أن نمسك عن الجزم بتعيين حقيقته لعدم العلم به، وهو غير العرش **خلافاً للحسن البصري.**

وللمفسرين في بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥] أقوال:

منها: **قول شيخ المفسرين الإمام الطبري في تفسير** أن **الكرسي** هنا بمعنى **العلم**، والتقدير: (وسع علمه)، وقال **الإمام الطبري**: هذا هو **المعتمد** لأنه سائغ التعبير عن العلم بالكرسي في اللغة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.

وخالفه الإمامُ الكبيرُ، إمام أهل السنة والجماعة في زمانه، **فخر الدين الرازي** صاحب تفسير "مفاتيح الغيب" فقال: إن لفظ (الكرسي) ورد في الآية، وجاء في الأخبار الصحيحة أنه جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة، ولا امتناع في القول به، **فوجب اتباعه.**

---

[1] أمامه من تحت.

القلم

ويجب الإيمان بالقلم، وللعلماء في تعريفه أقوال:

منها: أنه جسم عظيم، نوراني، خلقه الله، وأمره أن يكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، طوله خمسمائة عام، وعرضه كذلك، ونمسك عن الجزم بتعيين حقيقته.

وقيل: خلق من اليراع وهو القصب، وهو يكتب الآن إن قلنا إن اللوح المحفوظ يقبل التغيير.

العقيدة السمعية التاسعة

اللوح المحفوظ

ويجب الإيمان باللوح المحفوظ، وللعلماء تعاريف في بيانه:

منها: أنه جسم نوراني كتب فيه القلمُ بإذن الله تعالى ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وهو يكتب فيه الآن بناءاً على التحقيق من أنه يقبل **المحو والتغيير**، ونمسك عن الجزم بحقيقته.

وجاء في بعض الأخبار : إنَّ للهِ لوحاً أحد وجهيه ياقوتة حمراء، والوجه الثاني : زمردة خضراء.

وقيل: طوله خمسمائة عام، وعرضه كذلك.

فائدة: الحكمة: هي صواب الأمر وسداده، وهي وضع الشيء في موضعه، وهي الأمر الصائب، هو – أي الأمر الصائب – **سر** الفعل وفائدته المترتبة عليه.

*** هل كل مخلوق من العرش والكرسي والقلم واللوح وغيرها خُلِقَ لحكمة ؟**

للعلماء في ذلك طريقان :

الطريق الأول: أن كل واحدة منها له حكمة، يعلمها الله تعالى، وإن قصرت عقولُنا عن الوقوف عليها.

الطريق الثاني: أن الله تعالى فاعل مختار، يفعل ما يشاء ويتصرف كيف يشاء، ولا يلتزم بأن كل فعل يفعله يقصد من ورائه حكمة، واستدل هؤلاء بقوله تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

العقيدة السمعية العاشرة

الدعاء

يجب الإيمان بأن الدعاء ينفع صاحبَه عند أهل السنة

والدعاء مما يوصل الإنسان إلى مطلوبه

تعريف الدعاء:

الدعاء عندنا معاشر أهل السنة هو: الطلب على سبيل التضرع.

وقيل: هو رفع الحاجات إلى رافع الدرجات.

*** الأحياء والأموات**

الدعاء ينفع الأحياء والأموات إن دعوت **لهم**، ويضرهم إن دعوت **عليهم**، و حتى إن صدر من **كافر** على الراجح لحديث أنس رضي الله عنه: (**دعوة المظلوم مستجابة ولو كان كافراً**)، وأما قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٥٠﴾ ﴾ [غافر: ٥٠]، فمعناه أنه لا يستجاب لهم في خصوص الدعاء بتخفيف عذاب جهنم عنهم يوم القيامة، وفي المغفرة والرضا وهم ليسوا من أهل ذلك لكفرهم.

والدعاء داخل في ضمن ما وعد الله به في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أنواع الدعاء:

الدعاء نوعان: دعاء ينزل، ودعاء لا ينزل، وكلاهما ينفعان.

*** علاقة الدعاء بالقضاء وباللوح المحفوظ:**

الدعاء له علاقة وثقى بالقضاء (علم الله الأزلي)، وباللوح المحفوظ (محل المحو و الإثبات) على النحو التالي:

يقسم العلماء القضاء إلى قسمين :

الأول: بحسب العلم الإلهي الأزلي : وهذا ما يسمى **القضاء المبرم**، أي الذي لا يتغير.

الثاني: بحسب اللوح المحفوظ، وهذا يسمى **القضاء المعلق**، أي الذي يجوز فيه التغيير والتبديل.

ومن هنا قال العلماء: القضاء قسمان : **مبرم** ثابت لا يتغير، وهذا لا يؤثر فيه الـــدعاء ولا يبدلـــه ولا يغيره، وقضاء **معلق**، وهذا يؤثر فيه الدعاء وقد يغيره بحسب اختيار الله تعالى استجابةَ الدعاء من الداعي أو عدمَ استجابتِهِ.

*** الدعاء والقضاء المبرم:**

وهنا يوجد حالتان:

الأولى: أن يعلم الله في الأزل أنه يستجيب دعاء الداعي، وهذا بمجرد حصول الدعاء من الداعي تتحقق استجابة الله له دعائه.

الثانية: أن يعلم الله في الأزل أنه لن يستجيب للداعي دعاءه، فهذا لا يحصل, وموقف العبد هنا مـــن ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أن العبد لا يعلم أي الدعاء يستجاب وأي الدعاء لا يستجاب، فعليه أن يجتهد في الدعاء ما أوتي إلى ذلك سبيلا.

الوجه الثاني: أن العبد لا يترك الدعاء اتكالاً على ذلك كما لا يترك الأكل إتكالاً على إبرام الله الأمر في الشبع هل قضى الله بحصوله عقيب الأكل أم لا.

الوجه الثالث: وهو المهم هنا، أن الدعاء وإن كان لا يؤثر في القضاء المبرم، ولا يغيره ولا يبدلـــه، لأن علم الله غير قابل للتغيير، ولكن الله يجعل دعاء الداعي سبباً في إنزال لطفه على العبد الداعي، كما إذا قضى عليه قضاء مبرماً أنه يترل عليه صخرة، فإذا دعا الله حصل له اللطف بأن تصير الصخرة متفتتة، فتترل عليه كالرمل.

*** الدعاء والقضاء المعلق:**

قلنا: أن القضاء **المعلق** إنما هو بالنظر لما هو في اللوح المحفوظ، وهذا له حالتان اثنتان:

الحالة الأولى: حالة الرفع : أن يدعو الداعي برفع بلاءٍ مثلاً، و الله كتب رفعة من اللوح بمجرد الدعاء.

الحالة الثانية: حالة الترول، كأن يدعو الداعي بترول المطر مثلاً, فيترل المطر بمجرد دعائه.

الشرح والبيان:

قد يكون الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ نزول البلاء بالعبد الفلاني، فيما لو لم يقدم العبـــد الـــدعاء برفعه، ولكن إذا قدم العبد الدعاء برفع البلاء، فيمكن لله تعالى أن يختار رفعه استجابة لدعاء الداعي.

وقد يكون الله تعالى قد اختار نزول ما كتبه في اللوح المحفوظ بناء على ما إذا قدم الداعي الدعاء، فإذا دعا العبد بنزول المطر أنزل الله المطر.

ولهذا سمي ما في اللوح المحفوظ **بالقضاء المعلق**، أي يعلق الله رفعه وعدم تحقيقه، أو علق الله نزوله على الناس وتحقيقه بناء على دعاء الداعي لله تعالى.

والقول بالتعليق إنما بالنظر لنفس مضمون الدعاء، وهذا لا ينافي أن يختار الله تنوع الثواب.

*** مذهب المعتزلة:**

مذهب المعتزلة أن الدعاء لا ينفع، وأوَّلوا الدعاءَ الوارد في الشريعة بالعبادة والأجر والثواب، ولهذا سموا **مبتدعة**، ولا يكفرون لأنهم لم ينكروا الآيات ولكن أولوها بدون أدلة ولا حجة صحيحة.

وأما نحن أهل السنة فَجَزَمْنَا بنفع الدعاء لأن الله **وعد** به في القرآن الكريم للآيتين: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقوله، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ويؤيد هاتين الآيتين قوله تعالى في استجابة الدعاء: ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٤]

*** التنوع في الإجابة:**

إجابة الدعاء من الله تعالى قد تتنوع حسب الحالات التالية:

الأولى: أن يقع المطلوب بعينه على **الفور**، وتارة يقع ولكن **يتأخر** لحكمة فيه.

الثانية: أن تقع الإجابة بغير المدعو به والمطلوب وهذا حيث يعلم الله أن لا مصلحة ناجزة إن هو تعالى استجاب نفس المطلوب من الدعاء، ويعلم تعالى أن المصلحة في أمر آخر ناجزة فيسرعها للعبد.

الثالثة: أن يكون في المطلوب مصلحة ناجزة ولكن هناك ماهو أفضل منها.

وبناء على ذلك فالدعاء والإجابة كله في ضمن المشيئة والاختيار الإلهي الصِرف إذ قد عرفت في قسم الإلهيات أنه تعالى لا حجر عليه في أفعاله، فلا يستحيل عليه شيء منها ولا يجب.

*** الإجابة الإلهية قد توافق المدعوَ وقد تخالف:**

الإجابة الإلهية بالإضافة إلى كل ما سبق قد تقع بعين المدعو به، وقد تقع بغير المدعو به حيث علم الله أن لا مصلحة ناجزة في الواقع، ويوجد مصلحة أفضل منها ولا يتضمنها الدعاء، فيوقعها رعاية الله لعباده المؤمنين.

(**فائدة**): أدلة الدعاء ونفعه في القرآن متواترة، وأما في السنة فقد أجمع السلف والخلف عليه، وورد دعاؤه صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة كيوم بدر، وعلى قاتلي أهل بئر معونة، وعلى المستهزئين.

وبئر معونة: اسم مكان متوسط بين مكة وعُسْفان، قريب من المدينة.

*** شروطُ وآدابُ الدعاءِ:**

أولاً : شروطه:

أكل الحلال، و أن يدعو وهو موقن بالإجابة، وأن لا يكون قلبه غافلاً، وأن لا يدعو بما فيه إثم أو قطيعة رحم، أو إضاعة حقوق المسلمين، وأن لا يدعو بمحال ولو عادة لأن الدعاء به يشبه التحكم على القدرة القاضية بدوامها، وذلك إساءة أدب على الله تعالى.

ثانياً: آدابه:

1- أن يتحرى الأوقات الفاضلة كأن يدعو في السجود، وعند الأذان، والإقامة.

2- أن يقدم الوضوءَ والصلاةَ واستقبالَ القبلةِ، ورفعَ الأيدي إلى جهة السماء لأنها قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة.

3- أن يقدم التوبة والاعتراف بالذنب.

4- أن يقدم الإخلاص في الدعاء.

5- أن يفتتح دعاءَه بالحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وختمه بها، ويسن جعلها في وسطه أيضاً.

العقيدة السمعية الحادية عشرة

الــرزق

قال أهل السنة و الجماعة:الأرزاق مقسومة معلومة لا تزيد بِتُقى المتقين, و لا تنقص بفجور الفاجرين, و الرزق الذي تكفله الله هو الغذاء, قال الله تعالى: [نحن قسمنا بينهم].

تعريف الرزق:

الرِزْقُ لغةً: هو الشيء المرزوق للإنسان كالأكل والشرب واللباس وغيرها.

والرزق في الشرع الإسلامي: ما ساقه الله إلى الحيوان فانتفع به بالفعل [1].

معنى الانتفاع بالفعل:

أي أن الإنسان استهلكه بالفعل، وما زاد عنده من طعام وشراب ولباس وأموال وغيرها فليست رزقــاً بالمعنى الشرعي ولكن **معطى** من الله تعالى، أي ساقه الله إليه **عطية** منه تعالى له، وتهيئة لهذا الشيء لأن ينتفع منه الإنسان بالفعل.

وبناء على ذلك، فلا يأكل أحدٌ رزقَ غيرِه، ولا يأكل أحد غيرَ رزقِه, فهناك فرق إذاً بين مــا يملكــه الإنسان، وبين ما يرزق به، فإن ما يرزق به هو بعض ما يملكه فقط.

لطيفة: قد يكون ما تملكه رزقاً لغيرك، ومثاله الضيف، يأتي إلى ما تملكه أنت ويرتزق منه، فهو ملــك لك ورزق لغيرك، وقال الشاعر:

لِمَ لا أحبُّ الضيف أو أرتاح من طربٍ إليهْ
والضيف يأكلُ رزقهُ عندي ويشكرني عليهْ

الرزق عند أهل السنة يشمل الإنسانَ والدوابَ وغيرَها, فكل ما ينتفع به الحيوان سواء الإنسان وغيره من الكائنات الحية فيسمى رزقاً،

قال تعــالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾ [هود: ٦]، وقال صلى الله عليه وسلم (... الطير خماصاً وتعود بطانا).

([1]) وأما قوله تعالى: (ومما رزقناهم ينفقون)، فتقضي بظاهرها أنه لا يشترط في الرزق الانتفاع بالفعل، فأطلقت اسم الرزق على المال المنفق، وهذا مخالف لتعريف أهل السنة الرزق، ولذلك قال العلماء: معنى الآية : ومما أعطيناهم ينفقون، فالرزق في الآية بمعنى الإعطاء وليس الرزق بالمعنى الشرعي، وأن يكون المراد : ما هُيِّءَ لأن يكون رزقاً للناس من قبل الله تعالى.

*** الرزق يشمل المأكولَ وغيرَ المأكولِ:**

كل ما ينتفع به الحيوان يسمى رزقاً سواء كان مأكولاً أو غير مأكول، المهم أن يحصل به الانتفاع بالفعل، بل هو رزق لمن انتفع به كما مرّ في مسألة الضيف، وكمالِ التركة يتركه الميت للورثة لينتفعوا به بالفعل.

مسألة: الناس قد يأكلون ممتلكات بعضهم البعض ولكنهم قطعاً ويقيناً لا يمكن لهم أن يأكلوا رزقَ بعضِهم البعض لأن الرزق كما سبق اسمٌ لما تم **استهلاكُه** والانتفاعُ به بالفعل، وقد يكون ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الخبر عن ابن مسعود مرفوعاً: " **إن روح القدس نفث في رُوعي** [1] **(القلب): لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجمعوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله إن الله تعالى لا ينال ما عنده إلاّ بطاعة"** .

الأرزاق نوعان:

ظاهرة: وهي للأبدان كالأقوات.

وباطنة: وهي للقلوب كالعلوم والمعارف، فهذه تسمى رزقاً لأنه يحصل بها الانتفاع بالفعل.

*** أقسام الرزق عند أهل السنة والجماعة:**

لقد سبق أن قلنا أن الرزق عند أهل السنة هو اسم لما تم استهلاكه والانتفاع به بالفعل، وبقي عليك أن تعلم أن هذا الانتفاع والاستهلاك قد يكون بشيء حلال، أو مكروه، أو حرام، فهذه كلها تسمى رزقاً عند أهل السنة،لأن الشرط في تسمية الشيء رزقاً هو الانتفاع الفعلي بالشيء، وهذا قد يكون بحرام أو حلال أو مكروه فالكل رزق، ولهذا فإن الرزق يشمل كل ما ينتفع به كل الناس من المسلمين و الكافرين، فتفكر في عظمة الله تعالى وسعة جوده وكرمه أنه لم يحرم أحداً من الرزق الذي يحتاجه من بداية حياته إلى مماته.

أولاً: الرزق الحلال:

الرزق الحلال عند أهل السنة كل ما كان مباحاً بنص أو إجماع أو قياس جلي, بعينه أو جنسه، فكل ما هو منصوص على إباحته أو أجمع المسلمين على إباحة تناولِه لغير ضرورة [2] ، أو لم يتبين أنه حرام.

تنبيه: قال العلماء هذا هو الأصل في معرفة الرزق الحلال، ولكن اليوم لا ينبغي أن يسأل عن أصل الشيء لأن الحلال ما جُهل أصلُه والأحوال قد فسدت واستحكم فسادها فأخذ الشيء على ظاهر الشرع أولى من السؤال عن شيء يتبين تحريمه.

([1]) أي أن جبريل (روح القدس) ألقى في قلبي لن تموت نفس ...الخ

([2]) أما حالة الضرورة فأكل الميتة عند الضرورة، والاحتياج إلى تسهيل غصة بشربة خمر فهو خارج عن كلامنا هنا لأن أصل هذه الأشياء غير مباح قطعاً.

قال الإمام القزويني: ومن قال الحلال ليس بموجود فقد طعن في الشريعة، وهو أحمق، حصل له ذلك من جهله، فإن الله لم يكلف الخلائق عين الحلال في علم الله تعالى، بل كلفهم أن يصيبوا الحلال في اعتقادهم وظنهم.

ثانياً: الرزق المكروه:

الرزق المكروه هو ما نهى الله ورسوله عنه نهياً غير أكيد، سواء كان بدلالة المطابقة أم لا.

ثالثاً: الرزق الحرام:

الرزق الحرام هو ما نص الله أو رسوله أو أجمع المسلمون على امتناع تناوله بعينه أو جنسه، أو اقتضى القياس الجلي ذلك، أو ورد فيه حدٌ، أو تعزيرٌ، أو وعيد شديد غير مؤول سواء كان تحريمه لمفسدة و مضرة خفية كالربا، أو لمفسدة ومضرة واضحة كالسم والخمر[1].

*** مبحث في الاكتساب:**

ما معنى الاكتساب:

الاكتساب: هو السعي في مباشرة أسباب الرزق بالاختيار كالبيع والشراء لأجل الربح، ومثله تعاطي الدواء لأجل الصحة، والسفر السفر الطويل لكسب الأرباح أو غير ذلك.

سؤال أيهما أفضل في الدين الاكتساب أم التوكل؟

عرفت سابقاً معنى الاكتساب، وأما التوكل فهو الاعتماد على الله تعالى وترك الأسباب الموصلة إلى الرزق، أو هي ترك السعي فيما لا تسعه قدرة البشر.

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على **ثلاثة أقوال الراجح** منها ما يلي:

أن الأفضلية بين الاكتساب أو التوكل وترك السعي في تحصيل الرزق يختلف باختلاف أحوال الناس:

---

[1] *** مذهب أهل البدعة من المعتزلة في الرزق:**

قال جماعة من المعتزلة : الرزق هو ما مُلك للإنسان – فلا يعتبر فيه الانتفاع بالفعل كما هو مذهب أهل السنة – فالمعتبر عند أهل المعتزلة **ملك الشيء** حصل الانتفاع به أم لا، وهذا المذهب فاسد وذلك لأن الله مالك لجميع الأشياء ولا تسمى رزقاً لله تعالى اتفاقاً وإلا كان الله مرزوقاً.

ويلزم من مذهب المعتزلة أيضاً خروج الدواب والعبيد والإماء من مفهوم الرزق لأن الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول: لا ينسب لهذه الأشياء الملك، والإمام مالك بن أنس يقول : *هؤلاء ملك غير تام*، فعلى مذهب المعتزلة لا يسمى ما ينتفع به هؤلاء رزقاً، وهذا فاسد.

والمعتزلة لا تعتبر الحرام رزقاً خلاف لأهل السنة كما عرفت سابقاً من أن الرزق عندهم يشمل كل ما ينتفع به الإنسان حلالاً كان أو حراماً أو مكروهاً.

خاتمة: قد يجمع الإنسان على مذهب أهل السنة بين هذه الثلاثة، وذلك ينتفع بشيء حلال وشيء حرام وشيء مكروه في آن واحد.

فمن يصبر على ضيق العيش بحيث لا يتسخط ولا يتطلع لسؤال أحد فالتوكل في حقه أرجح لما فيه من مجاهدة النفس على ترك شهواتها ولذاتها والصبر على شدتها.

وأما من لم يكنه كذلك فالاكتساب في حقه أرجح حذراً من التسخط وعدم الصبر بل ربما وجب الاكتساب في حقه.

واعلم أن التفريق بين الاكتساب للرزق وبين التوكل وترك السعي وراء الأسباب هو طريقة أبو جعفر الطبري ومن وافقه الذين يفرقون بين الكسب وبين التوكل.

وأما طريقة الجمهور من العلماء فإن التوكل لا ينافي ولا يعارض الاكتساب، فقد يكون الإنسان متوكلاً وفي الوقت نفسه هو يكتسب رزقه بمباشرة أسبابه، لأن حقيقة التوكل على طريقة الجمهور هو الثقة بالله تعالى والاعتماد عليه، واعتقاد أن الأمر منه وإليه ولو مع مباشرة الأسباب كما كان يفعله المصطفى صلى الله عليه وسلم.

(**فائدة**): قال **حجة الإسلام** أبو حامد الغزالي رضي الله عنه: كان المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح يحملون الزاد بنيات الخير لا يميل قلوبهم إلى الزاد عن الله تعالى.

والدخولُ في البوادي بلا زادٍ بدعةٌ لم تُنْقَلْ عن أحدٍ من السلف لأنه مخاطرةٌ بالروح، وقد قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

العقيدة السمعية الثانية عشرة

المـــــــــــوت

من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمانُ بأن الله تعالى يُميت الخلائقَ[1] كلها ممـــن هـــم مـــن ذوي الأرواح، قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[العنكبـوت: ٥٧]، فالتصديق بالموت واجب، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠]، والأحاديث في ذلك كثيرة[2] .

*** بماذا يكون الموت عند أهل السنة:**

الموت عند أهل السنة يكون **بالأجل.**

*** تعريف الأجل:**

الأجل هو الوقت الذي كتب الله في الأزل على كل ذي روح ونفْسٍ انتهاءَ حياتِه فيه، قـــال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، أي وما كان لـــنفس أن تمـــوت إلاّ بقضـــاء الله ومشيئته، أو بأن يأذن لمَلَك الموت بقبض الروح، فكتب الله تعالى ذلك الموت كتاباً مؤجلاً مؤقتاً لا يتقـــدم ولا يتأخر، فإذا تم دفنه أحياه الله تعالى في قبره بردِّ روحه إليه لأجل سؤال الملكين منكر ونكير.

*** الأجل واحد:**

الأجل عند أهل السنة واحد لا يتعدد، ولا يتقدم ولا يتأخر، واعتقاد ذلك واجب شرعاً لقوله تعـــالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[يونس: ٤٩]، فكل ذي روح يموت عند حضور أجله لا بشيء آخر.

*** الأسباب التي تقارن انتهاء الأجل:**

قد يقارنُ انتهاءَ أجلِ الإنسان أسبابٌ كمرضٍ، أو ضربٍ بآلةٍ قويةٍ، أو إطلاق طلقة مسدس عليـــه، أو دهس بسيارة أو غير ذلك من الأسباب، فيتوهم الناس ويتخيلون أن هذه الأسباب هي التي انتهت بها حياة ذلك

([1]) يستثنى من حكم الموت كل من يكون في الجنة أو النار من مخلوقات.

([2]) الموت مخلوق من مخلوقات الله تعالى، **فهو من مجوزات العقول التي ورد الشرع بثبوتها فوجب الإيمان بها واعتقادها**، وهو واقع بالفعل على الوجه الذي بينته الشريعة من تقدير الآجال، وهذا فيه رد على الدهرية الذين قالوا: إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، وفيه رد على الفلاسفة الذين قالوا: إن الموت عبارة عن اختلال نظام الطبيعة البشرية وتلاشي مزاج الجسم المعتدل.

الشخص، وهذه عقيدة فاسدة تخالف ما عليه عقيدة أهل السنة في الموت من أنه بانتهاء الأجل المقدر بقضاء الله تعالى وأمْرِه تعالى بخروج الروح منه، أو قبضه إياها، أو أمره ملك الموت أو أعوانه بذلك.

فالأسباب لا تقدم ولا تؤخر في الأجل المحتوم، فنسبة الإماتة إليها نسبة باطلة عقائدياً، فالإماتة بانتهاء الأجل لا بالأسباب، ولهذا نقول عادة: تعددت الأسباب والموت واحد لأن الموت من الله لا من الأسباب[1] .

*** اعتراض على مذهب أهل السنة:**

قد يعترض المخالفون على مذهب أهل السنة بقولهم: إذا كانت الأسباب لا تقطع أجل الإنسان فلماذا يقيمون القصاص على القاتل.

الجواب: إقامة حكم القصاص على القاتل لأنه أراد **اكتساب** ذلك الفعل الذي هو قتلٌ لا أنه يقطع أجله، فهو معاقب على عزمه وتصميمه واختيارِه اكتسابَ فعلِ القتل ومباشرته أسبابه بالفعل بإطلاق النار أو الضرب المميت أو الدهس أو غير ذلك.

*** اعتراض آخر:**

أنتم تقولون: إنَّ الأجل واحد، لا يتقدم ولا يتأخر، فلماذا يموت الإنسان عند إطلاق النار عليه؟

ثم إنه ورد في الأحاديث أن بعض الأعمال تكون سبباً في إطالة العمر وزيادته، فلو كان الأجل واحداً لما جاز أنْ تُطيلَ الأعمالُ في عمر الإنسان؟؟!!

والجواب على هؤلاء يكون بتوضيح المسألة من أصلها على النحو التالي:

أولاً: أن أحاديث زيادة العمر كأحاديث صلة الرحم مثلاً هي أحاديث آحاد، وكون الأجل ثابتاً لا يتأخر ولا يتقدم من القواطع الشرعية، فلا تقدم الأحاديث الآحاد على القواطع.

ثانياً: أنه يمكن حمل الزيادة في العمر الوارد في الأحاديث الآحاد على الزيادة في الخير والبركة وهذا أصله في الشريعة ثابت ومشهور.

ثالثاً: من خلال فهم العلاقة بين ما في صحف الملائكة من تقدير الآجال، وبين ما هو في علم الله تعالى على النحو التالي:

---

[1] ( ) وخالف في ذلك **أهل الأهواء**، فقالت **المعتزلة:** السبب يقطع الأجل الذي قضاه الله تعالى، ولولا ذلك السبب لبقي الإنسان حياً إلى آخر أجله، وهذا باطل لا يقبل عند العقلاء المتمسكين بالحق.

وبناء على ذلك قال المعتزلة للمقتول أجلان: **أجل القتل وأجل الموت، وأجل القتل** يكون بأسباب من الناس كأن يقتل شخص شخصاً بمسدس، وأما **أجل الموت** فهو الذي قضى الله انتهاء حياة الإنسان عنده، ومذهب كثير من المعتزلة : أن أجل القتل لو لم يحصل لبقي حياً إلى استكماله أجل الموت المقضي من الله تعالى.

أن ما في الصحف فإنه قابل **للمحو والإثبات**، أي أنه قابل للتغيير، قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد٣٩]، فهذا المحو والإثبات محله الصحف التي مع الملائكة أو أن محله اللوح المحفوظ، ثم قال تعالى بعد ذلك (**وعنده أم الكتاب**) والمقصود بأم الكتاب هو علم الله تعالى الأزلي، وهذا بطبيعة الحال غير قابل للمحو والإثبات بل هو ثابت لا يتغير.

ومثال ذلك: أن يكون في صحف الملائكة أو اللوح المحفوظ أنَّ عُمْرَ (زيد) ستون سنة وإنْ فعل الطاعات فعمره سبعون سنة، ولكنَّ اللهَ علم أن هذا الشخص لن يفعل الطاعات وبالتالي فله في علم الله تعالى أجل واحد وهو الذي سيموت عنه.

وأما إذا علم الله منه أنه سيفعل الطاعات فسيكون له في علم الله بسببها عشرة سنوات فيكون أجله سبعين سنة.

إذاً فهناك **تقديران** لعمره في الصحف أو اللوح المحفوظ واحد باعتبار عدم فعل الطاعة، والثاني باعتبار فعل الطاعة، والأجل بالاعتبار الأول قابل للتغيير والمحو والإثبات وأما بالاعتبار الإلهي بحسب ما سبق في علم الله تعالى فهو أجل واحد وهو الذي لا يتقدم ولا يتأخر، وبهذا تعلم أن علم الله تعالى هو أصل الصحف وأصل اللوح المحفوظ، لأنه هو القضاء الذي أمرنا بالإيمان به والقضاء أزلي لا يتغير ولا يتبدل أبداً[1].

*** بيان مذهب الإمام الأشعري في الموت:**

قال إمام أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري رض الله عنه:

" إن الموت كيفية وجودية تضاد الحياة، فلا يتعرى الجسم الحيواني عنها، ولا يجتمعان فيه، وليس (الموت) بعدمٍ محضٍ، ولا فناءٍ صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقةٌ وحيلولةٌ بينهما، وتبدل حال بحال، وانتقال من دار إلى دار ".

([1]) وهذه المسألة تسمى عند العلماء الراسخين في العلم من علماء أهل السنة (**بعلم الله المقيد**) قال العلامة أحمد الأجهوري:

بيان ذلك أن الله تعالى يعلم أزلاً أن زيداً يطيع وأن له بسبب ذلك من العمر ستين سنة، ويعلم أنه لو لم يطع لكان عمره خمسين سنة، وهذا معنى كون ما في صحف الملائكة مقيداً في علم الله بأن لا يفعل كذا من الطاعات.

وليس المراد من التقيد التعليق، بل المراد منه ما تقدم من أنه لو لم يطع لكان عمره خمسين سنة مثلاً، وبحمل التقييد على هذا المعنى اندفع ما يتراءى من العبارة من أن علم الله مشوب بالتردد.

قلت معنى التقييد هنا أن الله علم من العبد في الأزل أي الأجلين سيموت عليه، فأجله مقيد إما بحال زيادة العمر مع الطاعات وإما نقصان العمر بدون طاعات، فما في العلم الأزلي أصل واحد، قال العلامة أحمد الأجهوري : ومعنى ذلك أن الله تعالى يعلم أن جعل عمره ستين سنة مثلاً مرتب على طاعته المقطوع بوقوعها في علم الله ، فلا تردد في علم الله تعالى.

ملاحظة: بعضهم عرف (أم الكتاب) باللوح المحفوظ، فهو أمٌ لصحف الملائكة وذلك لأن كل ما هو كائن فإنه مكتوب في اللوح المحفوظ كما هو معروف من الأحاديث الصحاح في ذلك.

شرح وتعليق على مذهب إمام أهل السنة رضي الله عنه:

قلنا سابقاً إن الموت هو انتهاء حياة الإنسان بالأجل، وأنه أجل واحد، ثابت، لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص، وهو يكون بانتهاء تعلق الروح بالبدن – أي انتهاء العلاقة بينهما- فهو رضي الله عنه يقول : إن الله يخلق عرضا (صفة) في الإنسان عقيب خروج روحه منه وهذا **العرض** يسمى **بالموت** وهو آخذ في ذلك بقوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الملك ٢]، وفي مقابل ذلك فإنه تعالى يخلق صفة وعرضا يقوم بالإنسان قبل خروج روحه، وبهذا يكون هناك ثلاثة أمور:

الأجل: وهو الوقت الذي عنده تنتهي علاقة الروح بالبدن.

والموت: وهو عرض يقوم بالإنسان بعد انتهاء أجله[1]، ولهذا قال الإمام الأشعري الموت **والحياة** عرضان (صفتان، أي معنيان وجوديان) غير انتهاء الأجل (الذي هو انفصال الروح عن الجسد)، وأن هذين العرضين لا يتمكن انفكاكهما بواحدة من الموت أو الحياة، فكأنه رضي الله عنه يقول: نسبة الموت والحياة إلى الإنسان كنسبة الحركة والسكون إلى الجسم، فكما لا يمكن تصور الجسم دون الحركة أو السكون، فكذا لا يمكن تصور الإنسان دون اتصافه إما بالموت (وهو يحل في الجسم حال خروج الروح) وإما بالحياة (وهي حالة في الجسم الإنسان قبل خروج الروح منه).

وبهذا تعرف أن هذين العرضين عند الإمام الأشعري من الأعراض الذاتية التي لا تقبل الإنفكاك معا عن الجسم، وتعرف أيضاً أن التقابل بين الموت والحياة بالنسبة للإنسان هو من تقابل التضاد[2].

قال العلامة الصاوي:

والموت عرض يضاد الحياة[3]، وليس بعدم محض، وإنما هو انتقال من دار إلى دار، فكل من مات فقد انتقل من عالم الدنيا إلى البرزخ، فمن مات على الإيمان تمنى عدم العود إلى الدنيا لأن عالم البرزخ في اتساعه بالنسبة للدنيا كالدنيا بالنسبة لبطن الأم، وأما إن مات على الكفر- والعياذ بالله – تمنى العود إلى الدنيا لما يرى من ضيق برزخه وعذابه، فالدنيا سفينة موصلة للبرزخ.

([1]) وقيل معنى (خلق الموت والحياة) أي أسباب الموت والحياة، وقيل: هما كناية عن الدنيا والآخرة، وقيل: هما كناية عن العلم والجهل.

([2]) قال الإمام الباجوري في حاشيته جوهر التوحيد: وفي بعض الأحاديث إن الله خلق الموت في صورة كبش لا يمر بشيء إلاّ مات، وفي بعض الأحاديث (إن الحياة خلقها الله على صورة فرس لا تمرّ بشيء إلا حي) عبارة عن **تمثيل**، وإلاّ فالموت صفة للميت كما أن الحياة صفة للحي، **والأولى التفويض في أمثال هذه المقامات إلى الله تعالى** اهـ بتصرف يسير وزيادة يسيرة جداً.

([3]) وذهب المعتزلة إلى أن الموت عدم محض، راجع للاستزادة في هذا المبحث تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) عند قوله تعالى: (خلق الموت والحياة).

*** عقيدة قبض الروح عند أهل السنة:**

يؤمن أهل السنة بعقيدة القبض، والمراد به إخراج الملك الموكل بالموت[1] الروحَ من مقرِّها، ويكون أخذها من مقرها بإذن الله عز وجل، أو أن يأخذها ملك الموت من أيدي أعوانه، وهذا يشمل أروح الشهداء، براً وبحراً، وجميع أرواح الثقلين والملائكة والبهائم والطيور وغيرهم ولو بعوضة[2] .

هذا ما ذهب إليه أهل الحق، وقال بعض أهل الأهواء وهم المعتزلة الذي يقبض فقط أرواح الثقلين (الإنس والجن)، وأما غيرهما فلا قبض في حقهما.

*** آيات وتعليق:**

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزمر ٤٢]، وهذا باعتبار أنه تعالى هو الخالق للموت والحياة والأجل، وهو الأمر لملك الموت وأعوانه بقبض الأرواح وتخليصها من مقارها في أجسام بني آدم.

وقوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة ١١] ، باعتبار أنه عليه السلام هو الموكل من الله تعالى بقبض أرواح المخلوقات وانتهائها إلى أمره.

وقوله تعالى: (توفته رسلنا)، هذا باعتبار أعوان ملك الموت، وهؤلاء يعالجون الروح شيئاً فشيئاً لإخراج الروح من الجسد، فيترعونها بالتدريج من العصب والعظم واللحم والعروق، ولهذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم هذه العملية بإخراج السفود من الصوف.

فالقبض الحقيقي لله تعالى بقدرته، والقبض المباشر لملك الموت، والقبض بالمعالجة للأعوان

*** ما يسهل خروج الروح:**

مجيء الموت والعبد على عمل صالح يسهل الموت، وكذا يسهل السؤال في القبر كما ذكره جماعة من العلماء، وذكر الإمام أبو عبدالله السنوسي أن ما يسهل ذلك صلاة ركعتين ليلة الجمعة بعد المغرب، يقرأ بعد الفاتحة الزلزلة خمس عشرة مرة، وروي أن سورتها تعدل نصف القرآن.

(**فائدة**): هل يجوز العمل الصالح لأجل الثواب فقط؟

في الحقيقة هنا أمران:

الأول: أن أصل العمل هو تحصيل رضا الرب تبارك وتعالى.

([1]) ويطلق عليه اسم (عزرائيل) عليه السلام

([2]) أما روح ملك الموت ففيها قولان: إما أنه هو يقبض روح نفسه أو أن الله تعالى هو الذي يقبضها بقدرته.

الثاني: تحصيل العمل من أجل تحصيل الثواب.

وكلا الأمرين مقصود شراعاً.

وأما المذموم فإنما هو الالتفات للثواب **لغرض نفسي**، والمجال في هذا واسع ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت ٤٣].

العقيدة السمعية الثالثة عشرة

عـــذاب القبر

مقدمة:

العقاب في الشريعة الإسلامية موزع على ثلاثة مراحل:

الأولى: عقاب دنيوي: كقطع يد السارق، وجلد الزاني وغير ذلك، فهؤلاء إذا أقيم عليهم العقاب في الدنيا سقط عنهم ولا يحاسبوا عليه مرة أخرى.

الثانية: عقاب في القبر: ومثاله التأخير في أداء الصلوات عن أوقاتها، وغيرها، وهذا أيضاً إذا عُوقب به في القبر سقط عنه ولا يُحاسب عليه مرة أخرى.

الثالثة: عقاب أخروي: وهذا أمثلته كثيرة، ويكون بإدخال المعاقَب النارَ، فيُعذب فيها بقدر معاصيه التي ارتكبها.

والعقاب في الإسلام يكون للكافرين أصالةً، ويُعاقب أيضاً بعضُ العصاة من المؤمنين[1]، وهؤلاء (الكفار وبعض العصاة) إما أن يعاقبوا في القبر أو في النار، أو فيهما.

ومصير المؤمنين جميعاً الجنة، ومصير الكافرين جميعاً النار.

*** بيان المقصود بعذاب القبر عند أهل السنة والجماعة:**

عقيدة "عذاب القبر" من العقائد التي يجب الإيمان بها شرعاً عند أهل السنة، ويقصدون به "عذاب البرزخ"، ولكن لما كانت الأموات عادة تُدفن في القبور، نُسب العذابُ إلى القبر، وإلاّ فالمقصود به ما يحصل للأموات في البرزخ.

وعلى هذا، فكل من أراد الله تعالى تعذيبه ناله ما أراده الله به من العذاب سواء قُبر أو لم يُقبر وحتى لو صُلب، أو غَرق، أو أكلته الدواب، أو حُرق وذُرِّي رمادُه في الهواء، لأن المقصود بعذاب القبر هو **البرزخ**، والبرزخ عالم آخر غير عالم الحفرة الترابية، فيشعر الجسد المدفون بالتراب بالعذاب لاتصال الروح به.

*** أدلة عذاب بالقبر:**

الأدلة على عذاب القبر كثيرة ومتوافرة من الكتاب والسنة، وأجمع أهل السنة عليها.

أما من القرآن الكريم فآياتٌ منها:

([1]) فيكون للكافرين، والمنافقين، وعصاة المؤمنين، ولهذه ولغيرها أيضاً الباجوري ص 143، بخلاف "سؤال القبر" فهو خاصٌ بهذه الأمة كما سيأتي. **إذن فهناك شيئان: سؤال القبر وعذاب القبر أو نعيمه، فلا تخلط بينهما.**

قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر: ٤٦].

نصت هذه الآية نصاً واضحاً على أن (آل فرعون) يُعرضون على النار غدواً وعشيا، وهذا العرض يستلزم شعورهم بالعذاب الأليم، وهذا كاف في الاستدلال على ثبوت العذاب للأموات قبل يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٠].

نصت هذه الآية نصاً واضحاً على أن هؤلاء الكافرين تضربهم الملائكةُ على وجوههم وأدبارهم عند وفاتهم.

وأما من السنة النبوية الشريفة فأحاديث كثيرة جداً تبلغ مع بعضها البعض مبلغ التواتر المعنوي منها:

الاستعاذة النبوية من "عذاب القبر" كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث صحيحة: منها: قوله صلى الله عليه وسلم: (**اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار ومن عذاب القبر ومن فتنة المسيح الدجال**)، ومنها ما ثبت في صحيح البخاري عندما مرَّ صلى الله عليه وسلم على قبر فقال : (**إنما يعذبان، وما يعذبان في كبير...**).

وأما من العقل:

فقد خلق الله تعالى النفس الإنسانية بطبيعة خاصة تجعلها دائمة الشعور باللذائذ والآلام، وإنه لا يمكن تصور النفس بدون هذين الشعورين وإلا كانت كالحجر.

فكما أنه لا ينفك الحجر عن الحركة أو السكون فكذا لا يمكن لنفس أن تنفك عن جنس الشعور باللذة أو الألم.

ثم إنه لا يمتنع عند العقل أنْ يعيدَ اللهُ الحياةَ في الجسد أو في جزء منه، ويعذبَه من خلاله، وما دام أن ذلك جائزٌ عند العقل، وأن الشرع ورد بحصوله، وجب الإيمان به واعتقاده، واللهُ يفعل ما يشاء من عقاب ونعيم، ويصرف أبصارَنا ويحجبها عما يشاء لأنه القادر على كل ممكن.

*** نعيم القبر:**

المقصود به تنعيمُ اللهِ المؤمنين في القبر لما ورد في ذلك من النصوص البالغة مبلغ التواتر، ولا يختص بمؤمني هذه الأمة، كما أنه لا يختص بالمقبور ولا بالمكلفين فقط، فيكون لمن زال عقلُه أيضاً إذا مات بالغاً، وتُعتبرُ الحالةُ التي زال عقلُه عليها من كفر أو إيمان أو نحوها.

ومن نعيم القبر (**التوسعة**) عليه في قبره، وجَعْلُ قنديلٍ فيه، وفَتْحَ طاقٍ يَنْظُرُ من خلاله إلى موقعه في الجنة، وامتلاؤه بالريحان، وجَعْلُ قبرِه روضةً من رياض الجنة, **وكل ذلك محمولٌ على الحقيقة عند العلماء**، وتصوير عمله بصورة حسنة تؤنسه في قبره.

وكل ما ورد بحصوله، وجب الإيمان به واعتقاده، والله يفعل ما يشاء من عقاب ونعيم، ويصرف أيضاً أبصارنا ويحجبها عما يشاء لأنه القادر على كل ممكن.

*** المحل الذي يحصل عليه عذاب القبر (البرزخ):**

محلُّ العذابِ أو النعيمِ هو البدن والروح معا باتفاق أهل الحق، فبعد أنْ يَدْفِنَ أهلُ الميت ميتَهم وينصرفون عنه، يُعيد اللهُ الروحَ إليه، فترجع إليه حواسُه، فيترل إليه المكان فيسألانه، ويترفقان بالمؤمنين، وينهران الكافر والمنافق.

واختلَف العلماءُ في إرجاع الروح، هل ترجع إلى كل جسده، أم إلى جزء منه، وإن تفرق أجزاء الميت بحرق أو أكل لجسده من قبل السباع أو غيره؟

هذا لا يؤثر على وقوع العذاب لأن الله يعلم أجزاء الميت، ويقدر على إرجاع الروح ولو إلى جزء منها فيشعره بالعذاب من خلالها، والله على كل شيء قدير.

*** تحليل كلمة "العذاب":**

أصل كلمة العذاب في لغة العرب هو **الضرب**، ثم نُقل الاستعمالُ بعد ذلك من الضرب إلى العقوبة المؤلمة، ويلزم منه المنع من المخالفة والتزام الطاعة.

*** عذاب القبر قسمان:**

عذاب القبر عند أهل السنة قسمان:

يُقَسِّمُ أهلُ السنةِ عذابَ القبرِ إلى قسمين بحسب الأشخاص، فمنهم الكافر، ومنهم المنافق، ومنهم العصاة من المؤمنين، ومنهم من هو من هذه الأمة ومنهم من هو من الأمم السابقة وغيرها.

القسم الأول: العذاب الدائم: وهو عذاب الكفار وبعض العصاة، فهؤلاء عذابهم دائم إلى يوم القيامة.

لقسم الثاني: العذاب المنقطع: وهو عذاب من خَفَّتْ جرائمُهم من العصاة، فإنهم يعذبون بحسْبها، ثم يُرفع عنهم هذا العذابُ بدعاءٍ أو صدقةٍ أو غيرِ ذلك، ويُرفعُ عن العصاة من المؤمنين في يوم الجمعة، وفي شهر رمضان لحرمة النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن مات يوم الجمعة أو ليلتها عُذب ساعةً واحدةً، فإذا انقطع العذاب عنهم فلا يعود إلى يوم القيامة عندما يحيون مرة ثانية في نفخة البعث وتكون بعد إماتتهم بنفخة الصعق كما سيأتي.

(**فائدة**): كل من لم يسأل القبر فإنه لا يعذب فيه.

*** ضمة القبر:**

تعريفها: ضمة القبر هي التقاء حافتي القبر، وتكون بلطف للمؤمن ومشقة للكافر، وتسمى أيضاً بضغطة القبر، وقد ورد فيها حديث عند ابن ماجه في سننه، وابن أبي شيبه في مصنفه عن أبي سعيد الخُدْرِي قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول: (**يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنيناً تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة، ولو أن تنينا منها نفخ على الأرض ما انبتت خضراً**) [1].

*** السؤال في القبر:**

الحكمة من إحياء الله تعالى أهل القبور هيأتهم لسؤال الملكين، منكر ونكير، ويكون السؤال فيه لغير الملائكة والأنبياء والصديقين والشهداء والمرابطين، وملازمِ سورة تبارك أو سورة السجدة، ومن قرأ سورة الإخلاص في مرضه، ومن مات يوم الجمعة أو ليلتها.

وجزم الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى بسؤال الجن، وبعدم سؤال الأطفال.

فسؤال أهل القبور مما يجب اعتقاده والإيمان به، وهو مختص بهذه الأمة أي: أمة الدعوة [2]، ويختص السؤال من أمة الدعوة بمن كان مكلفاً ولو جناً، وتشمل **أمة الدعوة** كلَّ من يوجَّه إليه الخطابُ بالإيمان بالإسلام من الكافرين والمنافقين والمؤمنين[3].

*** أحوال المسؤلين:**

أحوال المسؤلين مختلفة : فمنهم من يسأله المَلَكان منكر ونكير، ومنهم من يسأله أحدهما، وإذا مات جماعة في وقت واحد بأقاليم مختلفة سُئلوا جميعاً في ذلك الوقت، ولا مانع من ذلك، وقال الإمام السيوطي: يحتم تعدد الملائكة المعدّة لذلك.

---

[1] الصاوي ص 365

[2] راجع الصاوي ص 362

[3] وأما مصطلح "أمة الإجابة" فيصدق على من استجاب للخطاب بالفعل ودخل في زمرة المؤمنين.

العقيدة السمعية الرابعة عشرة

الإيمان باليوم الأخر

*** حكم اليوم الآخر:**

عقيدة أهل السنة والجماعة وجوب الإيمان بحصول اليوم الآخر، ومنكره كافر بالإجماع، والأدلة على ذلك في الكتاب والسنة كثيرة جداً.

*** أسماء هذا اليوم:**

هذا اليوم له أسماء كثيرة، منها ما ورد ذكره في القرآن الكريم، ومنها ما ورد ذكره في السنة النبوية الشريفة، ومن هذه الأسماء: اليوم الآخر، يوم القيامة، يوم الدين، يوم التغابن، ويوم الجزاء، وقال **العلامة الصاوي:** وله نحو ثلاثمائة اسم .

وهو آخر الأيام فلا ليل بعده، بل إما نور محض على من آمن، وإما ظلام محض على من كفر وطغى.

وأوله من قيام الناس من قبورهم ولا نهاية لآخره، وقبل آخره استقرار أهل الدارين فيهما، قال **العلامة الباجوري:** الصحيح أنَّ أولَه من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى، وقيل إلى أن يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ.

*** شرح بعض هذه الأسماء:**

1- التسمية باليوم الآخر:

هذه الدنيا التي نعيشها مكونة من أيام متوالية، بعضها وراء بعض، وأيام الدنيا منتهية بآخر يوم منها، ويعقب آخر أيام الدنيا اليوم المسمى باليوم الآخر، فهو متصل بأخر أيام الدنيا، ولذلك سمي باسمه، وإلا فاليوم الآخر ليس من أيام الدنيا قطعاً. وقال **العلامة ابراهيم اللقاني:** سمي بذلك لأنه آخر الأوقات المحدودة.

2- التسمية بيوم القيامة:

وسبب التسمية بهذا الاسم هو أن الله تعالى يعيد الأرواح إلى الناس في قبورهم، فيحييهم، ويأذن بأن يقوم الناس من قبورهم، ليقفوا بين يدي الله تبارك وتعالى، وإقامة الحجة عليهم.

*** ما المقصود بأن الإيمان باليوم الآخر من العقائد الإسلامية:**

المقصود من الإيمان باليوم الآخر هو أن يؤمن كل مسلم بأن الله تعالى يميت كل من له روح من الخلائق، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [العنكبوت ٥٧]، وهذا في نفخة الصعقة، فتجري على جميع الأموات أحوال القبور إلى مجيء اليوم الآخر، ثم تنقطع أحوال القبور إلى مجيء اليوم

الآخر، فيحي الله تعالى الأموات كما سبق ذكره، قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [البقرة ٧٣]، ويكون الأحياء بنفخة البعث، وبين النفختين أربعون سنة، قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر ٦٨]، ثم يساق الخلائق إلى أرض المحشر لأجل انتظار الحساب.

*** النفختان[1]:**

هاتان النفختان من عقائد أهل السنة، الأولى تسمى **بنفخة الصعق**، وفيها تفارق كلُّ روحٍ جسدَها، وهذا هو الموت عند أهل السنة، وهو المراد بانتهاء الأجل المقدر عندهم على كل نفس، وهي التي قال الله فيها: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧].

والنفخة الثانية تسمى **بنفخة البعث**.

*** البعث:**

هذا من عقائد أهل السنة، والمراد **بالبعث**: إحياء الموتى وإخراجهم من القبور، ويتبع الإحياء والإخراج ما يسمى **بالحشر**، وهو سوق الخلائق جميعاً إلى ما يسمى **بالموقف**، وهو الموضع الذي يقفون فيه لفصل القضاء بينهم.

فالبعث والحشر والإيقاف في الموقف كلها حق من عقائد أهل السنة، ويجب الإيمان بها، لأنها ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

ملاحظة: ويسمى البعث أيضاً بالنشر، وهما معنى واحد، **وهو الإخراج من القبور**.

*** ما الذي يُعاد من الإنسان:**

الإنسان متركب من نوعين من الأجزاء:

النوع الأول: الأجزاء الأصلية: وهي الأجزاء الحاصلة في الإنسان من أول الفطرة، والله تعالى قادر على حفظ هذه الأجزاء من أول الفطرة إلى آخرها، وحتى لو أن إنسان أكله سبعٌ أو غيره، تبقى هذه الأجزاء محافظاً عليها.

وهذه الأجزاء الأَصلية شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره وحتى لو قطعت[2] من الإنسان قبل موته، فتبقى تابعة للأجزاء الأصلية الأخرى التي ظلت مع الجسم، وتبعث معها، وتحاسب معها، وذلك لأن المقصود

---

[1] في البداية والنهاية لابن كثير (58/1) النفخات ثلاثة: الفزع، الصعق، البعث.

[2] بخلاف ما شأنها القطع كالأظفار، فهي ليست من الأجزاء الأصلية.

من الشخص كلُ من جسمه (الأجزاء الأصلية) وروحه, ولهذا يعرف العلماء **البعث** بأنه إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية.

النوع الثاني: الأجزاء غير الأصلية وهي الحاصلة للإنسان بالتغذية، فيعاد من الأكل والمأكول هنا الأجزاء الأصلية فقط دون غيرها.

*** ما المقصود بإعادة الأجزاء الأصلية:**

الإنسان عندما يموت يَخْرَبُ جسمُه، ويذهب في التراب، فتتفرق أجزاؤه الأصلية، والإعادة تعني أن يعيد الله تعالى جَمْعَ أجزاءِ كلِّ شخصٍ الأصلية لتتركب من حديد، حتى تتهيأ لنفخ الروح فيها ثم تبعث من القبور، وبناء على هذا يكون الجسم المعاد ثانية هو عين الجسم الأول الذي فعل الصالحات أو ارتكاب المعاصي والمخالفات، فالجسم المنعم أو المعذب في الآخرة، هو عين الجسم الذي كان مكلفاً في الدنيا، **والقول بأن الجسم المعاد هو جسم آخر غير الذي كان في الدنيا مكلفا قول باطل بالإجماع.**

*** النفخ في الصور:**

يجب على كل مؤمن أن يعتقد بأن نفخ إسرافيل في البوق حق، سواء في النفخة الأولى، أو في الثانية، أما في النفخة الأولى فلا يبقى عندها أحدٌ ذو روحٍ حياً إلاّ ما شاء الله تعالى من الملائكة الأربعة الرؤساء، وأما في النفخة الثانية، فيجمع الله عندها الأرواح في الصور، ويكون فيه ثُقبٌ بعددها، فتخرج منه الأرواح إلى أجسادها، فلا تخطيء روحٌ جسدَها أبداً، قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾** ﴾ [المؤمنون ١٠١].

*** الصور:**

ويسمى بالبوق وبالناقور أيضاً, والصور هو قرن عظيم نوراني، لا يعلم قدره وعِظَمَهُ إلاّ اللهُ تعالى.

*** من الذي يخرج من القبور:**

ذهب **المحققون** من العلماء، وهو ما صححه النووي واختاره أنه لا فرق في ذلك بين من يحاسب كالمكلفين، وغيرِهم.

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أنه لا يُحْشَرُ إلا من يُجازى، وأما (**السقط**) فيُنْظر، فإن أُلقي فيه الروحُ بُعث، وإلاّ كان كسائر الجمادات.

*** أول المبعوثين:**

أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو كذلك أول واردٍ على المحشر، كما أنه أول من يدخل الجنة.

وقيل: ثانيهم بعثاً بعد نبينا صلى الله عليه وسلم سيدنا نوح عليه السلام.

وقيل: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وجُمِعَ بين هذين القولين بأن أبا بكر الصديق أول المبعوثين بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقيل: أول الناس بعثاً المصطفى صلى الله عليه وسلم، ثم صاحباه رضي الله عنهما، ثم أهل البقيع، ثم أهل الشام، ثم من بقي بعدهم من الناس.

*** الحكمة من بعثة الناس من قبورهم:**

الحكمة الإلهية من وراء بعث الناس من قبورهم وسوقهم إلى المحشر هو حسابُهم في الموقف المسمى (بفصل القضاء)، وإقامة الحجة عليهم.

ملاحظة: لا يموت أحد من الملائكة قبل النفخة الأولى، ويموتون بالنفخة الأولى إلاّ حملة العرش والملائكة الأربعة، ثم يحيون قبل النفخة الثانية.

وآخر من يموت ملك الموت.

وقيل إن حملة العرش لا يموتون لأنهم خلقوا للبقاء.

ملاحظة: قال **العلامة الصاوي:** إنَّ الأجسام تصير معدومةً بالكلية ثم تعاد مرة أخرى، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأعراف ٢٩].

وقيل: إن أجزاء الأموات الأصلية تتفرق ثم تُجْمَعُ جمعاً، **والأول هو الأحق**، إلاّ بعض الناس فإن الأرض لا تأكل أجسادهم كالأنبياء، والمؤذنين احتساباً[1]، وحامل القرآن العامل به، ومن لم يعمل خطيئة، والعلماء العاملين، والروح، وعجب الذنب، والجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم.

*** هل يعاد ويبعث وينشر شيءٌ آخر غير الأجساد:**

المعتمد عند أهل السنة والجماعة أن الأوقات والأزمان والأصول التي مرت على الإنسان في الدنيا تمر عليه بعد الخروج من القبور، فتمر عليهم بقدرة الله تعالى بسرعة عالية كلمح البصر، قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف ٤٩]، وقال: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ

[1] أي: الذين لا يتقاضون أجرا على هذه المهمة العظيمة والوظيفة القويمة.

مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران ٣].

وهذا هو مذهب الأكثرين، وإليه **مال الإمامُ الأشعري**، وعلَّلوا ذلك بأن نسبة الأعراض من الأوقات والأزمان إلى قدرة الله تعالى كنسبة الأجسام إلى الله, فالله قادرٌ على إعادة الأجسام وما مرّ عليها من الأعراض.

واجتماع الأزمان والأوقات على الإنسان حال بعثه يكون على التدريج كل زمان بعده زمان، كما كانت مترتبة في الدنيا، لكن بسرعة عالية كلمح البصر كما قلناه سابقاً.

قال الإمام العلامة عبد السلام اللقاني:

الأرجح إعادة جميع الأزمنة التي مرت على الأجسام في الدنيا تبعاً للذوات والأجسام المعادة، فتعاد بأزمنتها وأوقاتها كما تعاد بأكوانها وهيئاتها، لورود ظاهر القرآن به في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء ٥٦]، لأن المراد الغيرية بحسب الزمان، وإلا فالخلود الأول بأعيانها، إذ هي التي عصت، فيُعاد تأليفُها إذا تفرقت، وأعيانُها إذا عُدمت[1].

*** علامات يوم القيامة:**

كما أن يوم القيامة حق يجب الإيمان به، فكذا يجب الإيمان بما يسمى بعلامات الساعة المتواترة، وهي قسمان: **علامات صغرى وعلامات كبرى.**

*** العلامات الصغرى:**

علامات اليوم الآخر الصغرى **قسمان:** منها ما قد وقع، ومنها ما لم يقع.

*** بعض العلامات الكبرى:**

علامات اليوم الآخر الكبرى عشرة: أولها ظهورُ المهدي، ثم خروج الدجال، ثم نزول عيسى بن مريم، ثم خروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة التي تكتب بين عيني المؤمن مؤمناً فيضئ وجهه وبين عيني الكافر كافراً فيسود وجهه، وطلوع الشمس من مغربها، وظهور الدخان يتمكن في الأرض أربعين يوماً من أنف الكافر وعينيه وأذنيه ودبره حتى يصيح كالسكران، ويصيب المؤمن منه كهيئة الزكام، وخراب الكعبة على أيدي الحبشة بعد موت عيسى، ورفع القرآن من المصاحف والصدور، ورجوع أهل الأرض كلهم كفاراً.

([1]) انظر تفسير البيضاوي على الآية

العقيدة السمعية الخامسة عشرة

الحشـــــــر

*** تعريف الحشر:**

الحشر: عبارة عن سوق كلِّ من تم إحياؤه وإخراجه وبعثه من القبور إلى الموقف، ويكون سوقهم حفاة عراة غرلا، فيجتمعون للعرض والحساب، قال تعـــالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [التغـابن٩] فيحاسبهم, قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء ٤٧]

ثم إنه لا فرق في ذلك بين من يجازى وهم الإنس والجن والملك، وبين من لا يجازى كالبهائم والوحوش على ما ذهب إليه المحققون، وصححه النووي.

وذهب جماعة كما سبق ذكره إلى أن الحشر يكون للكامل أما ما كان من قِبَلِ السقط وهو الذي لم تتم له ستة أشهر، فإن ألقي وأسقط بعد نفج الروح فيه أُعيد بروحه, ويصير عند دخول الجنة كأهلها في الجمـــال والطول.

وإن أُلقي وأُسقط قبل نفخ الروح فيه كان كسائر الأجسام التي لا روح فيها، كالحجر, فيحشر ثم يصير تراباً.

*** مراتب الحشر في الدنيا و الآخرة:**

مراتب الناس في الحشر متفاوتة، فمنهم الراكب وهو المتقي، ومنهم الماشي على رجليه، وهـــو قليـــل العمل، ومنهم الماشي على وجهه وهو الكافر، وهذه الصور كلها تسمى **بالحشر الأول.**

و الحشرالثاني: صرف الناس من الموقف إلى الجنة أو النار ، وهذان النوعان من الحشـــر يكونـــان في الآخرة.

و الحشرالثالث: إخراج اليهود من جزيرة العرب، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر ٢].

والرابع: سوقُ النارِ التي تخرج من أرض عدن باليمن للكفارِ وغيرِهم من كلِّ حيٍّ قربَ قيامِ الساعة إلى المحشر, فتبيت معهم حيث باتوا،و تقيل معهم حيث قالوا، فتذوب الدنيا كلها وتطير، ولها دويٌّ كدوي الرعد القاصف، وحكمتها الامتحان والاختبار، فمن علم أنها مرسلة من عند الله وإنساق معها سلم منها، ومـــن لم يكن كذلك أحرقته وأكلته، وبعد سوقها لهم إلى المحشر يموتون بالنفخة الأولى بعد مدة.

هذان النوعان في الدنيا، فأنواع الحشر الأربعة.

المـــــوقـــف

ويجب الإيمان بالموقف لوروده في الكتاب والسنة، ويسمى المحشر أيضاً، وقد ورد به الكتـــاب والســـنة وعليه الإجماع ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الإنســان ١٠]، وقـــال: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ﴾ [المزمـــــل ١٧]، ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [آل عمران ١٠٦].

* **تعريفه:**

الموقف هو الموضع الذي يقفون فيه من أرض القدس المبدلة التي لم يعص الله عليها لفصل القضاء بينهم.

* **هول الموقف:**

والمقصود بهول الموقف ما ينال الناس من الشدائد لطول الوقوف، قيل يقفون ألف سنة كمـــا في آيـــة السجدة، وقيل خمسين ألف سنة كما في آية (سأل)، ولا تنافي في العدد لأنه لا مفهوم له.

والموقف يختلف باختلاف أحوال الناس: فيطول على الكفار، ويتوسط على الفساق، ويخفـــف علـــى الطائعين حتى يكون كصلاة ركعتين، وكإلجام الناس بالعرق الذي هو أنتن من الجيفة حتى يبلغ آذانهم، ويذهب في الأرض سبعين ذراعاً.

والناس يكونون فيه على قدر أعمالهم، ففي حديث مسلم: (**تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كقدر ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم مـــن يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه** [1]**، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً**) وأشار عليـــه الصـــلاة والسلام إلى "**فيه**".

* **الميل:**

وفُسِّر الميل بتفسيرين : بمرود المُكْحُلَة ـــ وبالمساحة المخصوصة بالأمتار.

قال عامر بن مسلم: فوالله ما أدري ما يعني بالميل: أمسافة الأرض، أو الميل الذي يكتحل بـــه، والأول أقرب.

ومن أهوال الموقف سؤال الملائكة لهم عن أعمالهم وتفريطهم فيها، قال تعالى : چ وَقِفُوهُمْ ۖ بم بى چ الصافات: ٢٤.

([1]) الحقو : هو الكشح الذي بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي.

ومن الأهوال أيضاً شهادة الألسنة والأيدي والأرجل والسمع والبصر والجلد والأرض والليل والنهار والحفظة الكرام.

وأما الأنبياء والأولياء والصلحاء فلا ينالهم شيء من أهوال الموقف لقوله تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فهم آمنون من عذاب الله لكنهم يخافون ربهم خوف إجلال وإعظام، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠]، وخوف الجلال وإعظامه سببه ظهور تجلي الجلال الإلهي في ذلك اليوم وإن كانوا آمنين من ذلك.

*** الأمور التي تخفف من الموقف وأهوال الموقف:**

ومن أسباب التخفيف والإعانة في الموقف قضاء حوائج المسلمين، وتفريج الكرب عنهم، وإشباع الجائع، وإيواء ابن السبيل، **فيشدد على الكفار** ويطول حتى يكون خمسين ألف سنة، **وينخفض على الصالحين** حتى يكون كركعتي الفجر الخفيفتين كما ورد، **ويتوسط على الفسقة** من المؤمنين.

ومن المشهور ما استفاض ذكرُه في الكتاب والسنة من تبدل أحوال الناس في الموقف، فيجب الإيمان بما سيكون عليه أهل الموقف من السرور والنضرة و الحبور وغيرها.

ومما يجب الإيمان به **تطاير الصحف** في الموقف وهذا ما سنذكره في العقيدة السمعية التالية.

الصحـــف

الإيمان بالصحف واجب شرعاً، ويكفر منكرها لورود ذكرها في الكتاب والسنة والإجماع، وتسمى الصحفُ **بالكتب** أيضاً، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٠]، وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٥]، ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الانشقاق: ٧ – ٨]، ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الانشقاق: ١٠ – ١٢].

*** ما المقصود بالصحف:**

والمراد بالصحف الكتب التي كتب فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا.

*** عدد الصحف:**

الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم صريحة الظواهر في أن كل مكلف له صحيفة واحـــدة يوم القيامة مع أنها كانت متعددة في الدنيا كما يدل عليه حديث : (**ما من مؤمن إلا وله كل يوم صـــحيفة، فإذا طويت وليس فيها استغفار طويت وهي سوداء مظلمة، وإذا طويت وفيها استغفار طويت ولهـــا نـــور يتلألأ**).

وقيل: تجمع صحف الأيام والليالي مع بعضها البعض.

وقيل: تجمع كلها في صحيفة واحدة.

وظواهر الآيات والأحاديث شاهده بعمومه بجميع الأمم.

*** المستثنون من الصحف:**

يستثنى من أخذ الصحف فلا يأخذونها **الأنبياءُ** صلوات الله وســـلامه علـــيهم أجمعـــون، **والملائكـــةٌ** لعصمتهم، **والسبعون ألفاً** الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ورئيسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فهؤلاء لا يأخذون صحفاً، بل هم **عتقاء الرحمن**.

*** من هم أهل الصحف:**

أهل الصحف هم الثقلان الإنس والجن، ومنهما من هو مكلف ومنهما ما هو غير مكلـــف، وأهـــل الصحف هم المكلفون فقط من الثقلين، ويستثنى من المكلفين من سبقهم ذكرهم.

*** كيف تدفع وتوزع الصحف على أصحابها:**

هناك كيفيتان وردتا كل واحدة منهما تبين صورة إيصال الصحف إلى أصحابها.

الرواية الأولى: وحديثها أقرب إلى الوضع، فقد أخرج العقيلي (4/466) من طريق يغنم بن سالم بن فنبر عن أنس بن مالك مرفوعاً :(**الكتب كلها يوم القيامة تحت العرش، فإذا كان الموقف بعث الله ريحاً، فتطير بالأيمان والشمائل، أول خط فيها:** ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٤].

والرواية الثانية: أن ريحاً تطيرها من خزانة تحت العرش، فلا تخطيء صحيفة عنق صاحبها، وأن كل أحد يدعى فيعطى كتابه، وهذه رواها البخاري (2441)، و(4685)، مسلم (2768).

وقد جمع جمعٌ من العلماء بين الروايتين فقالوا: بأن الريح تطيرها أولاً من الخزانة، فتتعلق كل صحيفة بعنق صاحبها، ثم تناديهم الملائكة، فالمؤمن المطيع يأخذ كتابه بيمينه.

والكافر يأخذها بشماله من وراء ظهره.

وأما المؤمن الفاسق، فجزم الماوردي بأنه يأخذها بيمينه، قال: **وهو المشهور**، ثم حكى قولاً بالوقف، ولا قائل من يأخذه بشماله، وفي كلام بعضهم أن هناك قولاً بأنه يأخذه بشماله، واختُلف:

فقيل يأخذه قبل دخول النار.

وقيل: بعد خروجه منها.

*** أول من يأخذ كتابه بيمينه:**

وهو الخليفة العادل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم أن الإسلام سيتصور بصورته رضي الله عنه يوم القيامة، ثم بعده أبو سلمة عبدالله بن عبد الاسد.

وأول من ياخذ كتابه بشماله أخوه الأسود بن عبد الأسد لأنه أول من بادر النبي صلى الله عليه وسلم بالحرب يوم بدر.

*** وجوه الناس في الموقف بعد استلام الصحف:**

أول ما يقرأ الإنسان صحيفته، فإن كان من أهل الحسنات أبيض وجهُه، وإن كان من أهل السيئات أسود وجهُه.

*** كيف يقرؤ أهل الموقف صحفهم :**

كل من كان من أهل الموقف وله صحيفة فإنه يقرؤ كتابه ولو كان أميّا، فمنهم من يكتفي بقراءة نفسه، ومنهم من يدعو الناس لقراءته، وذلك كسائر الرؤساء المقتدى بهم في الخير، والجن كالإنس في ذلك.

* **أقوال أهل الموقف بعد قراءتهم كتبهم:**

أولاً: قول أهل اليمين وإخبار الله تعالى عن كيفية حسابهم: قال تعالى : ﭽ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﭼ الحاقة: ١٩ , هكذا يخاطب أصحاب اليمين أهل المحشر (هاؤم) أي خذوا كتابي و اقرؤه إني كنت أعلم أني سأحاسب وأجزى، ولهذا أخبر الحق سبحانه وتعالى أن حساب المؤمنين سيكون حساباً يسيراً، فقال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الانشقاق: ٧ – ٩]

ثانياً: قول أهل الشمال وإخبار الله تعالى كيفية حسابهم: قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٥ – ٢٧], وهذا لما يرى الكافر من سوء عاقبته ما يرى يقول: يا ليت الموتة التي متها كانت هي القاضية القاطعة لأمره فلم يُبعث بعدها، ولهذا أخبر الحق تعالى عن كيفية حساب هؤلاء فقال : ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الانشقاق: ١٠ – ١٢].

(**فائدة**): الراجح عند العلماء بأن القراءة للصحف من قِبَلِ أصحابها قراءة حقيقة وليست مجازاً أو كناية عن علمهم بما فيها.

الوزن والميزان

الوزن والميزان عقيدتان، دلَّ على الأولى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٨]، وعلى الثانية قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٨ – ٩]، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر, فيجب الإيمان به, و نمسك عن تعيين حقيقته.

والوزن فرع عن الحساب, فكل مَنْ يُحاسب توزن أعمالُه ومَنْ لا فلا، والوزن لا يكون لكل أحد لما ورد: **(يا محمد أدخل أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن)** [1].

*** ما هو الموزون:**

اختلف العلماء في الموزون على قولين:

القول الأول: أن الموزون أعمال العباد وأفعالهم، خيراً كانت أو شراً. [2]

القول الثاني: أن الموزون نفس الكتب والصحف التي كتب فيها الملائكة أعمال العباد، وهذا هو مذهب الجمهور، ويؤيده حديث **البطاقة**، فقد ورد أن عبداً كُتِبَ عليه تسعةٌ وتسعون سجلاً من المعاصي، كل سجل طوله مدُّ البصر، فتوضع في كفَّ السيئات، فيقول سبحانه وتعالى: **بل بقي لك عندنا أمانة**، فيأمر بإخراج البطاقة –وهي ورقة صغيرة قدر الأنملة مكتوب فيها: لا إله إلا الله محمد رسول الله – فتوضع في كفة الحسنات فتطيش سجلات المعاصي، ولا يثقل مع اسم الله شيء، فيقول: امضوا بعبدي إلى الجنة بفضلي ومغفرتي" [3]، وهذا ليس لكل عبد، بل لعبد أراد الله به خيراً.

(فائدة) قد يوزن بدلاً من الأعمال أو الكتب الشخصُ نفسُه كما في حديث خاص بابن مسعود أن رجليه في الميزان أثقل من جبل أحد.

*** بيان الميزان**

([1]) أخرجه **البخاري** (4712) ، **ومسلم** (194) عن أبي هريرة مرفوعاً في حديث طويل.

([2]) فتصور الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية، ثم توضع في الكفة المعدة للحسنات، و تصور الأعمال بصورة قبيحة ظلمانية، ثم توضع في الكفة المعدة للسيئات.

([3]) أخرجه أحمد (213/2)، والترمذي (2639)، وحسنه، والحاكم (529/1) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان (225)

الميزان الذي توزن به الكتب على الراجح ميزان واحد، له قصبة و عمود وكِفتان، كل واحدة منهما أوسع من طباق السموات والأرض، وجبريل آخذ بعموده، ناظرٌ إلى لسانه، وميكائيل أمين عليه، **والحمل على الحقيقة ممكن.**

وهو ميزان واحد لجميع الأمم، نؤمن به، ونمسك عن تعيين حقيقته، وأما جمع الوازين في الآية ﴿ **وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾** ﴾ [الأنبياء: ٤٧] فللتعظيم، وقيل: يجوز تعددها.

*** محل الميزان:**

محله بعد الحساب إذ هو فرعٌ عنه.

*** الوزن:**

الوزن لغة: معرفة كميةٍ بأخرى على وجهٍ مخصوصٍ.

والأظهر عند العلماء أن الوزن يكون بصنج تحقيقاً للعدل، فتوضع السيئات في مقابلة الحسنات، فإنْ رجح أحدهما وضع صنج بقدر ما رجح، فيُنعّم بقدره، أو يُعَّذب بقدره، فإن لم يكن له إلا حسنات فقط، أو سيئات فقط، وضعت الصنج في الكفة الأخرى.

*** الحكمة من الوزن:**

والحكمة الإلهية من الوزن جعله علامة لأهل السعادة والشقاوة، وتعريف العباد ما لهم ما عليهم من الخير والشر, وإقامة الحجة عليهم، وأنه امتحان العباد بالإيمان بالغيب في الدنيا.

*** الخفة والثقل:**

خفة الموزون وثقله على صورته في الدنيا.

وقيل: على العكس صورته في الدنيا، فالثقل يصعد إلى أعلى، والخفيف يترل إلى أسفل لقوله تعالى: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾** ﴾ [فاطر: ١٠].

*** الناس الذين توزن أعمالهم:**

ذكرنا سابقاً أن الوزن فرع من الحساب، فكل من يحاسب توزن أعماله، فبقي أن نعرف من هم هؤلاء الذين سيحاسبون وستوزن أعمالهم؟

1- **الكفار** : وهؤلاء عليهم وزران: وزر الكفر ووزر الأعمال السيئة التي فعلوها، فتوزن أعمالهم السيئة دون الكفر ليُجازا بالعقاب عليها زيادةً على عذاب الكفر، **وإلاّ فالكفر أعظم الذنوب**.

وأهل السنة يفرقون بين الكافر المحسن وبين الكافر المسيء، أما "الكافر المحسن" فيؤتى بأعماله الحسنة التي لا تحتاج في الإسلام إلى نية لتُقبل، كالعتق للعبد، وصلة الرحم، والوقف الشرعي، فتكون هذه سبباً في تخفيف العذاب عنه بدليل أن أبا لهب جوزي بالتخفيف بسبب عتقه لجاريته التي بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم [1].

وهناك من قال إن أعماله الحسنة يجازى عليها في الدنيا كسعة الرزق، وعافية البدن، ولا يجازى عليها في الآخرة.

سؤال: إذا كانت حسنات الكافرين سبباً في التخفيف فما معنى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ﴾ [الكهف: ١٠٥].

الجواب: أي لا يقيم لهم وزناً ينجيهم من **الخلود** في النار[2].

2- **عصاة المؤمنين**.

(**فائدة**): كل من يدخل الجنة بلا حساب فإنه لا توزن أعماله كالأنبياء والملائكة ومن يدخل الجنة بغير حساب كالسبعين ألفاً.

([1]) أخرجه البخاري (5101)، لاحظ أيها المسلم كيف خُفف العذابُ عن أبي جهل لفرحه بميلاد الرسول، في حين نجد أن من أهل القبلة من يعتبرون الاحتفال بالمولد النبوي بدعة، وهؤلاء هم الوهابية.

[2] لأنه فرق بين مجرد الدخول في النار ثم الخروج منها وهذا يشمل بعض عصاة المسلمين، وبين دخولها والخلود فيها.

الحوض

يجب على كل مكلف الإيمان والتصديق بحوض النبي صلى الله عليه وسلم، وهو عطاءٌ من الله تعالى لنبيه الكريم في الآخرة، وأدلتُه في الشريعة معروفةٌ مشهورةٌ, منها ما أخرجه البخاري: (6579), ومسلم: (2292) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، قوله صلى الله عليه وسلم :(**حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه أكثر من نجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبدا**) ، وهو حوض كبير متسع.

*** حكم من ينكر الحوض:**

مذهب أهل السنة والجماعة أن مُنْ ينكر الحوضَ يكون فاسقاً مبتدعاً، وأما من آمن به فإنه يثاب من الله تبارك تعالى .

*** تعريف الحوض:**

الحوض جسم مخصوص كبير متسع الجوانب.

*** محله:**

يكون الحوض على الأرض المبدلة[1]، وهي الأرض البيضاء كالفضة، ومذهب جمهور أهل السنة أن الحوض يكون قبل الصراط[2] ، لأن الناس يخرجون من قبورهم عِطاشاً، فيَرِدون الحوض للشرب.

*** العدد:**

المشهور أن الحوض واحد، ولكنْ صحَّح الإمام القرطبي أن له صلى الله عليه وسلم حوضين: حوض **قبل** الصراط، وحوض **بعده**، واختار ذلك الإمام أبو عبدالله السنوسي في شرحه المسمى بـِ" شرح الكبرى"، **وفي الحقيقة أن الواجب علينا اعتقاده: ثبوتُه، وأما جهل تقدمه على الصراط أو تأخره فلا يضر في الاعتقاد.**

وقد ورد عن الحسن مرفوعاً أن لكل نبي حوضاً، وأن أمة النبي صلى الله عليه وسلم ترد حوضَه صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم قائم على حوضه، وبيده عصى يدعوا من عرفه من أمته، ألا وإنهم يتباهون أيهم أكثر تبعاً، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً[1].

---

[1] سميت بالأرض المبدلة أخذا من قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فالأرض في الآخرة غير أرض الدنيا وكذا السموات التي تكون فوق الخلائق.

([2]) وذهب بعض أهل السنة إلى أن الحوض يكون بعد الصراط، قالوا: وذلك لأنه ينْصبُّ فيه الماء من الكوثر وهو نهر داخل الجنة، فيكون الحوض بجانب الجنة وهي بعد الصراط، ولو كان الحوض قبل الصراط لحالت النار بينهما، وقالوا : إن بعد **الصراط موقف يسمى بموقف القصاص**، يحبسون فيه لأجل المظالم، فلا يدخلون الجنة حتى يتحللوا منها.

*** مساحة الحوض:**

ورد أن حوض النبي صلى الله عليه وسلم أعرض الحيضان، وتخصيص حوض النبي بالذكر عادة لوروده في الأحاديث البالغة مبلغ التواتر، وأما أحواض غيره من إخوانه الأنبياء فواردة بأحاديث الآحاد.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث مختلفة يصف فيها حوضه الشريف منها:

1- **أن زوايا حوضه متساوية**، وهذا يدل على أنه مربع الشكل، ففي الصحيحين عن عبدالله بن عمرو بن العاص قوله صلى الله عليه وسلم: (**حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه أكثر من نجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبداً**).

2- **أنه كما بين صنعاء والمدينة**، وفي ذلك حديث الصحيحين: " **ما بين صنعاء والمدينة، وذلك نحو شهرين.**

وعند الإمام أحمد: (**إن الحوض كما بين عدن وعمان، وذلك نحو شهر**).

وفي رواية: (**ما بين مكة وأيلة، وذلك نحو شهر**).

وفي رواية لابن ماجه: (**ما بين المدينة إلى بيت المقدس**).

*** بيان سبب اختلاف الروايات في تحديد مساحة الحوض:**

أجاب العلماء عن ذلك بعدة جهات : منها:

1. أن النبي صلى الله عليه وسلم تحدث عن حوضه في أكثر من موقف، وفي كل موقف كان يخاطب الحاضرين بحسب الجهات التي يعرفونها.

2. لقد تفضل الله تعالى على رسوله الكريم صلى الله عليه سلم بأن وسع له في حوضه شيئاً فشيئاً، فيكون النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر عن حوضه مرات عديدة كل مرة بحسب **الفضل الإلهي**، فأخبر أولاً عن المسافة القصيرة، ثم أخبر عن المساحة الكبيرة، فيكون **المعتمد** هو المسافة الكبيرة كما اختاره الإمام **النووي** رحمه الله تعالى.

*** أسباب ورد الأمة على الحوض:**

قلنا أن الجمهور على أن الحوض يكون قبل الصراط، وأن أمة النبي صلى الله عليه وسلم ترد الحوض الشريف عند خروجها من قبورها، والأسباب التي ترد هذه الأمة العظيمة لأجلها على الحوض الشريف ثلاثة:

([1]) وأخرج الترمذي (2443) عن سمرة مرفوعاً (إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثرهم واردة، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة) ، قال الترمذي : هذا حديث غريب.

1- بسبب **العطش** عقيب خروجهم من القبور.

2- بسبب **التلذذ** بحوض النبي صلى الله عليه وسلم.

3- **تعجيل المسرة**: فإن الشراب من الحوض بشرى عاجلة وسابقة بأنه من أهل الجنـــة، إذ من شرب منه لا يظمأ بعدها أبداً.

علاقة العهد والميثاق بالحوض:

وهؤلاء الواردون هم قوم وفوا بعهدهم الذي عاهدوا الله عليه، ولم يخالفوه، وهذا **العهد** هو **الميثـــاق** الذي أخذه الله تعالى عليهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢][1].

*** مَنْ الذين يردون الحوض:**

يتعاطى الشرب من ذلك الحوض أقوام من الذكور والإناث، وأحوالهم في الشرب مختلفة: فمنهم مـــن يشرب **للعطش** ومنهم من يشرب **للتلذذ**، ومنهم من يشرب **لتعجيل المسرة**، وأطفـــال المســـلمين ذكـــورهم وإناثهم حول الحوض، وعليهم أقبية الديباج، ومناديل من نور، وبأيديهم أباريق الفضة وأقداح الذهب يسقون آباءهم وأمهاتهم إلاّ من سخط في فقدهم، فلا يؤذن لهم أن يسقوه.

*** من يمنعون من الحوض:**

قلنا سابقاً أن الواردين هم الذين وفوا بعهد الميثاق السابق في عالم الذر، وبقي أن تعرف أن المطرودين عن الحوض هم الذين خالفوا **العهد والميثاق**، وهؤلاء طوائف من الناس على النحو التالي:

الطائفة الأولى: الكفار.

الطائفة الثانية: المرتدون.

الطائفة الثالثة: المبتدعة، وهم المُحْدِثُون في دين الله ما لا يرضاه من **نفس** جماعة أهل السنة، كأن يكون ابتدع وخالف في عقيدة من عقائدهم، فهؤلاء وإن كانوا في الأصل من أهل السنة والجماعة لكنهم انحرفـــوا في مسائل.

([1]) فهؤلاء لم يغيروا عقائدهم ، ولم يخالفوا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وأما مؤمنوا الأنبياء السابقين كل أمة ترد حوض نبيها، وأول من أخذ عليه الميثاق هو نبينا صلى الله عليه وسلم.

الطائفة الرابعة: المخالفون لجماعة أهل السنة والجماعة من الخوارج، والروافض (الشيعة)، والمعتزلة، على اختلاف فرقهم.

الطائفة الخامسة: الظلمة والجائرون.

الطائفة السادسة: المعلنون بالكبائر، والمستخف بالمعاصي، وأهل الزيغ والبدع.

(فائدة): المبدل دينَه قسمان: **مبدل دينه بالارتداد،** فهؤلاء مخلدون بالنار، **ومبدل دينه بالمعاصي** فهؤلاء في المشيئة، فإن شاء الله عفا عنهم وإن شاء عاقبهم.

*** أقسام المطرودين عن الحوض:**

الذي عليه المحققون أن المطرودين عن الحوض قسمان :

القسم الأول: المطرودون حرماناً: وهؤلاء هم الكفار، فلا يشربون منه أبداً.

القسم الثاني: المطرودون عقوبة: فهؤلاء طردهم يكون عقوبة، ثم يعودون ويشربون، و هؤلاء هم عصاة المؤمنين، وشربُهم من الحوض يكون قبل دخولهم النار ليعذبوا على معاصيهم على الصحيح.

والثابت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يذود عن حوضه.

العقيدة السمعية العشرون

الصراط

يجب شرعاً الإيمان بالصراط ، وفيه مباحث منها:

أولاً: تعريفه:

الصراط له معنيان: لغوي وشرعي.

الصراط **لغةً**: الطريق الواضح، وهو مأخوذ من صَرَطَهُ يَصْرِطُهُ، إذا ابتلعه، فسمى به لأنه يبتلع المارة.

والصراط **شرعاً**: جسر ممدود على متن جهنم، يرده الأولون والآخرون، ذاهبين من الموقف إلى الجنة، لأنَّ جهنم بين الموقف والجنة.

ثانياً: أدلته الشرعية:

للصراط أدلة شرعية من القرآن والسنة:

أما **القرآن الكريم** فقد جاء به بصيغة الأمر، قال تعالى: ﭽ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ ے ڭ ڭ ڭ ﭼ يس: **٦٦.**

وأما من **السنة** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز**).

وقد اتفقت عليه كلمة أهل السنة في الجملة، فالإيمان به واجب، ومذهب أهل السنة ابقاؤه على ظاهره مع تفويض حقيقته إلى الله تعالى.

ثالثاً: عرض الصراط وطوله:

أما عرض الصراط ورد في ثلاثة أقوال :

القول الأول: جاء في بعض الروايات أنه أدق من الشعرة، وأحد من السيف، وهو المشهور الصحيح.

القول الثاني: وهو ما ذهب إليه العلامة عبد السلام اللقاني، والإمام الشافعي، والإمام الزركشي، قالوا: وعلى فرض صحة الروايات السابقة فهو محمول على الشدة والمشقة التي تصيب المارين عليه، قال **القرافي**: والصحيح أنه عريض، وفيه طريقان يمنى ويسرى، فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين، وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال، وفيه طاقات كل طاقة تنفد إلى طبقة من طبقات جهنم.

القول الثالث: أن الصراط يضيق ويتسع بحسب ضيق النور وانتشاره، فعرض صراط كل أحد بقدر انتشار نوره، وإن نور كل إنسان لا يتعداه إلى غيره، فلا يمشي أحدٌ في نور أحدٍ ، ومن هنا كان دقيقا في حق قوم، وعريضاً في حق آخرين.

بيان مذهب أهل السنة في الصراط:

بعد معرفة هذه الأقوال الثلاثة **فالأصل** إبقاء هذا الصراط على ظاهره، وعدم الاحتياج إلى تأويله بلا داعٍ إلى ذلك، ثم **تفويض** علم حقيقة هذا الصراط إلى الله تعالى.

وأما طول الصراط ، فقد ورد أن طوله ثلاثة آلاف سنة، الف صعود، وألف هبوط، وألف استواء.

رابعاً: الواردون على الصراط:

يجوز هذا الصراط الأولون والآخرون حتى الأنبياء والملائكة والسبعون ألفاً، ومنهم الكفار أيضاً،وترمي الملائكةُ الكفارَ في النار لعدم جوابهم بالإيمان بالله ورسوله.

خامساً: موقع الصراط:

يقع الصراط بين **الموقف** وبين **الجنة**, فأوله في الموقف وآخره على باب الجنة، وجهنم بينهما، وعلى حافتيه كلاليب معلقة مأمورة، تأخذ من أمرت به.

سادساً: حال الناس على الصراط:

ويتفاوت الناس على الصراط في السرعة والبطء **بحسْب تفاوتهم في سرعة إعراض قلوبهم عن المحارم إذا خطرت عليها وبطئها**، فمن كان أسرع إعراضاً عن معاصي الله تعالى كان أسرع مروراً في ذلك اليوم، وعكسه بعكسه، ومن توسط في ذلك كان سيره متوسطاً.

فالسالمون من الذنوب يمرون كطرف العين، وبعدهم الذين يمرون كالبرق الخاطف وبعدهم الذين يجوزون كالريح العاصف –أي الشديد– ، وبعدهم الذين يجوزون كالطير، وبعدهم الذين يجوزون كالفرس السابق، وبعدهم يجوزون كأجود بقية البهائم، ثم الذين يجوزون عدواً ومشياً، ثم من يجوز حبواً، وهو الذي تطول عليه مسافة الصراط ، فيقول: رب لم أبطأت بي، فيقول: لم أبطيء بك إنما أبطاءك عملك.

*** كلاليب الصراط:**

ورد في صحيحي البخاري ومسلم [1] أن كلاليب الصراط معلقة على جانبيه، مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه، وأنها كشوق السعدان، وهو نبتٌ ذو شوك، وهو من أطيب مراعي الإبل ما دام رطباً، وتسمن عليه.

([1]) البخاري(806)، مسلم (182-183)

ملاحظات للعلماء:

1- **قال العلامة مصطفى العقباوي في شرح العقائد التوحيدية:** المعتمد أن الصراط موجود الآن.

2- **قال العلامة محمد نووي الجاوي في قطر الغيب شرح مسائل أبي الليث:** " من الماشين على الصراط من يكب بأول **قدم** (وهم الذين يكون آخر الخارجين من النار)، ومنهم من يكب بآخر **قدم** فيكون أول الخارجين منها".

قلت: تسمية أول الداخلين بـ **[القدم]**، هو معنى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: **(يضع الجبار قدمه في النار)، فالقدم** في هذا الحديث اسم لأول الساقطين من الكفار من على الصراط في النار.

وذهب بعض المبتدعة وهم المجسمة[1] إلى أن الله جسم له قدم كالبشر، فتاهوا في فهم هذا الحديث وأتاهوا الناس الذين اتبعوهم.

قال العلامة الجاوي: وأول من يأتي إلى النار " قابيل" الذي قتل أخاه "هابيل" بغير حق، لأنه أول من أظهر هذه الخصلة، هذا أول من يدخلها من الإنس، وأما من يدخلها من الجن فهو إبليس لعنه الله تعالى.

[1] وهم أتباع ابن تيمية من الوهابية وأتباعهم من السلفية المعاصرة، بينما نجد كيف أن أهل السنة الذين مذهبهم تقديس الله وتنزيهه عن التجسيم والتمثيل والتشبيه لا يحملون لفظة (القدَم) على ظاهرها، وورود هذه الكلمة بالمعنى الذي فهمه أهل السنة ثابت في اللغة العربية، راجع في شرح هذا الحديث كتاب "تأويل مختلف الحديث" للإمام ابن فورك.

الشفاعة

الشفاعة من عقائد أهل السنة الثابتة، فيجب الإيمان بها، ويتعلق بالشفاعة مباحث كثيرة نذكر منها ما يلي:

* **تعريفها:**

الشافعة لها معنيان : لغوي واصطلاحي شرعي.

أولاً: الشفاعة في اللغة العربية: الوسيلة والطلب.

ثانياً: الشفاعة في **الاصطلاح** الشرعي: سؤال الخير من الغير للغير.

* **حكم الشفاعة:**

الشفاعة من العقائد التي **أجمع** عليها أهل السنة.

وفَهْمُ هذه المسألة في العقيدة الإسلامية يتطلب عرض المقدمات التي تبنى هذه العقيدة عليها، ونحن نوجزها فيما يلي:

المقدمة الأولى: أن الخلق جميعاً ملك لله تعالى، إنْ شاء عذبهم جميعاً، وإن شاء أثابهم جميعاً، والإثابة من الله **فضل**، والعقاب منه تعالى **عدل**.

وليس لأحد أن يلزم الله أن يدخله الجنة بعمله الصالح، ولا لأحد أن يلزم الله تعالى أن يدخل العصاة النار، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا واضح: **"لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته"**.

هذا كله من حيث النظرة العقلية الموضوعية التجريدية,و بحسب حق الله المطلق في التصرف,لا بحسب ما اختاره الله لنافي القران و ما اختاره لغيرنا, فهذا شأنٌ آخر,

المقدمة الثانية: وهي من حيث **النظرة الشرعية،** حيث أخبرت الشريعة أن الله تعالى اختار أن يدخل الطائعين الجنة برحمته، واختار أن يدخل الكافرين النار ولا يرحم منهم أحداً، فبقي أمرٌ ثالث وهو متعلق بحال **عصاة المؤمنين** سواء أهل الصغائر أو الكبائر، فما هو الموقف الشرعي منهم؟

الموقف الإلهي من هؤلاء ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا** ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ١١٦]، ففتح الله تعالى بهذا باب المغفرة والعفوِ عن

العصاة والمذنبين، ورد ذلك إلى المشيئة والاختيار الإلهي، فإن شاء عفا وغفر، وإن شاء عاقب وأخذهم بقدر معاصيهم.

تنبيه: محل ذلك إذا لم يتُب، أما لو تاب توبة صحيحة، فالمغفرة حاصلة.

المقدمة الثالثة: أن المغفرة والعفو جائز من الله تعالى ابتداء دون مدخليه من أحد، فما المانع أن يجعل الله تعالى عبادة معنية مكفرة للذنوب، أو صدقة معينة كذلك، فما المانع إذن أن يجعل الله تعالى لنبي من الأنبياء مزية ومرتبة أعطاه الله بها درجة أن يشفع لغيره، أي أن يطلب ذلك النبي من الله تعالى أن يغفر لهم ويتجاوز عنهم.

فهذا كله متسق مع قواعد الدين والشريعة، وعرفت بذلك أن الشفاعة تكون في أهل المعاصي، وأما الكفر فلا شفاعة فيه.[1]

*** سبب حرمان الكفار من الشفاعة:**

الحكمة في تخصيص المغفرة بأهل المعاصي دون أهل الكفر لقوله تعالى: چ ٻ ٻ ٻ چ المدثر: ٤٨ ، سواء المغفرة بالشفاعة أو بغيرها، وذلك أن صاحب الذنوب مسلمٌ يعتقد نقص نفسه، فيخاف العقاب، ويرجو العفو والرحمة، بخلاف صاحب الكفر، فإنه لا يعتقد نقص نفسه، فلا يخاف عقاب الله تعالى.

فالكافر ليس في قلبه أصل الخوف من الله بينما يوجد في قلب المؤمن العاصي أصل ذلك الخوف، ففتح الله له أبواب الرحمة والمغفرة.

*** واجبات ثلاثة:**

الإيمان بالشفاعة يتضمن وجوب الإيمان بثلاثة واجبات:

الواجب الأول: كون النبي صلى الله عليه وسلم شافعاً.

الواجب الثاني: كونه صلى الله عليه وسلم مشفعاً (مقبول الشفاعة).

الواجب الثالث: كونه مقدماً على غيره.

*** كيف تحصل الشفاعة:**

حين يشتد الهول على الناس في الموقف، يتمنوا الانصراف ولو إلى النار، فيلهمون أن **الأنبياء هم الواسطة بين الله تعالى و بين خلقه**، فيذهبون إلى آدم، فيقولون له: أنت أبو البشر، اشفع لنا؟

فيقول: لست لها، نفسي نفسي، لا أسأل اليوم غيرها، ويعتذر بالأكل من الشجرة.

([1]) ففرق بين مقام العقل الذي يبين أن الخلق ملك لله له أن يتصرف بهم كما يشاء، وبين مقام الشرع، والذي يبين أن الله اختار **رحمة المؤمنين** بالجنة، واختار **تعذيب الكافرين** بالنار، واختار فتح باب **المغفرة والعفو للعصاة** إما بالتوبة أو بالأعمال المكفرة للذنوب، أو بالشفاعة التي هي دعاء من الأنبياء لربهم أن يغفر لمن يطلبونها.

فيذهبون إلى نوح، ويسألونه الشفاعة، فيعتذر لهم، وهكذا كل نبي، إلى أن ينتهوا إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويسألونه الشفاعة، فيقول: أنا لها، أمتي أمتي، فيسجد تحت العرش، فينادي منادي من قبل الله تعالى: يا محمد، ارفع رأسك، واشفع تشفع، فيرفع رأسه، ويشفع في **فصل القضاء**، وحينئذ يفتح باب الشفاعة لغيره، وهذه هي **الشفاعة العظمى**، وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم قطعاً، وهي **أول المقام المحمود** المذكور في قوله تعالى: ﴿ **أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ۝٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩** ﴾ [الإسراء: ٧٩] أي: يحمدك الأولون والآخرون.

وآخرُ المقامِ المحمودِ استقرارُ أهل الجنة في الجنة، وأهلُ النارِ في النار.

فهذه الشفاعة (في فصل القضاء) المسماة بالشفاعة العظمى من خاصية النبي صلى الله عليه وسلم، وهي لإراحة الناس من طول الموقف وإنقاذ الناس من خوف وفزع شديد، ولا يشاركه في هذه الشفاعة أحدٌ من جميع الأنبياء والملائكة، وهي أول الشفاعات التي تحصل يوم القيامة، وبها يفتح لغيره باب الشفاعة لأنهم لا يتجاسرون الشفاعة قبله لعظم الجلال يومئذ.

*** بيان سبب التسمية بالشفاعة العظمى وبالمقام المحمود:**

سُميت هذه الشفاعة **بالعظمى** لكونها تعم الخلق أجمع، وتريحهم من طول الموقف وما يرون فيه من شدة وأهوال وفزع.

وأما تسميتها **بالمقام المحمود** لكونه صلى الله عليه وسلم يُحمد من قبل الأولين والآخرين، لأن الجميع يطلبون الخلاص من الموقف منه، ويحصل المقام المحمود بمجرد أن يقول الله تعالى له: **ارفع رأسك**، واشفع تشفَّع، فيرفع رأسه، فيكثر حمدُ الناس له، فينصب له **لواء الحمد** ، وله ثلاث زوايا، زاوية بالمشرق، وأخرى بالمغرب، وأخرى بالوسط ، والأنبياء ومن دونهم تحت ذلك اللواء.

*** شفاعات غيره صلى الله عليه وسلم:**

بالإضافة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الله اختار وارتضى شفاعاتٍ أخرى منها:

أولاً: الله نفسه: فإنه تعالى اختار أن يشفع فيمن قال: (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله)، ولو لم يعمل خيراً قط.

ثانياً: الملائكة: لقوله تعالى: ﴿ **يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ۝٢٨** ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فيشفعون فيمن كان على مكارم الأخلاق من عصاة بني آدم.

وشفاعة الملائكة على الترتيب، فأولهم في الشفاعة جبريل، وآخرهم فيها التسعة عشر الذين على النار.

ثالثاً: الأنبياء والمرسلون السابقون على النبي صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: الصحابة رضوان الله عليهم.

خامساً: الشهداء.

سادساً: العلماء العاملون.

سابعاً: الأولياء.

وهؤلاء جميعاً شفاعتهم عند الله تعالى لغيرهم ثابتة عند أهل السنة بالإجماع، سواء في أهل الصغائر أو الكبائر.

ملاحظة: هؤلاء لا يشفعون إلاّ بعد **انتهاء المؤاخذة**، وهي المدة التي حددها الله تعالى في محاسبة الناس، بينما شفاعة النبي العظمى تكون قبل الحساب لإراحة الناس جميعاً من طول الموقف.[1]

*** شفاعات النبي صلى الله عليه وسلم:**

للنبي صلى الله عليه وسلم شفاعات أخرى غير شفاعته في فصل القضاء المسماة بالشفاعة العظمى، وهذه الشفاعات هي:

الشفاعة الأولى: الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم فيما قال النووي كالشفاعة في فصل القضاء.

الشفاعة الثانية: الشفاعة فيمن استحقوا دخول النار أن لا يدخلها، وتردد النووي في اختصاصه به صلى الله عليه وسلم.

الشفاعة الثالثة: الشفاعة في إخراج الموحدين من النار، وهذه يشاركه فيها أخوته من الأنبياء والمرسلين وغيرهم من الملائكة والمؤمنون [2].

الشفاعة الرابعة: الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها.

([1]) قد يقول قائل: إذا كانت شفاعات غير النبي صلى الله عليه وسلم بعد انتهاء مدة الحساب و المؤاخذة، فما فائدتها، وقد حاسب الله تعالى الناس؟

الجواب: **أولاً**: لإظهار مزية هؤلاء الذين يشفعون على غيرهم.

الثاني: أن هذه الشفاعات من باب **القضاء المعلق**، أي هو قضاء قضى الله به لكنه تعالى علقه على منح هؤلاء هذه الشفاعات، فإذا حصلت حصل ما عُلق عليها من المغفرة والعفو لمن يشفعون لهم من العصاة.

([2]) فصل القاضي عياض رحمه الله تعالى في هذه الشفاعة فقال: إن كانت هذه الشفاعة لإخراج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان اختصت به صلى الله عليه وسلم، ولا يشاركه فيها أحد، وإلاّ فإن كانت متعلقة بغير هؤلاء، فإن غيره يشاركه بها.

الشفاعة الخامسة: الشفاعة في جماعة من صلحاء أمته صلى الله عليه وسلم ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات.

الشفاعة السادسة: الشفاعة فيمن خُلّد في النار من الكفار أن يخفف عنهم العذاب في أوقات مخصوصة، كأبي طالب وأبي لهب.

الشفاعة السابعة: الشفاعة في أطفال المشركين أن لا يعذبوا، وهذا ذكره الإمام جلال الدين السيوطي وغيره.

الشفاعة الثامنة: الشفاعة لمن مات بالمدينة المنورة ولمن صبر على لأوائها.

الشفاعة التاسعة: الشفاعة لمن زار المصطفى بعد موته صلى الله عليه وسلم.

الشفاعة العاشرة: الشفاعة لمن أجاب المؤذن ودعا له صلى الله عليه وسلم بالوسيلة، ولمن صلى عليه ليلة الجمعة ويومها، ولمن حفظ أربعين حديثاً في أمر الدين وعمل بها، ولمن صام شعبان لحبه صلى الله عليه وسلم صيامه، ولمن مدح آل البيت وأثنى عليهم.

العقيدة السمعية الثانية والعشرون

النفس

عقيدة أهل السنة وجوب الإيمان بوجود **النفس**، إذ دلت عليها الآيات المتواترة، والأحاديث المتـــوافرة، ويتعلق بموضوع النفس مباحث لكن نقدم قبلها بمقدمة.

*** مقدمة:**

يتكرر في القرآن الكريم والسنة الشريفة وأقوال العلماء الألفاظ التالية: **النفس، والـــروح، والعقـــل، والقلب**، فيحتاج الناس إلى معرفة هذه الأمور فنقول:

بينت الأحاديث الشريفة أن الجنين إذا مضى عليه (120) يوماً في بطن أمه أمر اللهُ تعالى جبريـــلَ عليـــه السلام بالنفخ فيه، **فينفخ في الجنين ما يسمى بالروح**.

وهذه الروح وظيفتها أن تجعل العبد حياً، وتصبح الأجهزة فيه عاملة وفاعلة، والحواس تؤدي وظائفها، وهناك وظيفة أخرى للروح وهو أن الإنسان يطلب بها شهواته وحاجياته، وهي بهذا الاعتبار تسمى **بـــالنفس**، والإنسان أيضاً بهذه الروح يفكر ويتعلم ويتعقل الأمور، وهي بهذه الخاصية تسمى **عقلاً**، ولأن الروح أمر باطن يسكن داخل الإنسان سميت **قلباً**، فليس المقصود بالقلب هنا العضلة التي تضخ الدم في الجسم، بل القلب هنا هو وصف لذلك الأمر الذي ينفخه جبريل عليه السلام في باطن الإنسان فهو في قلبه الباطن.

ومن هنا تعرف أيها المسلم أن مذهب أهل السنة أن الذي ينفخه جبريل عليه السلام في الجـــنين أمـــرٌ واحد (**وهو سرٌ خفي على الإنسان لا يعلم حقيقته**)، وهذا الأمر متعدد الوظائف ومتعدد الأسمـــاء: فـــالروح والنفس والعقل والقلب أسماء متعددة لمسمى واحد هو ذلك المنفوخ في الجنين، وتعدد الأسماء باعتبـــار تعـــدد الوظائف.

*** حقيقة الروح:**

بين علماء أهل السنة أن البحث عن حقيقة الروح يكون بقصدين: واحد حرام وواحد حـــلال، **أمـــا الحرام** فهو أن **يقصد البحث عن حقيقة الروح ما هي**، فهذا لا يجوز طلبه ولا الركض وراءه لأن الله تعـــالى أخبر في القرآن الكريم أنها مما أستأثر الله بعلمه.

وأما **المقصد الحلال**، والذي يجوز للعلماء الخوض فيه هو **تصنيف النفس أي هي من قبيل الأجســـام اللطيفة أم أنها من قبيل الصفات كالعلم والقدرة** مثلاً، أم أنها من قبيل شيء آخر غير عالم الأجسام والصفات التي يتكون الكون منها.

ففرق بين البحث عن حقيقة الشيء، وبين البحث في تصنيف الشيء[1].

وبناء على ذلك فمذهب أهل "" السنة والجماعة "" من المتكلمين والمحدثين والفقهاء والصوفية أنها: جسم لطيف، مشتبك بالبدن كاشتباك الماء بالعود الأخضر، وهذا جزم به الإمام النووي رحمه الله تعالى.

والنفس هذه من خاصية الإنسان وكل حيوان خلافاً للملائكة التي لا توصف بذكورة ولا أنوثة وليس لهم شهوة ولا نفس.

*** مكان الأرواح:**

مكان الروح ومقرها في حال الحياة هو جسد الإنسان، واختلفوا بعد ذلك في أي جزء من الجسم، فبعض العلماء قالوا البطن[2]، وآخرون بقرب عضلة القلب، وآخرون بالعضلة القلبية ذاتها.

([1]) ونحن ننقل كلام علماء أهل السنة في هذا المقام:

* الإمام الصاوي رحمه الله تعالى:

اعلم أنه اختلف في الروح فقال قوم أنها سرٌ من أسرار الله تعالى، لم يطلع الله عليها أحد، قال تعالى: (**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي**)، ولكن لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى أطلعه الله عليه وعلى غيرها من المغيبات التي يليق علمها بالحوادث ، وأمره الله تعالى ببث البعض وكتم البعض، وهذا أكبر دليل على عجز الإنسان حيث لم يعرف أقرب الأشياء إليه، وهي روحه التي بين جنبيه، وهذا هو القول الحق.

وعلة النهي عن الخوض لعدم ورد النص من الشارع ببيان حقيقتها، قال الجنيد: الروح شيء استأثر الله بعلمه، ولم يطلع عليه أحد من خلقه، فلا يجوز لعباده البحث عنها بأكثر من أنها موجود.(وبهذا لا علم لنا بحقيقتها ولا بمقرها ومركزها في الجسم 1هـ)

ولكن نُقِل عن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه من الشافعية أن النفس عبارة عن جسم لطيف شفاف حي لذاته، مشتبك بالأجسام الكثيفة، يشبه اشتباك الماء بالعود الأخضر، وهي على هيئة جسد صاحبها.

واحتج هؤلاء الأئمة على قولهم هذا بواسطة الصفات التي ورد ذكرها في الشريعة للروح من وصفها بالهبوط والعروج والتردد في الخارج .

* **الإمام عبدا لسلام اللقاني:**

اختلف الناس في الروح على فرقتين:

فرقة أمسكت عن الكلام لأنها سر من أسراره تعالى لم يؤت علمه البشر، وكانت هذه هي الطريقة المختارة، فنحن **معاشر المحققين لا** نخوض في بيان حقيقة الروح بجنس وفصل مميزين لها لتعذر الوقوف عليها لعدم ورود السمع بهما، ولا يتلقيان إلا منه.

وعلة النهي عن الخوض في حقيقة الروح أنه خلاف الأدب مع الشارع، فالأولى الكف عن ذلك، قال تعالى : (ويسألونك عن الروح..)، وهذا هو قول الجنيد رضي الله عنه، وهذا الإخفاء من الله تعالى لشأنها إظهاراً منه تعالى لعجز الإنسان عن إدراك حقيقة نفسه.

وجرى على ذلك ابن عباس وأكثر السلف، وجماهير أهل السنة

وفرقة ذهبت إلى الخوض والكلام في النفس، منهم الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه والإمام الجويني 1هـ بتصرف وزيادة يسيرتين.

* **الإمام الباجوري :**

ناقش الإمام الفقيه إبراهيم الباجوري كلام الأئمة السابقين فقال: كلام الإمام الجنيد يقتضي أن البحث في حقيقتها محرم، وكلام الإمام اللقاني يقتضي أنه مكروه، وهكذا كلام الصاوي، ثم قال: ودليل الطريق المختارة في النهي عن الخوض في الروح أنه لم يرد دليل من الله تعالى ببيانها، وكل ما هو كذلك فالأولى عدم الخوض فيه.

قلت: يتبين المرء من كلام السادة العلماء أن مذهب أهل السنة هو عدم البحث والخوض في حقيقة الروح، وأما الخوض في تصنيف هذه الروح أهي من قبل الأجسام، أم الصفات، أم غيرها فأمر آخر.

– ثم إن قول بعض العلماء –كما مر معنا هنا– أن البحث عن الروح مكروه وليس حراماً لأن قوله تعالى: (قل الروح من أمر ربي) هو تكليف في مقابل سؤال اليهود وليس تكليفاً للأمة الإسلامية، فاستنبط العلماء الكراهة من سوء الأدب في مقام التوجيه الإلهي.

([2]) قال العلامة الباجوري: المقصود بالبعض باطن الجسد بتمامه.

وأما بعد موت الإنسان فأرواح السعداء بأفنية القبور، وقيل البرزخ[1] عند آدم عليه السلام، وقالوا: إن أرواح الكفار ببئر برهوت بحضرموت، وقالوا غير ذلك.

*** تعدد الروح للإنسان الواحد أو عدم تعددها:**

المشهور من مذهب أهل السنة أن النفس لا تتعدد في البدن الواحد، و لكن نُقل عن الإمام سلطان العلماء، العز عبد السلام رضي الله عنه أن لكل بدن نفسين:

إحداهما: تسمى اليقظة:وهي التي أجرى الله العادة بأنها إذا كانت في البدن كان الإنسان متيقظاً، فإذا خرجت منه نام الإنسان ورأت تلك الروح المنامات.

والثانية: وتسمى روح الحياة، وهي التي أجرى الله تعالى العادة بأنها إذا كانت في الجسد كان حياً، فإذا فارقته مات، فإذا رجعت إليه عادت إليه الحياة، ولا يعلم مقرها إلاّ من أطلعه الله إليه على ذلك.

وهاتان الروحان (روح اليقظة والحياة) كجنينين في بطن امرأة واحدة.

وهذا الذي ذكره الإمام العز بن عبد السلام **غير معتمد** عند أهل السنة والجماعة، **فالمعتمد** أن الروح واحدة.[2]

*** بقاء النفس:**

الكلام على بقاء النفس في مقامين:

المقام الأول :عند الموت بالأجل (خروج الروح)

المقام الثاني: عند النفخة الأولى.

*** المقام الأول: عند الموت:**

اتفقت كلمة علماء أهل السنة على أن النفس لا تموت بالموت بل تبقى بعده لتستعد لسؤال القبر وعذابه أو نعيمه، حيث تكون منعمة إن كانت من أهل الخير، ومعذبة إن كانت من أهل الشر، وفناء البدن لا يؤثر على بقاء النفس وإن كانت هي المدبرة له المتصرفة فيه، هذا هو **المعتمد.**

([1]) البرزخ هو الحاجز بين الدنيا والآخرة.

([2]) قال الإمام الصاوي: والحق أنها روح واحدة، مقرها على طريقة من خاض فيها القلب أو البطن أو قرب ذلك، وشعاعها مقوِّم للجسد كالشمعة الكائنة وسط آنية من زجاج، فأصلها وسطه، ونورها سارٍ في جميع أجزائه.

وهذا في الحياة أما بعد الموت فأرواح الأنبياء في الجنة، وأرواح الشهداء في حواصل طيور خضر في الجنة، وأروح المطيعين غير الشهداء **بأفنية القبور** في البرزخ، **وحدُّ البرزخ** من أفنية القبور إلى الجنة.

وأرواح الكفار ببئر برهوت بحضرموت 1هـ

وهناك أقوال أخرى للعلماء منها: أن الأرواح عند آدم في السماء، أن أرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة السفلى، أن أرواح السعداء بالجابية بالشام، أو أنها ببئر زمزم، وقيل غير ذلك.

والدليل على بقائها هو أن الأصل في كل باقٍ الاستمرار على بقائه حتى يظهر ما يصرفه من الأدلة الشرعية، وقال **الإمام السبكي هو المختار عند أهل الحق**، وبهذا تكون النفس من المستثنيات بقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر: ٦٨].

المقام الثاني: مقام النفخة الأولى:

المعتمد عند أهل السنة والجماعة أن النفس باقية ولا تموت بالنفخة الأولى، وهذا بلا خلاف بين المسلمين.

*** مذهب الإمام تقي الدين السبكي: (683 – 756هـ):**

اختار الإمام تقي الدين السبكي في تفسيره المسمى **بالدر النظيم** من هذا الاختلاف القول ببقاء النفس، وهذا الذي اختاره هو المختار عند أهل الحق، وقال لأن الأصل في كل باقٍ استمراره على بقائه حتى يظهر ما يصرفه عنه فالدليل على بقائها الاستصحاب فتكون من المستثنيات التي لا تفي بالنفخ البوق.

عجب الذنب[1]:

تقدم أن الروح باقية لا تفنى لا بموت البدن ولا بالنفخة الأول، فهي من المستثنيات التي نظمها الإمام السيوطي بقوله:

ثمانيةٌ حُكْمُ البقاء يعمهُّا ... من الخلق والباقون في حيز العَدَمْ

هي العرش والكرسي نارٌ جنةٌ ... وعجبُ أرواحٌ كذا اللوح والقلم [2]

*** تعريف عجب الذنب:**

عجب الذنب هو عظمٌ كالخردلة في آخر سلسة الظهر في العصعص، مختصٌ بالإنسان كمغرز الذنب للدابة.

([1]) العَجْب: بفتح العين، وسكون الجيم، وآخره باء موحده، وقد تبدل ميما، وبعضهم يحكي تثليث أوله فيهما، فلغاته ست، وإضافة العجب للذنب من إضافة المماثل لمماثله، فقولهم عجب الذنب أي: عجب شبيه بالذنب.

([2]) لكن يرد على القول ببقاء هذه الأمور قوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه)؟ فأجيب : أن هذه الآية من العام الذي أريد به الخصوص، فكل شيء هالك سوى هذه الثمانية لأنا استثنيت في آية الصعق، وبعضهم حمل الهلاك على القابلية: أي كل شيء قابل للهلاك إلا الله، وأما الهلاك بالفعل فشيء آخر كما قال العارفون:

من لا وجود لذاته من ذاته ... فوجوده لولاه عينُ محال

ومن الذين خصصوا الهلاك بما سوى الثمانية المذكورة جماعة منهم ابن عباس رضي الله عنه وذهب جمهور المتأخرين إلى أنه استثناء وليس تخصيصاً على أن هالك بمعنى قابل الهلاك.

*** بقاء عجب الذنب:**

لعلماء أهل السنة في هذه المسألة قولان:

القول المشهور المعتمد أن عجب الذنب من الباقيات سواء عند الموت أو عند النفخ.

*** مذهب الإمام إسماعيل بن يحيى المزني، صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه (64–175هـ):**

ذهب الإمام المزني رحمه الله تعالى إلى أن عجب يفنى بالنفخة الأولى التي هي نفخة الصعق، وتمسك في ذلك الظاهر قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: ٢٦] ووافقه على ذلك ابن قتيبة[1] وقال: هو الصحيح وأنه آخر ما يبلى من الميت.

قال العلماء: والأولى في النظر والاستنباط أنه لا يبلى لحديث الصحيحين: (**ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلاّ عظماً واحداً وهو عجب الذنب، منه خُلق الخلق يوم القيامة**)، لحديث مسلم:(**كل ابن آدم يأكله التراب إلاّ عجب الذنب، منه خلق ومنه يركب**)، وفي حديث آخر: (**إنّ في الإنسان عظما لا تأكله الأرض أبداً**).

*** هل اختيار الله بقاء عجب الذنب وعدم فنائه أمر تعبدي أم معلل؟**

اختُلف في ذلك، والأرجح أنه تعبدي لضعف تعليل من علله بأن الله تعالى جعل عجب الذنب علامة للملائكة الموكلين بالإعادة على إحياء كل إنسان بجواهره التي كانت في الدنيا.

وهذا التعليل ضعيف لأنه لا يتوقف إدراك الملائكة لهذا الأمر على بقاء عجب الذنب مع أنهم يعيدون كل إنسان بجواهره بأمر من الله تعالى مع أنه يجوز اللبس فيه نفسه، فالملائكة لا تخطئ في إعادة كل إنسان على حِدى.

([1]) وضح ابن قتيبة مذهب الإمام المجتهد المطلق المزني بما حاصله أنه يجوز أن يقضي الله الإنسان بالتراب، فإذا لم يبق إلاّ الذنب أفناه الله تعالى بلا تراب كما يميت ملك الموت بلا ملك موت، ولا يشكل عليه حديث مسلم (أن في الإنسان عظم لا تأكله الأرض) لأنه ليس فيه تعرض أنه لا يفنى مطلقاً، فنفى فقط أن تنفيه الأرض، وأما فناؤه بغير الأرض كما هو مضمون قول الإمام المجتهد المزني ليس في الحديث ما يدل عليه.

العقيدة السمعية الثالثة والعشرون

الجنة

إن الإيمان بالجنة حق، لأنها ثابتة بالكتاب والسنة واتفاق علماء الأمة، وما دام أنها كذلك فإنه يجب الإيمان بها.

*** التعريف بالجنة :**

الجنة لها معنيان:

أولاً: **المعنى اللغوي**: الجنة في اللغة العربية تعني البستان.

ثانياً: **المعنى الاصطلاحي الشرعي**: الجنة في الاصطلاح الشرعي تعني : دار الثواب

*** الجنة موجودة:**

مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى أوجد وخلق الجنة فيما مضى، وهي الآن موجودة، وأن الله تعالى أعدَّها حتى تكون دار ثواب لعباده المؤمنين, والدليل على ذلك قصة آدم وحوّاء عليهما السلام, وهذا وارد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة، وانعقد الإجماع عليه قبل ظهور المخالف لأهل السنة من أهل البدع[1].

*** تعيين مكان الجنة :**

لم يرد نصٌ شرعيٌ صريحٌ يُعيِّن محلَّ الجنةِ و مكانها، ولكن ذهب الأكثرون من أهل السنة إلى أن الجنة فوق السموات السبع، وتحت العرش.

والحق تفويض علم ذلك إلى اللطيف الخبير.

*** أهل الجنة:**

أهل الجنة هم المؤمنون الذين ماتوا على دين الإسلام، وإن تقدم منهم كفر.

([1]) ذهب أبو هاشم وعبدا لجبار المعتزلين إلى إنكار وجود الجنة الآن وفيما مضى، وقالا: إنها ستوجد يوم القيامة، وهذا في الحقيقة مخالف لظاهر قصة آدم وحواء عليهما السلام.

وقد أجمع العلماء على أن تأويل قصة آدم وحواء من غير ضرورة إلحاد الدين كما قيل أن آدم كان رجلاً في جنة بستان على ربوة جبل على الأرض، فعصى ربه فأنزل إلى بطن الوادي.

وتوصف الجنة بأنها دار الخلود[1]، أي الإقامة المؤبدة، والخالدون فيها هم السعداء، وهم الذين ماتوا على الإسلام ولو تقدم منهم كفر، وهذا يشمل عصاة المؤمنين لأنهم وإن دخلوا النار إلا أنهم لا يخلدون فيها، فصميرهم إلى الجنة [2].

والصحيح أن أطفال المشركين في الجنة [3]

والجمهور من العلماء على أطفال المؤمنين في الجنة[4]، وأما أطفال الأنبياء فهم في الجنة بالإجماع. ومؤمنوا الجن كمؤمني الإنس في ذلك.

*** الحال التي يدخل المؤمنون الجنة عليها:**

الناس يكونون في الموقف على حالتهم التي ماتوا عليها، ثم يدخل المؤمنون الجنة جُرداً مُرداً، أبناء ثلاث وثلاثين، طول كل واحد منهم ستون ذراعاً، وعرضه سبعة أذرع، ثم لا يزيدون ولا ينقصون.

(**فائدة**): تسمى الجنة بدار الثواب: **والثواب** هو الجزاء على الأعمال، وما يعطيه الله منه فضلاً منه وكرماً مما لا يعلمه إلا هو، وكما أن الثواب بفضله، إلا أن اقتسامها يكون على حسب الأعمال.

*** أنواع الداخلين إلى الجنة:**

الداخلون إلى الجنة قسمان :

1- من يدخلها بدون دخول النار بالمرة.

2- من يدخلها لكن بعد أن يدخل النار بقدر الذنب الذي أذنبه، وهؤلاء هم عصاة المؤمنين.

*** أبواب الجنة:**

للجنة أبواب كبار، وهي ثمانية أبواب، وأبواب صغار، وهي عشرة، وهذه تقع داخل الجنة.

وأبوابها الثمانية الكبار فهي: باب الشهادتين، وباب الصلاة، وباب الصيام، وباب الزكاة، وباب الحجّ، وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وباب الصلة، وباب الجهاد في سبيل الله تعالى.

([1]) وخالف في ذلك أهل الأهواء والبدع الجهمية: وهم أتباع الجهم بن صفوان، وهؤلاء قالوا: إن كل من الجنة والنار وأهلهما يفنون ويعدمون، وهذه المسألة عُرفت في علم التوحيد الإسلام بـــ (القول بفناء الجنة والنار أو إحداهما) ، وأما أهل السنة فأجمعوا على بقائهما وخلودهما أبد الآباد

([2]) عصاة المؤمنين إذا دخلوا النار فإن عذابهم لا يدوم فيها، بل يبقى مدة ثم يفقدهم الله تعالى الإحساس بألم العذاب (وبعض العلماء يسميها بالموت المجازي)، وبعضهم يرى أنهم يموتون موتاً حقيقياً وهو الذي يكون بخروج الروح.

([3]) وقال بعض العلماء هم في النار، وقال آخرون هم على الأعراف، وغيرها من الأقوال بخصوصهم.

([4]) وقال بعض العلماء هم في مشيئة الله تعالى.

*** عدد الجنان:**

اختلف أهل السنة في عدد الجنان، فمنهم من قال عددها سبعة، وهذا هو قول ابن عباس رضي الله عنه، وذهب الجمهور إلى أنها أربعة ومنهم من قال هي واحدة.

1. **مذهب ابن عباس رضي الله عنه:** هي عنده سبع جنات متجاورة، أفضلها وأوسطها الفردوس، وهي أعلاها، وفوقها عرش الرحمن، ومنها تتفجر أنهار الجنة.

ويليها في الأفضلية جنة عدن، ثم جنة الخلد، ثم جنة النعيم، وجنة المأوى، ودار السلام، ودار الجلال.

مقام الوسيلة:

كل هذه الجنان متصلة بمقام الوسيلة يتنعم أهل الجنة بمشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم لظهوره صلى الله عليه وسلم لهم منها لأنها تشرق على أهل الجنة كما أن الشمس تشرق على أهل الدنيا.

2 . **مذهب الجمهور:** ورجح مذهبَ الجمهورِ جماعةٌ من العلماء، ودليلهم في ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾** ﴾ [الرحمن: ٤٦] أي جنة النعيم وجنة المأوى، ثم قال : ﴿ **وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾** ﴾ [الرحمن: ٦٢] أي جنة عدن وجنة الفردوس كما قال بعض المفسرين.

3. **الرأي الثالث أنها جنة واحدة،** وتسمى بأسماء متعددة لتحقيق معاني هذه الأسماء فيها: فهي جنة عدن أي دار إقامة، والمأوى يأوي إليها المؤمنون، والخلد ودار السلام لأن جميعها للخلود والسلامة من كل خوف وحزن، وجنة النعيم لأنها كلها مشحونة بأصنافه.

النار

الإيمان بالنار حق،وهي موجودة فيما مضى، والآن أيضاً، وهي ثابتة بالكتاب والسنة، واتفاق علماء الأمة، وهي دار العذاب بجميع طبقاتها، أرضها وسقفها من نحاس ، وحيطانها من كبريت، ووقودها الناس والحجارة.

وقول الله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود ١٠٧]، ليس المراد منها السموات والأرض التي نعرفها نحن الآن، ولكن المقصود سقف النار وأرضها, وذلك لأن سماء الدنيا وأرضها ستبدلان يوم القيامة.

*** محل النار:**

اشتُهر بين الناس أن مكان النار تحت الأرضيين السبع، ولكن الحق تفويض علم ذلك إلى الله تعالى، اللطيف الخبير.

*** بعض ما يتعلق بالنار:**

أَوْقَدَ اللهُ ألفَ عامٍ حتى ابيضت، ثم ألف عام حتى احمرت، ثم ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة[1] ، وحرها هواءٌ مُحْرِقٌ، ولا جمر لها سوى بني آدم، والأحجار المتخذة آلهة من دون الله تعالى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم ٦].

*** ذكر من يدخل النار:**

يدخل النار أَصنافٌ من الناس:

منهم: **الخالدون** فيها أبداً، وهم الكفار، فلا يزالون معذبين فيها إما بالحيات أو بالعقارب أو بالضرب أو بغير ذلك.

والكفار هم **الأشقياء**، لأن **الشقاء** عند أهل السنة هو الموت على الكفر وإن عاش طول عمره على الإيمان، فالعبرة بالخواتيم.

ومنهم: **المعاندون.**

([1]) أخرجه الإمام الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً، رقم (2594)

ومنهم: **من بالغ في النظر والبحث عن الدين الحق فلم يصل إليه وترك التقليد الواجب عليه.**

ومثل الإنس في دخول النار واستحقاق العذاب أمثالُهم من الجن.

* الفروق بين حال أهل الجنة وحال أهل النار أن **أحجام** أهل الجنة ثابتة على مقياس واحد كما سبق ذكره في مبحث الجنة، وأما أهل النار فأحجامهم ومقاديرهم متفاوتة، حتى ورد أن ضرس الكافر في النار مثل أحد ، وفخذه مثل **ورقان** وهما جبلان في المدينة.

*** طبقات النار:**

طبقات النار سبعة على النحو التالي:

أعلاها جهنم، وهي لعصاة المؤمنين، وتصير خرابا بعد خروجهم منها، **وتحتها لظى**، وهي لليهود، قال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [المعارج: ١٥ – ١٦]، **ثم الحطمة**: وهي للنصارى، قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ﴾ [الهمزة: ٥ – ٦.]، **ثم السعير**: وهي للصابئة، فرق من اليهود ازدادوا ضلالاً بعبادتهم العجل، قال تعالى: ﴿ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ [الملك ١١]، **ثم سقر**: وهي للمجوس، عُبَّاد النار، قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المدثر ٢٦]، **ثم الهاوية**: وهي للمنافقين، وكل من اشتد كفره كفرعون، وهامان، وقارون.

(**فائدة**): قال تعالى في حق أهل النار خالدين فيها: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النبأ ٣٠]

وقد نظم **العلامة محمد الأمير** طبقات النار فقال:

جهنم للعاصي لظى ليهودها ... وحطمة دارٌ للنصارى أُولى الصَّمْ

سعيرٌ عذابُ الصابئين ودارهم ... مجوسٌ لها سقرٌ جحيمٌ لذي صنم

وهاويةٌ دارُ النفاق – وقيتَها – ... وأسأل ربَّ العرش أمناً من النقم

قال العلامة الصاوي:

هكذا ذكر الأشياخ تبعاً لبعض الأحاديث في النار، ولكن آيات القرآن شاهدةٌ بأن كل اسم من تلك الأسماء يطلق على ما يعمُّ الجميع، لأنه يذكر صفات الكفار بأيِّ وجهٍ، ويعبر عن وعيدهم بأيِّ اسم من هذه الأسماء فتدبر.

*** العقاب:**

مذهب أهل السنة والجماعة أن الخلق مِلكٌ لله تعالى، له أن يفعل بهم ما يشاء، أن يختار عذابهم جميعاً، مؤمنهم وكافرهم، أو يثيبهم جميعاً، مؤمنهم وكافرهم، هذا بحسْب حق الاختيار الإلهي، ولكن القرآن والسنة أخبرا أن الله قد أوقع أختياره وأنجزه أنه سيدخل أهل العمل الصالح الجنة، وعداً منه: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام ٥٤] وأنه سيجعل الكافرين في النار خالدين فيها.

فبقي من الناس صنف ثالث، وهم العصاة من المؤمنين، فما هو مذهب أهل السنة فيهم؟

الجواب: العصاة قسمان: قسم يجب الإيمان بأن الله يعذبهم، وأنه تعالى لا يغفر لهم، وقسم هم في مشيئة الله تعالى له تعالى أن يختار تعذيبهم، وله تعالى أن يتجاوز عنهم.

وهذا العقاب الذي نتحدث عنه إما أن يكون في القبر، أو في النار، أو فيهما معاً.

*** عصاة المؤمنين:**

عصاة المؤمنين **لا** يخلدون في النار إنْ دخلوها لأنهم سعداء، فدار خلودهم الجنة، وهم لا يدوم عذابهم كبقية المخلدين، وهؤلاء العصاة من المؤمنين على قسمين: **تائب** من المعاصي **وغير تائب**، فالتائب في الجنة، وغير التائب في مشيئته الله تعالى، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة بفضله وكرمه، وذلك ببركة الإيمان والطاعة أو بشفاعة بعض الأخيار، وإن شاء عذابه بقدر ذنبه، صغيراً كان أو كبيرًا، ثم آخر أَمْرِهِ الجنة، فلا يخلد في النار.

*** بقاء الجنة والنار، وأهلهما:**

عقيدة أهل السنة والجماعة أن كلاً من الجنة وأهلِها، والنارِ وأهلِها من الباقيات التي لا تفنى، ومن أهلها بالإضافة إلى من يدخلها من المكلفين: الحور العين، الولدان، وخزنة الجنة، وملائكة العذاب، والعقارب، والحيات وغيرها مما هو مقروء ومعلوم في كتب الشريعة الإسلامية.

وقال **الإمام الفقيه الخطيب الشربيني** نقلاً عن **الإمام النسفي**:

سبعة لا تفنى: العرش، والكرسي، واللوح، والقلم، والجنة، والنار بأهلهما، والأرواح.

*** الطاعة والمعصية:**

الطاعة: هي كل ما يثاب عليه بقضاء الله تعالى وقدرته في الأزل، وإرادته وأمره ورضاه ومحبته وتوفيقه وتخليقه.

والمعصية: هي كل ما يعاقب عليه بقضاء الله تعالى وقدرته وإرادته في الأزل، وليس بأمره ولا رضـــاه، ولا بمحبته ولا بتوفيقه، ولكنْ بخذلانه.

والثواب: هو كل ما جعله الله جزاء على الطاعة.

و**العقاب** هو كل ما جعله الله تعالى جزاء على المعصية.

* **الوعد والوعيد:**

أما الوعد: فهو أنَّ اللهَ أخذَ على نفسه العهدَ والميثاقَ أنْ يُثبت الطائعين، دون أن يلزمه أحد بـــذلك، **فالثواب فضل**، وأما أعمالنا الصالحة فلا تجبر الله تعالى أن يثيبنا عليها[1] **(لا يدخل أحد منكم الجنة بعملـــه، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله برحمته)**.

وأما الوعيد: فهو ترتيب الله تعالى واختياره معاقبة العاصين على أعمالهم السيئة، قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾** ﴾ [النازعات: ٣٧ – ٣٩]، فالوعد يكون بالخير لأهل الصلاح, والوعيد يكون بالشر لأهل المخالفة لأمر الله تعالى.

([1]) خلافاً لبدعة المعتزلة والشيعة الذين قالوا: إن الأعمال **توجب على** الله تعالى **وتفرض عليه** أن يثيب على الطاعة ويعاقب على المعصية.

أقسام الناس

يقسم علماء أهل السنة الناسَ بحسْب ما جاء في الشريعة إلى قسمين : مؤمن وكافر.

فالكافر هو المخلد في النار. وأما المؤمن فهو قسمان : العاصي والطائع:

أما المؤمن العاصي التائب ففي الجنة.

وأما المؤمن العاصي غير التائب : فهو في مشيئة الله تعالى[1].

*** تعريف الكفر:**

الكفر: هو عدم التصديق بما عُلِمَ ضرورةً مجيءُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم **به،** أو الامتناع من شرطه وهو النطق بالشهادتين مع القدرة.

*** أمور الدين أربعة:**

أولها: (**صحة العقد**): بأن تعتقد اعتقاداً صحيحاً خالياً عن الترديد و الشبه من ضلالات أهل الأهواء.

ثانيها: (**صدق القصد**): بأن تكون صادقاً في قصدك لقوله صلى الله عليه وسلم : (إنما الأعمال بالنيات) .

ثالثها: (**الوفاء بالعهد**): فإذا عاهدت عهداً تفي به لئلا يكون فيك خصلة من النفاق، لأن من خصال المنافق إذا عاهد غدر.

رابعهما: (**اجتناب الحد**): بأن تجتنب المعاصي كلها.

([1]) قال **العلامة المحقق محمد نووي جاوي** في: (قطر الغيث في شرح مسائل أبي الليث):

الناس على ثلاثة أصناف:

1- **مؤمن مخلص في إيمانه:** وهو الذي يقرُّ باللسان، ويصدق بالجنان، ويعمل بالأركان.

2- **وكافر جاحد في كفره:** وهو الذي لم يقر بلسانه و لم يؤمن بقلبه.

3- **ومنافق مداهن في نفاقه:** وهو الذي أقرَّ بلسانه ولم يؤمن بقلبه وداهن مع المؤمنين.

حكم جاحد الدين الإسلامي

*** تعريف الجحود:**

الجحود هو **الإنكار**.

*** شرط الجحود:**

شرط الجحود أن يكون إنكاراً لأمر علم أنه من الدين بالضرورة.

*** متى يكون الشيء معلوماً من الدين بالضرورة:**

يكون الشيء معلوماً من الدين بالضرورة بأمرين:

الأول: بالأدلة الشرعية

الثاني: أن يشترك في معرفته الخاص (العلماء) والعوام.

*** أمثلة على الأمور الضرورية:**

الصلوات الخمس، الصيام، الزكاة، الحج، حرمة شرب الخمر، حرمة الزنا، وغير ذلك من مسائل الفقه والعقيدة والأخلاق وما يتبعها.

*** حكم الجاحد:**

حكم جاحد المعلوم من الدين بالضرورة الكفر، فيستتاب بعدها ثلاثة أيام، فإن تاب فبفضل من الله تعالى ورحمة وتوفيق، وإلاّ فإن بقي جاحداً يقتل كفراً.

*** ما معنى أنه يقتل كفراً:**

الذي يقتل كفراً من المسلمين نوعان:

الأول: الذي يقتل كفراً: أي هو المقتول لأنه كفر –والعياذ بالله تعالى – كأن ينكر ويجحد أمراً معلوماً بالضرورة من الدين كما سبق، فهذا لا يُغسل، ولا يُكفن، ولا يُصلى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين.

الثاني: الذي يقتل حداً: أي هو الذي اقترف حداً من حدود الله تعالى، فهذا عليه التوبة في الحال، وإلاّ اسْتُتِيْبَ ثلاثة أيام، فإن رجع عن أفعاله الآثمة فبها ونعمت وإلاّ فإن كان مؤمناً بالدين ولكنه يرتكب المحرمات، حكم عليه القاضي بالقتل حداً، ومعنى حداً، أنه يكون القتل عقوبة شرعية على معصيته، فيكون الحد مقابل المعصية و لا يُسلب عنه حكم الإيمان, ولكن هل يرتفع الإثم بإقامة الحد عليه؟

الحد كما علمت عقوبة مقدرة على مخالفة (معصية)، لأمر معلوم من الدين بالضرورة أو مجمع عليه، وأما الإثم على ذلك فأمر آخر غير العقوبة، فليس كل من أقيم الحد فقد طهر من الإثم ولهذا قال العلماء:

إذا قُتل حداً وهو مصمم على العود إلى معصيته فهو **مُصِرٌ**، وهذا لا يطهره الحد من رجسه.

وأما إذا قتل حداً، وأجمع مع ذلك على التوبة، فقد رفع الإثم عنه.

(فائدة): من عصى معصية استحق عليها الحد (العقوبة) وعوقب به في الدنيا، فلا يعاقب عليه في الآخرة، وأما إذا لم يعاقب عليه في الدنيا، و لم يتب إما لعدم كشفه، أو لعدم تطبيق الشريعة الإسلامية، فهؤلاء يعاقبون على معاصيهم في الآخرة.

إذاً فإقامة حكم القتل حداً هو عبارة عن عقوبة على مخالفة وليس في مقابل كفر، ولهذا من أقيم عليه القتل حداً فإنه يموت مؤمناً، فيغسل ويكفن، ويصلى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين.

*** حكم جاحد المجمع عليه:**

الحكم الشرعي المجمع عليه قسمان:

الأول: مجمع عليه وهو معلوم من الدين بالضرورة: فهذا منكره كافر ويقتل كفراً كما سبق فيما مضى، ومثله من استباح ما هو كذلك كالزنا، أو اعتقد إباحة ما هو كذلك، ولو صغيرة سواء كان تحريمه لعينه كالزنا وشرب الخمر، أو لعارض كصوم يوم العيد، فإن تحريم صومه لعارض وهو الإعراض عن ضيافة الله تعالى.

الثاني: مجمع عليه من غير المعلوم بالضرورة: فهذا لا يكفر ولكنه يُبَدَّعُ ويُفَسَّقُ، هذا هو **المعتمد عند علماء أهل السنة.**

انتهت